وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا

"قرآن كريم"

الرسالة الفاروقية الخالدة

في مناسك الحج والعمرة

طبق أعمال الرسول صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع

خذوا عني مناسككم (حديث شريف)

تأليف

عبد الوهاب مصطفى

المهندس بمصلحة المساحة والمناجم

أوضح رسالة في الحج ومناسكه . ذيلت ببيان الحكمة في أفعال الحج والعمرة ، وزيارة النبي صلى الله عليه وسلم . وقد أقرتها لجنة من أفاضل علماء "المذاهب الأربعة" باشراف فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ "محمود أبي العيون" شيخ علماء الإسكندرية وعني بتصحيحها فضيلة الأستاذ المحقق الشيخ علي حسن البولاقي المدرس بمعهد الزقازيق

الطبعة الأولى محلاة بالصور والرسوم

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٥٧ هـ — ١٩٣٨ م

29



وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا

"قرآن كريم"

الرسالة الفاروقية الخالدة

في مناسك الحج والعمرة

طبق أعمال الرسول صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع

خذوا عني مناسككم (حديث شريف)

تأليف

عبد الوهاب مصطفى

المهندس بمصلحة المساحة والمناجم

أوضح رسالة في الحج ومناسكه . ذيلت ببيان الحكمة في أفعال الحج والعمرة ، وزيارة النبي صلى الله عليه وسلم . وقد أقرتها لجنة من أفاضل علماء "المذاهب الأربعة" باشراف فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ "محمود أبي العيون" شيخ علماء الإسكندرية وعني بتصحيحها فضيلة الأستاذ المحقق الشيخ علي حسن البولاقي المدرس بمعهد الزقازيق

الطبعة الأولى محلاة بالصور والرسوم

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٥٧ هـ — ١٩٣٨ م

المصـــــادر

(١) القرآن الكريم .
(٢) كتب الحديث الصحيحة .
(٣) زاد المعاد، لابن القيم .
(٤) المواهب، للقسطلانى . وشرحه، للزرقانى .
(٥) بداية المجتهد ونهاية المقتصد، لابن رشد .
(٦) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبى .
(٧) كتاب الفقه على المذاهب الأربعة .
(٨) إحيـاء علوم الدين، للغزالى (شافعى) .
(٩) المنهج وشرحه، لشيخ الإسلام (شافعى) .
(١٠) المجموع، للنـــووى (شافعى) .
(١١) رد المحتار، لابن عابدين (حنفى) .
(١٢) شرحا الكنز، للعينى والطائى (حنفى) .
(١٣) شرح المجموع، للأمير (مالكى) .
(١٤) العدوى والزرقانى على العزّية (مالكى) .
(١٥) نيل المآرب ، للشيبانى (حنبلى) .
(١٦) الروض المربع، للبهوتى (حنبلى) .
(١٧) رسالة الحج . فلسفته وأسراره . [ح . ع . دبلوماسى] .

ملاحظـــة — الذى يهمك من هـذه الرسالة أثناء الحج من صفحة ٢٠ إلى صفحة ٧٢ ومن ١٣٧ إلى ١٤٤

إهـــداء الرسالة

لحضرة صاحب الرسالة العظمى صلى الله عليه وسلم

إلى النبي العظيم والرسول الكريم . إلى من أنار العالم بشريعته السمحة الغراء . إلى من أرسله الله رحمة للعالمين . إلى سيد الأنبياء والمرسلين . إلى من أنزل عليه كتاب لا ريب فيه من رب العالمين ؛ تَحَدَّى به العالم من إنس وجان أن يأتوا بسورة من مثله فما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ؛ ولن يستطيعوا ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا . إلى مَن معجزته خالدة أبد الآبدين . إلى إمام الخطباء . إلى رافع لواء العلم بين الأمم قاطبة . إلى الهادى بأمر الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم :

يتقرّب ذلك العبد الخاضع المطيع المؤمن بنبوّتك ، والكتابِ الذى أنزل عليك من العزيز العليم ، بتقديم رسالته التى بسط فيها مناسك الحج والعمرة كاملة مستوفاة ؛ فجاءت بحمد الله تعالى وفق الأمر السامى فى الحديث الشريف « خُذُوا عَنِّى مَنَاسِكَكُمْ » .

راجيا من النبي الكريم القبول والشفاعة فيما قدّمَتْ يداى من خطل العمل وسوء الفعل ؛ إذ يضيق بِيَ المقام ، وتتقطع بِيَ الأسباب . ﴿ يَوْمَ لا ينفعُ مالٌ ولا بَنونَ إلّا مَنْ أتَى اللهَ بقلبٍ سَليم ﴾ .

وما اجترأت على تقديم هذه الرسالة إلى الحضرة النبوية الشريفة إلا وأنا طامع فى واسع كرمك ، وساحة فضلك ، ووافر رحمتك ؛ فأنت بالمؤمنين رءوف رحيم .

وكلى أمل فى إسعادى بالقبول ؟؟ المؤلف

إهـــداء الرسـالة

لجـــلالة ملك مصـــر المحبوب

حضرة صاحب الجلالة الملك "فاروق الأوّل" ملك الدولة المصرية . وطد الله دعائم ملكه وأعز به الإسلام .

إلى سدّتكم الكريمة . إلى عرشكم المفدّى . إلى مقامكم العالى . إلى الملك الشاب . إلى من نشأ فى طاعة الله فأعزّه الله . إلى من تغلغلت محبته فى أفئدة رعيته فدانوا إليه بقلوبهم وجوارحهم ؛ أكبروا فيه قيامه على الدين الحنيف ، ومحبته لأهله ، وعمله على نشر تعاليمه ، وأخذه بمـا رسمه الشرع الشريف ؛ فأحلوه المنزلة التى لا تسامى .

إليك ياسليل المجد ومحط الآمال ووارث الملك : أتقدّم برسالتى فى مناسك الحج والعمرة ، بعـد أن أهديتها إلى حضرة الرسـول صلى الله عليـه وسلم . وقـد أسميتها " الرسالة الفاروقية الخالدة " تيمّـنًا باسم ذاتك المحبـوبة ، وقيـاما بواجب الولاء والإخلاص لعرشك . وما كنت لأجترئ على ما أقدمت عليه لولا أنى رأيت ذلك النور الإلهى ، والقبس الروحانى : يسطع بين جنبيك ، فيشرق بين عينيك ، فينبعث نبراسا فيّاضا على العالم الإسلامى ، وكوكبا مضيئا يهتدى به السالـكون .

أما وإنى قد فعلت ، فألتمس من مولاى أن يتقبلها قبولا حسنا ، وإن تدانت عن غاية الكمال وقصرت عن مراتب الجمال والجلال ؟

خادم جلالتكم المطيع

عبد الوهاب مصطفى

رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ
وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّالِحِينَ .



حضرة صاحب الجلالة الملك المحبوب فاروق الأول ملك مصر



تعـــريف بالرســالة

لحضرة صاحب الفضيلة العالم الكبير الأستاذ الجليل الشيخ محمود أبي العيون
شـيخ علمــاء الإسكندرية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصـلاة والسلام على أشرف المرسلين، سـيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(أما بعد) فلما كنت فى رياسة معهد الزقازيق، قدّم إلىّ حضرة الفاضل المسلم الغيور "عبد الوهاب أفندى مصطفى" المهندس بمصلحة المساحة والمناجم «تفتيش الزقازيق» : رسالته المسماة "بالرسالة الفاروقية الخالدة فى مناسك الحج والعمرة" . وطلب إلىّ الاطلاع عليها ، وإبداء رأيى فيها ؛ فطالعت أكثر فصولها ، فوجدت القول فيهـا ممتعا، والمواضع التى تناولهـا المؤلف طيبة الجنى، سلسة الأسـلوب، يفهمها العامة، ولا يملها الخاصة . ولم أكتف بما طالعته، بل حوّلتها إلى حضرات أبنائى الأساتذة المحترمين : الشيخ عبـد الله عطية الشربينى "الشافعى" والشـيخ محمد محمد مصطفى الحسينى "الحنفى" والشيخ محمد كامل حسن "المـالكى" وكلهم من مدرّسى معهد الزقازيق الدينى . وقد طلبت إلى حضراتهم مراجعتها مراجعة دقيقة جدا، والتعليق عليها بما يرونه ؛ فضموا إليهم حضرة الأستاذ الفاضل الشيخ عبد الحكيم على مصطفى "الحنبلى" المدرّس بمعهد القـاهرة ؛ لتكون المراجعـة شاملة للمذاهب الأربعة . وقد قاموا بمـا عهدته إليهم ، وأثنوا على حضرة المؤلف مجهوده الذى بذله لإخراج هذه الرسالة الممتعة .

وقد أشرف على الطبع بعد هذا : ولدنا الأستاذ المحقق الفاضل الشيخ على حسن البولاقى المدرّس بمعهد الزقازيق الدينى ؛ فلبست الرسالة بعد طبعها ثوبا قشيبا ، وأصبحت فى مقدّمة الرسائل المفيدة لجميع المسلمين ، وخصوصا من يقوم منهم بأداء فريضة الحج .

وإنا نثنى على حضرة الأستاذ عبـد الوهاب أفندى مصطفى مؤلف الرسالة ، ثناء مستطابا ؛ لتلك المنقبة الجليـلة التى قدّمها خدمة للدين ، وجهادا فى سبيله .

ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يكثر من أمثاله ، وأن يوفق المسلمين للعمل بمـا جاء بها ، وأن يهدينا جميعا سواء السبيل ؛ إنه تعالى نعم المولى ونعم النصير . ا ه

٢٥ من رمضان سنة ١٣٥٧ هـ (١٧ من نوفبر سنة ١٩٣٨ م)

محمود أبو العيون
شيخ علماء الإسكندرية

إقــرار الرســالة

من حضرات أصحاب الفضيلة العلماء الموقعين على هذا

حضرة صاحب الفضيلة مولانا الأستاذ الجليل الشيخ محمود أبى العيون
شيخ معهد الزقازيق

السلام عليكم ورحمة الله (وبعــد) فنتشرف بإحاطة فضيلتكم علما : أننا قمنا بمراجعة الأحكام الشرعية التى فى "الرسالة الفاروقية الخالدة فى مناسك الحج والعمرة" تأليف حضرة الفاضل عبد الوهاب أفندى مصطفى المهندس بمصلحة المساحة والمناجم «تفتيش الزقازيق» . وذلك بعد أن ضممنا إلينا فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الحكيم على مصطفى «الحنبلى» المدرّس بمعهد القاهرة الدينى ، وصححنا ما عثرنا عليه من مخالفات ، وبعد هذا أشرف على الطبع فضيلة أخينا الأستاذ المحقق الشيخ على حسن البولاقى فراجعها مراجعة دقيقة تامة كعادته فى كل ما يعهد إليه .

وبهذه المناسبة نثنى على حضرة المؤلف فهو رجل ملأ الله قلبه بنور الايمان ، فوفق لأداء أشق الفروض ، وأدق أركان الدين خطرا وأوعرها مسلكا «وهو الحج» . أتى به على أكمل وجه ، وكمل هذا العمل الجليل ، بمؤلفه الجامع الجميل ، فجاء سِفرا يسترشد به مريد الحج والعمرة . صوّر الأماكن المقدّسة وطرقها ومعالمها فجعلها محسّة أمام الناظر . وقسم الأعمال إلى مراحل ثلاث ، فضبطها وأزال خفاءها .

وجملة القول : إنها لرسالة فى المناسك جامعة ، تدل على قوّة يقين مؤلفها ، وتمام هدايته ، وكمال توفيقه . نسأل الله تعالى أن يكثر من أمثاله ، وأن ينفع بها المسلمين ؛ إنه سميع الدعاء "

١٩ من رمضان سنة ١٣٥٧ (١١ من نوفبر سنة ١٩٣٨)

عبد الله عطية الشربينى «الشافعى» المدرّس بمعهد الزقازيق الدينى	محمد محمد الحسينى «الحنفى» المدرّس بمعهد الزقازيق الدينى
محمد كامل حسن «المالكى» المدرّس بمعهد الزقازيق الدينى	عبد الحكيم على مصطفى «الحنبلى» المدرّس بمعهد القاهرة الدينى

تقــريظ الرســالة

بقلم حضرة صاحب الفضيلة العالم العلامة الأستاذ الشيخ يوسف الدجوى
عضـــو جمـاعة كبار العلمـاء

حضرة الفاضل الموفق عبد الوهاب أفنــدى مصطفى . أيده الله بمـا أيد به الخاصة من عباده .

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبى بعده .

(وبعد) فقد اطلعت على كثير من كتابك الموسوم " بالرسالة الفاروقية الخالدة فى مناسك الحج والعمرة" فوجدته كتابا ينطق بالحق ويهدى إلى صراط مستقيم . أبان من أحكام الحج والعمرة ما تقر به العيون، وتبتهج به النفوس، وتنشرح له الصدور. بأساليب رائقة، وعبارات فائقــة ، وأذواق شريفــة ، وملحوظات منيفة ، وقلم مطواع، هو أدل دليل على طول الباع، وســعة الاطلاع . فلله كتاب رق لفظه، ودق معناه ، وافتنت أساليبه، وتهدلت أفانينه، وأينعت ثمـاره، وطاب جناه .

وأعجب ما فى الأمر أنه من مهندس لم يكن الأزهر بمعهد له، ولا مطالعـة كتب الشريعة بمطلوبة منه أو واجبة عليه ؛ ولا سيما فى عصرنا الكثير الشواغل، المرتبك الأحوال، الذى عظم فيــه سلطان المـادّيات، حتى استولت على النفوس فلم تدع منهـا شيئا، وعلى الرءوس فلم تبق منهـا بقية ؛ فصارت الأفكار مقصورة على مصالح الأشباح، دون الأرواح؛ والعقول محبوسة فى سجن الحسيات ، ممنوعة عن فضاء الروحيات؛ فأمست العواطف أرضية لا سماوية ، وحيوانية لا إنسانية . ولكن القلوب النيرة، والنفوس الشريفة : لا تزال مستعدة للتلقى من الملأ الأعلى، وإن كانت فى أحرج الأزمنــة، وأظلم العصور؛ وإنه لإحدى آيات الإســلام، ومعجزات الرسول عليه الصلاة والسلام . وقد ادخر الله لك هذه المنقبة فلم يظهرها إلا على يديك، ولم يجعل شرفها راجعا إلا إليك .

أسأل الله أن يرقيك على قدر صفاتك الجليلة، ومواهبك الممتازة، ودينك القويم؛ وعلمك الواسع؛ بمنه وكرمه ١هـ

يوسف الدجوى
عضـــو جمـاعة كبار العلمـاء

كلمة

حضرة صاحب الفضيلة مصحح الرسالة

سبحانك اللهم وبحمدك ، وصلاة وسلاما على خير خلقك . (وبعد) فقد تم طبع " الرسالة الفاروقية الخالدة فى مناسك الحج والعمرة " على أوفى مايرام : ترتيب واضح ، وأسلوب خال من التعقيد ، وتقسيم يبين أقرب السبل إلى أداء المناسك ، ووصف للحرمين الشريفين يشوق القارئ إلى التشرف بزيارتهما ، ومصوّرات توضح أماكن النسك ، وملابس الإحرام ، وكيفية الرّمل فى الطواف ؛ هذا إلى بيان للحِكَم الجليلة التى اشتمل عليها الحج إجمالا وأعماله تفصيلا ، وإرشاد إلى زيارة النبى المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ، وتنبيه على مايقوم به الزائر من أعمال . فهى لعمر الحق رسالة تستوجب لحضرة مؤلفها الثناء العظيم . نفع الله به وأكثر من أمثاله .

وقد قام حضرات إخوانى أصحاب الفضيلة الذين اطلعوا على الرسالة بإرشادات عظيمة يشكرون عليها ، ثم راجعتها من ألفها إلى يائها ، ولم أدع كلمة تمرّ إلا بإذن ، ولا حكما يجوز إلا بإجازة . اللهم إلا ما لا يعصم منه إنسان : من سهو أو نسيان .

ومما زادها بهاءً طبعها بمطبعة دار الكتب المصرية ، التى تعدّ بحقٍّ سيدة المطابع العصرية : إتقانا وسرعة وجودة . جزى الله الكريم حضرة مديرها الهمام الأستاذ " محمد نديم " وحضرات القائمين بأعمالها خير الجزاء ما

على حسن البولاقى
خريج تخصص الأزهر
والمدرّس بمعهد الزقازيق الدينى

١٠ من شوّال سنة ١٣٥٧ (٢ من ديسمبر سنة ١٩٣٨)

رَبِّ اجعلني مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي، رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ .
رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ .



عَبدالوهَّاب بن مُصطفى بن أحمد علم الدين " مُؤلِّف الرِّسالة "



المحتـــــويات

صفحة

المصـادر ... ... (ب)
إهداء الرسالة، لحضرة صاحب الرسالة العظمى صلى الله عليه وسلم ... ... (ج)
إهداء الرسالة، بجلالة ملك مصر ... ... (د)
صورة جلالة الملك ... . (هـ)
تعريف بالرسالة، لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمود أبي العيون ... ... (ز)
إقرار الرسالة من حضرات علماء المذاهب الأربعة ... ... (ح)
تقريظ، لفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ يوسف الدجوى ... ... (ط)
كلمة، لفضيلة الأستاذ مصحح الرسالة ... ... (ى)
صـورة المـؤلف ... ... (ك)
مقدمة الرسالة، مبدوءة بآيات فى الحج ١
(تمهيد) فى الكلام على المسجد الحرام والترغيب فى الحج وغير ذلك ٧
وصف المسجد الحرام . أبوابه . مآذنه . مشتملاته من الداخل ٧و٨
الكلام على الكعبة . وصفها من الخارج ٩و١٠
رسم (رقم ١) . رسم الحرم وفى وسطه الكعبة وشارع المسعى ١١
وصف الحطيم وكلمة عن سببه ١٢
« الكعبة من الداخل . وصف دائرة المطاف ١٣و١٤
« مقام إبراهيم عليه السلام . وصف الحجر الأسود . وصف شارع المسعى ١٥
(الترغيب فى أداء فريضة الحج) . مبدوء بأحاديث شريفة ١٦
الحج أفضل جهاد للنساء ١٨
مايفعله الإنسان عند عزمه على الحج . الزاد والنفقة ٢٠
وداع الأهل والأقربين . مايقال عند النهوض، وعند ركوب الدابة ونحوها ٢١
ما يقال عند دخول كل قرية . ما يجب نحو الرفقاء . قصر الصلاة وجمعها ٢٢
(بحث فى المواقيت) . المواقيت الزمانية ٢٣
المواقيت المكانية . وصفها ٢٤و٢٥
(أنواع النسك) . بحث فى بيان الأفضل من الأنساك الثلاثة . بيان مافعله
الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم ٢٦
رسم (رقم ٢) . خريطة المواقيت المكانية، وبيان بعدها عن مكة المكرمة ٢٧

صفحة

التمتع أفضل الأنساك الثلاثة فى نظر المؤلف ٢٨
رأى الأئمة الأربعة فى بيان الأفضل منها ٢٩
خاتمة التمهيد . (كيفية أداء المناسك) على الوجه الذى أدّاها به سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم، وتقسيمها إلى ثلاث مراحل ٣٠
"أعمال المرحلة الأولى" : الإحرام . بيان ما يطلب عمله من مريد الإحرام ٣١
ملابس الإحرام . صورة واضع الرسالة فى ملابس الإحرام ٣٢
صورة سيدة وقورة فى ملابس الإحرام . صـلاة الإحرام ٣٣
بيان كيفية الإحرام . تعريف التلبية ٣٤
الأحوال التى تستحب فيها التلبية . ما ينهى عنه المحرم بعد الإحرام ٣٥
بيان ما يباح للمحرم ٣٧
بيان ما يطلب منه لدخول مكة . كيفية دخول المسجد الحرام ٣٨
الطواف وكيفيته . الرمل فى الطواف . صورة واضع الرسالة فى هذه الحالة ٣٩و٤٠
ما يقال فى أثنـاء الطواف . تنبيهات هامة عن الطواف ٤١و٤٢
صلاة ركعتى الطواف . أين تصليهما المرأة؟ ٤٣
السعى بين الصفا والمروة . كيفيته وما يقال فيـه ٤٣
انتهاء أعمـال العمرة بالحلق أو التقصير ٤٥
ختام المرحلة الأولى، وبيان ما بهـا من المناسـك . تنبيهات عامة مهمة ٤٥
إرشادات للنساء (ا) الفرق بين الرجل والمرأة فى أعمال الحج (ب) الحيض أو النفاس ٤٦
(ج) الوصول لمكة قبل انتهاء الحيض أو النفاس (د) استمرارهما الى يوم عرفة وبعده ٤٧
(هـ) الحيض والنفـاس لا يمنعان المرأة من إتمام مناسـك الحج . مبحث طواف الحائض والنفساء عند السادة الحنفية (و) تنبيهات عامة للنساء ٤٨
"أعمـال المرحلة الثانية" وهى أهم مراحل الحج : الإحرام بالحج للتمتع . ملاحظـة فى حكم من أفرد الحج أو قرنه بالعمرة ٤٩
التوجه إلى منى . التوجه إلى عرفات . وصف طريق ضب ٥٠
الاغتسال للوقوف بعرفات وصلاة الظهر والعصر بمسجد نمرة ٥٠
رسم (رقم ٣) . خريطة تبين الطريق بين مكة المكرمة وجبل عرفات مارا بجميـع مشاعر الحج ووادى عرفات، وخريطة مكبرة تبين مشعر منى ومضرب خيام الحجاج وموقع الجمرات الثـلاث ٥١

صفحة

بيان المسافات بين الحرم والمشاعر المذكورة ٥١
الوصول إلى عرفات . تنبيه فى كيفية الوقوف بعرفات . ما يقال بعرفات من الدعاء ٥٢
تنبيهـات وتحذيرات هامة ٦٠
الإفاضة من عرفات إلى المزدلفة ، وما يقال فى الطريق ٦٠
وصف طريق المأزمين . الوصول إلى مزدلفة . جمع العشاءين بها تأخيرا . المبيت بها . الوقوف بالمشعر الحرام . ما يقال فيه . التقاط الحصيات منه ٦١
الإفاضة من المشعر الحـرام إلى منى ٦٢
الإسراع فى بطن محسر . وصف هذا الطريق وبيان سبب الإسراع فيه ٦٣
رمى جمرة العقبة . الذبح والحلق والتحلل الأصغر ٦٤
طواف الإفاضة والتحلل الأكبر . العودة إلى منى . الأنساك المطلوبة يوم النحر ٦٥
تنبيهات . ختام المرحلة الثانيـة وبيان مابها من المناسك ٦٦
"أعمال المرحلة الثالثة" . رمى الجمرات الثلاث . رمى الجمرة الأولى... ... ٦٧
رمى الجمرة الوسطى . رمى جمرة العقبة ٦٨
تكرار رمى الجمرات . تنبيهات . التوجه إلى المحصب ٦٩
العودة إلى مكة . تنبيهات ، وبها بيان العمرة لمن حج مفردا . طواف الوداع ٧٠
التزام الملتزم والدعاء عنده ، والشرب من زمزم ٧١
الخروج من الحرم . بيان ما فى هذه المرحلة من الأنساك . تنبيهات هامة جدا . خاتمة مراحل الحج والعمرة ٧٢
﴿ فقه المذاهب فى الحج ﴾ وفيه مقاصد : ٧٣
المقصـد الأول : (ا) وجوب الحج وشروطه ٧٤
(ب) متى يجب؟ (ج) حكم العمرة... ... ... ٧٥
المقصد الثانى فى أعمال هـذه العبادة وشروطها : ١ — الإحرام ٧٦
٢ — الطواف بالبيت ٨٤
٣ — السعى بين الصفا والمروة ٨٧
٤ — الخروج إلى منى والمبيت بها ليلة عرفة ؛ ٥ — الوقوف بعرفة ٨٨
٦ — أفعال المزدلفة ؛ ٧ — رمى الجمار ٩١
المقصد الثـالث فى الأحكام : ١ — الإحصار... ... ... ٩٤
٢ — جزاء الصيد والنبات ٩٥

صفحة
٣ — حكم إتيان المحظورات ٩٨
٤ — كفارة التمتع والقران ؛ ٥ — مفسدات الحج ومفوتاته... ... ١٠٠
٦ — الكفارات المسكوت عنها ١٠٣
٧ — القول فى الهدى ١٠٥
"جداول" بمعظم أحكام الحج والعمرة فى المذاهب الأربعة ١٠٩
"خطبة النبي صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع" ١١١
(الحكمة فى أفعال الحج) : تمهيـد ١١٣
الكعبة ١١٤
المساواة فى الإسـلام . مقاصد الحج ١١٦
الحج ونظام الكشافة . الحج والجهـاد ١١٧و١١٨
الحج والثقـافة . الحج والمنـافع... ... ... ١٢١و١٢٢
حكمة العمرة . الحكمة فى تحـريم محظورات الإحرام . حكمة التلبية... ... ١٢٣و١٢٤
حكمة الطواف بالبيت . حكمة الرمل . حكمة استلام الحجر الأسود ١٢٦
حكمة السعى بين الصفا والمروة . حكمة الوقوف بعرفة... ... ... ١٢٧و١٢٨
حكمة الوقوف بالمشعر الحرام . حكمة الجمع بين الظهرين بعرفة ، والعشاءين بمزدلفة ١٣٠
حكمة رمى الجمرات . حكمة الحلق والتقصير ١٣١
حكمة ذبح الهدى والأضحية ١٣٢
(وصف الحرم المدنى) : شكل المسجد ١٣٣
رسم (رقم ٤) . خريطة تبين المسجد النبوى وما طرأ عليه من التغييرات... ١٣٤
أبواب المسجد ومآذنه . الحجرة الشريفة . كسوتهـا ١٣٥و١٣٦
الروضة الشريفة . (الكلام على زيارة النبي صلى الله عليه وسلم) : فضل زيارته . ١٣٧
آدابهـا . أعمالهـا . أدعيتهـا ١٣٨
تنبيهات للزائر ١٤٠
تنبيه للسيدات فى الصلاة . تنبيهات لكل من مكث بالمدينة ١٤٢و١٤٣
تنبيه للسيدات فيما تعمله الحائض والنفساء ١٤٤
توديع المسجد النبوى ، وبه تمت الرسالة . كلمة شكر... ... ... ١٤٤و١٤٥

بسم الله الرحمن الرحيم

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧)(١) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٩)

(سورة البقرة)

إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ(٢) مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ(٣) إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا . وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ؛ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٩٧)

(سورة آل عمران)

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ(٤) آمِنًا وَاجْنُبْنِي(٥) وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ (٣٥) رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣٦) رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (٣٧)

(سورة إبراهيم)

وَإِذْ بَوَّأْنَا(٦) لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (٢٦) وَأَذِّن(٧) فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا(٨) وَعَلَىٰ كُلِّ

---

(١) أرقام الآيات حسب ما جاء فى المصحف الذى تم طبعه فى عهد المغفور له صاحب الجلالة "فؤاد الأول" ملك مصر . (٢) مكة . (٣) الحجر الذى كان يقوم عليه وهو يبنى البيت . (٤) مكة المكرمة . (٥) أبعدنى . (٦) جعلنا مكانه مباءة لإبراهيم ومرجعا يرجع إليه . (٧) وأعلم الناس بالحج . (٨) مشاة : جمع راجل .

ضَامِرٍ[1] يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ[2] ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ[3] وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ ... ﴿٣٠﴾ (سورة الحج)

لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ[4] فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ ۚ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ (سورة الحج)

الحمد لله الذى أمر خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام بأن يؤذن فى الناس بالحج إلى بيته العتيق ؛ والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى طهر البيت من الأوثان فأنزل الله عليه قوله تعالى : ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ﴾، وعلى آله وصحبه وذرية خليله الذين أسكنهم بواد غير ذى زرع فطابوا مقيلا ، ولم تزل أفئدة من الناس تهوى إليهم وتطير بأجنحة الشوق بكرة وأصيلا ، فمن لم يحجه يود من سويداء قلبه أن يحظى به ولو مرة فى عمره ، ومن حجه مرة واحدة طلب المزيد عشرات المرات ، وكان شوقه إليه أكثر كثيرا ممن لم يقع بصره عليه .

«وبعد» فقد أديت فريضة الحج لأول مرة عام ١٣٥٢ الهجرى الموافق عام ١٩٣٤ الميلادى ، ولم أكن اطلعت على بحث خاص بفريضة الحج ، إلا رسالة صغيرة شاهدنى فى أثناء مطالعتها أحد الأصدقاء الذين حجوا البيت العتيق من قبلى ، فقال لى هون على نفسك ، فالمطوف الذى ستكون عنده لا يترك شيئا خاصا بالحج والعمرة إلا ويفهمه لمن سيكون عنده من الحجاج . ثبط همتى ذلك الصديق سامحه الله ، ولما جاء يوم السفر وليت وجهى شطر البيت الكريم وألقيت زمام أمرى لمطوفى ولم أعارضه فى أمر ما من أمور الحج والعمرة ؛ فإنه كما أخبرت أستاذ « فى الإرشاد » .

(١) بعير مهزول أتعبه بعد السفر فهزله . (٢) طريق بعيد . (٣) أى ليزيلوا وسخهم بقص الشارب والأظفار وتطهير النفوس من أدران المعاصى . (٤) متعبدا يقصدون اليه .

وفى اليوم الحادى عشر من ذى الحجة من العام المشار إليه، جلست بشعر منًى مع حضرة المربى المفضال "مرزوق بك إبراهيم" من كبار نظار المدارس الأميرية، أحد النازلين معى عند المطوّف، نتذاكر فى كتاب قد استحضره من مصر، فيه أركان الحج وواجباته وسننه ومستحباته. استعرضنا ما عملناه على ما ورد بالكتاب المذكور فخرج كل واحد منا بوجوب ذبح شاة عن كل واجب قد تركه، فحمدنا الله عز وجل على عدم تقصيرنا فى واحد من الأركان التى لا تجبر بدم.

وكان نصيبى ذبح ثلاث شياه ما كان أحوج فقراء الحرم الكثيرين إلى ثمنها، لو كنت راجعت بنفسى أعمال الحج والعمرة بالتفصيل، ولم أسلم أمر إرشادى لرجل لم أقابله إلا فى بلد الله الحرام.

ولقد ذبحت ما ذبحته عن طيب خاطر، راجيا من الله القدير أن يقبل منى حجى وعمرتى وطوافى وسعيى فأعود مغفورا لى.

على أن ما بذلته فى شراء الفدية لم يكن شيئا مذكورا عندى بجانب ما تركته من الواجبات التى فعلها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع. وعلى الرغم من أنى جبرت ما فاتنى من الواجبات بذبح الشياه، لم أطب بذلك نفسا، فطلبت من الله تعالى العودة إلى بيته المعظم فأعمل بمشيئة الله تعالى ما عمله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فى حجته لا أنقص منها ولا أزيد.

عدت بعناية الله تعالى إلى الأقطار المصرية وأخذت فى مراجعة كتب الفقه الخاصة بفريضة الحج؛ إذ أنها الفريضة التى تمتاز عن غيرها من الفرائض بكثرة أفعالها ودقة شعائرها، وأن الخطأ فى بعضها قد يترتب عليه فساد الحج أو جبره بدم قد يتعدى الشياه إلى البُدْنِ « الإبل ».

ولهذا جعلها الله عزت قدرته آخر أركان الإسلام لمن استطاع إليها سبيلا رحمة منه وإحسانا، فله الفضل وله المنة؛ وبعملى هذا أصبحت ولله الحمد ملما بأعمال هذه الفريضة المقدّسة، وساعدنى على فهمها جيدا مشاهداتى هناك.

وقد بلغ من اعتنائى ببحث هذه الفريضة أن عملت رسوما عن مشاعرها التى شاهدها سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع، التى أصبحت مشكاة يهتدى بها فى أداء هذه الفريضة، وغدت مرجعا يرجع إليه عند الاختلاف فى أفعالها، وأمست دستورا يهدى إلى سبيل الرشاد .

ولقد انتهيت من البحث فى بطون الكتب فى أواخر عام ١٣٥٤ الهجرى الموافق عام ١٩٣٦ الميلادى، فطلبت من الله العزيز الوهاب أن يوفقنى لأداء حجة ثانية ، فكان من نعمه علىّ وإحسانه إلىّ أن سهل لى الطريق، وخرجت حاجا فى العام المذكور . فأحمدك اللهم حمد الشاكرين لك؛ فقد ألبستنى حلل نعمك ، فلم تترك ثوب نعمة إلا أنعمت به علىّ فأصبحت مدينا لعظمتك إلى يوم أن ألقاك .

أديت هذه المرة فريضة الحج كما أرشد سيد الأنبياء ومرشد الإنسانية الأعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خير من لبى وحج واعتمر وطاف وسعى، الداعى إلى أقوم طريق فى الحياة الدنيا والآخرة، فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه وإخوانه من النبيين والمرسلين .

لم أدع شيئا من هديه عليه الصلاة والسلام إلا فعلته فكان اغتباطى بذلك عظيما . ووددت لو أن الحجيج أدّاها كما أدّيتها ، فيكون قد شاهد مشاهد رسوله الكريم . وأنى له ذلك، وقد لا يهمه من أداء هذه الفريضة إلا الطواف بالكعبة المشرفة، والسعى بين الصفا والمروة، والوقوف بعرفات، ورمى الجمرات .

و يا ليته يعرف حكمة ما أدّى من المناسك . فالواقع أن معظم الذين يحجون إنما يؤدّون عملا آليا محضا قد غاب عن الكثير منهم حكمته . لا يعرفون من الأمر إلا ظاهره، فيذهبون إلى الحج و يعودون منه كذهابهم وعودتهم من كل سفر دون أن تتحقق بذهابهم وعودتهم فائدة من الفوائد الاجتماعية العظيمة للإسلام؛ وما شرع الحج إلا من أجل هذه الفوائد .

ومتى جهلت حكمة العمل العظيم، أصبح العمل العظيم صغيرا؛ إذ يؤدّى بغير روحه و يقصد به غير وجهه . عدت إلى الوطن المحبوب وقد رجوت بحسن ظنى

أن الله الغفور الرحيم قد غفر لى ذنبي ، فقد تحرّيت فعل من قال فى حقه :
﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ .

أخذت أفكر فى الطريقة التى أتبعها فى نشر ما وقفت عليه من بحثى فى بطون الكتب الخاصة بهذه الفريضة ذات السر العظيم والحكم الجليلة ؛ حتى يمكن لمن يريد أداءها أن يسلك الطريقة التى سلكتها ، وبهذا يكون قد اهتدى بهدى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

وبينما أنا أفكر فى هذا كله إذا بى ألهمت أن أضع رسالة فى الحج والعمرة وحكمة مشروعيتهما ، أذكر فيها كيفية أداء المناسك طبق أعمال النبي صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع ؛ وأن أبين بالرسم المشاعر التى وقف فيها وما قررته المذاهب فى الحج ؛ وأن أعمل فيها أيضا جداول أقرن فيها بين الأركان والواجبات والسنن والمستحبات عند الأئمة الأربعة رضوان الله عليهم أجمعين ؛ وأن أذكر فيها أيضا حكمة الحج والعمرة باختصار ؛ وأن أرجع مسائل هذه الرسالة إلى الأدلة البعيدة عن الضعف والخلل والابتداع الذى دخل على العبادات من جميع جهاتها .

وبذلك كله يمكن من طالعها أن يكون على هدى و بصيرة عند قيامه بأداء هذه الفريضة الجليلة ؛ وأن أجعل فى الرسالة بحثا خاصا بالسيدات اللائى يدركهن الحيض أو النفاس أثناء قيامهن بالحج ، مقتبسا ذلك البحث مما حصل للسيدة أسماء بنت عميس زوجة سيدنا أبى بكر الصدّيق رضى الله عنهما التى ولدت قبل أن تحرم ، ومما حصل لأم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها حرم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم التى حاضت بعد الإحرام ، ومما حصل أيضا للسيدة صفية أم المؤمنين رضى الله عنها التى حاضت بعد أن طافت بالبيت طواف الإفاضة ، حتى يمكنهن الرجوع إليه عند الحاجة .

وبذلك أكون قد أديت ما وجب علىّ نحو إخوانى المسلمين فى جميع بقاع الأرض طرا ، وقد شجعنى على ذلك كثير من فضلاء المصريين ، أذكر منهم حضرة

صاحب العزة « محمد شريف بك » المستشار بالاستئناف الأهلي ، وحضرة المفضال « الحاج محمد بك فائق » كبير مفتشي مصلحة المساحة والمناجم بالإسكندرية .

وهأنذا أعتمد على الله في وضعها ، وقد سميتها " الرسالة الفاروقية الخالدة في مناسك الحج والعمرة " تيمنا باسم حضرة صاحب الجلالة " فاروق الأول " ملك الدولة المصرية أعز الله به الإسلام ، ولتكون هذه الرسالة تذكارا لعام ارتقائه عرش أجداده الذين تمسكوا بأهداب الدين الحنيف فأعزهم الله .

هذا ، وقد رأيت إتماما للفائدة أن أورد في هذه الرسالة خطبة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الخالدة التي قالها في عرفات في حجة الوداع ؛ للاطلاع عليها وتذكره صلوات الله وسلامه عليه وهو راكب ناقته القصواء يلقيها — مستمدا ذلك من الوحي الإلهي — على الجموع الحاشدة التي أتت إليه من كل فج ، والكل خاشع كأنما على رءوسهم الطير ، مرهفة آذانهم لسماعها ، حتى إذا ما انتهى منها تناقلتها ألسنة مائة ألف أو يزيدون ممن حضر معه الحج ، فحفظها الكثير عن ظهر قلب ، ولقد ذكرتها في رسالتي هذه لتكون عبرة لنا وعظة .

وأن أذكر في هذه الرسالة أيضا فصلا في آداب زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم فإنها من الأهمية بمكان عظيم .

ولا شك أن من طالع هذه الرسالة وعمل بما جاء بها فقد فاز بحجة صحيحة مبرورة كما حجها سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم .

وسأسلك فيها بمشيئة الله تعالى مسلكا حسنا يهون عليك أداء المناسك على أحسن تفصيل وأتم وجه . والله سبحانه وتعالى يهدينا إلى سواء الصراط .

وقبل أن أتكلم على مقدّمات الحج ، أرى لزاما عليّ أن أصف لك المسجد الحرام ومشتملاته وشارع المسعى لارتباط ذلك بموضوع الرسالة .

المسجد الحرام

يقع المسجد الحرام فى وسط مكة المكرمة، وهو مستطيل منتظم الشكل تقريبا، وطول ضلعه الشمالى المقابل للحطيم ١٦٤ مترا، وضلعه الشرقى الذى فيه باب السلام يبلغ طوله ١٠٨ أمتار، وضلعه الجنوبى يبلغ طوله ١٦٦ مترا، وأما ضلعه الغربى فيبلغ طوله ١٠٩ أمتار؛ فيكون مسطحه ١٧٩٠٢ من الأمتار أى نحو أربعة أفدنة مصرية وستة قراريط .

ويحيط به من جهاته الأربع مبان متصلة به : بعضها يستخدم فى السكنى، وبعضها الآخر فى مقاصد أخرى ؛ وعلى امتداد محيطه من الداخل أنشئت أربعة أروقة مسقوفة فى عرض ثلاثة عقود « بواك » قائمة على ٣١١ عمودا : بعضها من الرخام المتين وبعضها من الحجر الأحمر يحمل كل أربعة منها قبة نخمة؛ وأما ما بقى منه فهو عبارة عن صحن متسع غير معروش، تقطعه مماش مرصوفة بالحجر تقسمه إلى مساحات مختلفة الشكل مفروشة بالحصى الصغير ؛ والكعبة المشرفة فى وسط هذا الصحن تقريبا .

أبواب المسجد

بالجهة الشرقية منه خمسة أبواب وهى :

(١) باب السلام، (٢) باب قايتباى، (٣) باب النبى، (٤) باب العباس، (٥) باب على .

وبالجهة الجنوبية منه سبعة أبواب وهى :

(١) باب بازان، (٢) باب البغلة، (٣) باب الصفا، (٤) باب أجياد الصغير، (٥) باب المجاهدية، (٦) باب مدرسة الشريف عجلان، (٧) باب أم هانئ .

وبالجهة الغربية منه خمسة أبواب وهى :

(١) باب الحذورة، (٢) باب إبراهيم، (٣) باب صغير غير مسمى، (٤) باب الداودية، (٥) باب العمرة .

وبالجهة الشمالية منه ثمانية أبواب وهى :

(١) باب عمرو بن العاص ، (٢) باب الزمامية ، (٣) باب العجلة ، (٤) باب القطبى ، (٥) باب سويقة ويعرف الآن بباب الزيادة ، (٦) باب المحكمة ، (٧) باب الكتبخانة ، (٨) باب دريبة .

مآذن المسجد الحرام

للمسجد الحرام سبع مآذن وهى :

(١) مئذنة باب العمرة ، (٢) مئذنة باب السلام ، (٣) مئذنة باب على ، (٤) مئذنة باب الوداع « الحذورة » ، (٥) مئذنة باب الزيادة ، (٦) مئذنة قايتباى ، (٧) مئذنة السلمانية .

مشتملات المسجد الحرام من الداخل

يشتمل المسجد الحرام من الداخل على :

(١) الكعبة المكرمة وهى فى وسط دائرة المطاف ويتبعها الحطيم وسيأتى الكلام عليها مختصرا ومفصلا .

(٢) بئر وقبة زمزم ، وهى على حدود المطاف من جهة الجنوب الشرقى للكعبة المشرفة .

(٣) مقام سيدنا الخليل إبراهيم صلى الله عليه وسلم ، وهو داخل دائرة المطاف وإلى جهة الشرق من الكعبة المشرفة .

(٤) باب بنى شيبة ، وموقعه شرق زمزم إلى الشمال أمام مقام سيدنا الخليل إبراهيم من الجهة الشرقية ؛ وهو قائم على عمودين من الرخام وقد كتب عليه : ﴿ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ ﴾ ، ﴿ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴾ ، وذلك فى الجهة الشرقية . وأمّا الجهة الغربية منه وهى المقابلة لمقام سيدنا الخليل إبراهيم فقد كتب عليها : ﴿ اللهُ جَلَّ جَلَالُه ﴾ ، ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ . وهذا الباب عبارة عن قوس نصر ، واحتفظ بمكانه الحالى لأن الرسول صلى الله عليه وسلم دخل منه فى حجة الوداع .

وبين باب بني شيبة والحجرة التي فيها بئر زمزم يوجد سلمان كبيران يستعملان لصعود ملوك الإسلام إلى جوف الكعبة .

(٥) المنبر، وهو من الرخام الجميل الموشى بماء الذهب، وهو غاية في الجمال وحسن الصناعة، ومكانه بالقرب من مقام الخليل إبراهيم من الجهة الشمالية .

(٦) السقائف التي أقيمت على حدود المطاف وبالقرب منها لصلاة الأئمة : واحدة للإمام الحنفي وهي أكبر السقائف وأجملها ذات طبقتين، وهي واقعة في الجهة الشمالية، والأخرى للإمام المالكي وتقع في الجهة الغربية، والثالثة للإمام الحنبلي وهي في الجهة الجنوبية، وأما الإمام الشافعي فمصلاه أمام باب الكعبة . « انظر الرسم رقم ١ » .

ملاحظة : أبطل حضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز عبد الرحمن السعود ملك الدولة العربية السعودية تعدّد الجماعات في الصلاة، وجعلها جماعة واحدة « فنعم ما صنع » .

الكلام على الكعبة المشرفة

قال الله تعالى : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ .

فمن وقت أن صارت الكعبة قبلة المسلمين أصبحت مركز الدائرة التي تربط المسلمين بعضهم ببعض بحبل الدين المتين : دين التوحيد والمساواة والإخاء والحرية الحقة، وصار لها في نفوسهم من الإجلال والإكبار مالم يكن لغيرها، وبوساطتها توحدت الغاية الدينية بين جميع المسلمين، وتضامن الجميع في الوصول إلى الله تعالى .

والناظر إلى الكعبة في كل زمان ومن كل جهة يؤخذ بعظمتها، وتغشاه مهابتها، فيخضع لعامل الرهبة والخوف من الله تعالى، ويخلص له في العبادة بنية صادقة وعزيمة قوية، مؤمنا بعظمته وجبروته وتصرفه المطلق في عباده .

وصف الكعبة من الخارج

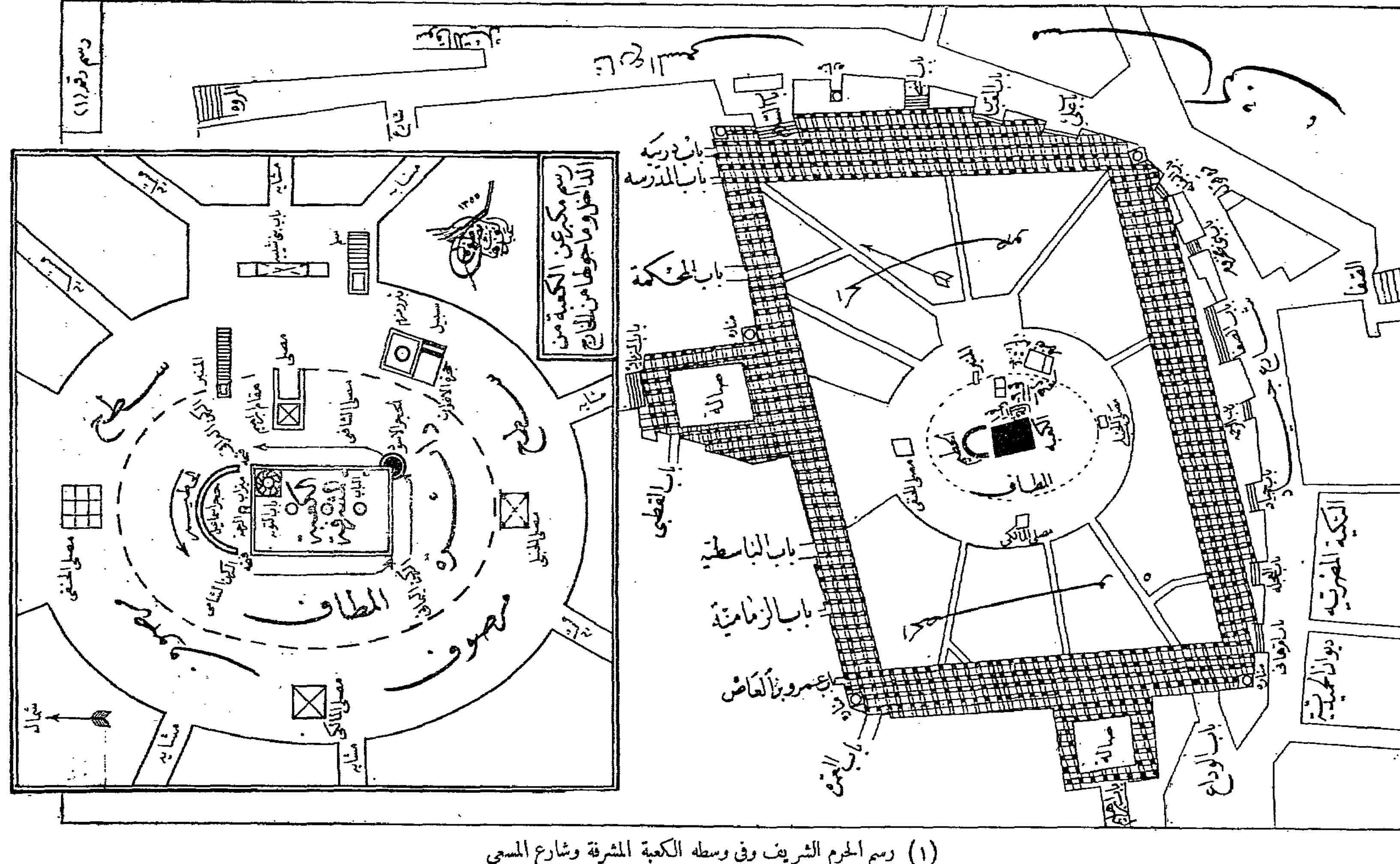
فى وسط المسجد الحرام تقريبا وفى منتصف دائرة المطاف منه تحقيقا بناء فخم عظيم الهيبة، يمثل حجرة كبيرة مرتفعة البناء مربعة الشكل تقريبا ، هى المعروفة بالكعبة أو "بيت الله الحرام" — انظر الرسم رقم (١) — ، وهى قديمة العهد جدا قال الله سبحانه وتعالى فى حقها : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ . فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ .

والذى بناه سيدنا إبراهيم الخليل وولده سيدنا إسماعيل عليهما الصلاة والسلام قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ . وقد كان البيت موجودا من قبل بدليل قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ ﴾ .

ويبلغ ارتفاع الكعبة ١٥ مترا، وطول ضلعها الشمالى «البحرى» ٩,٩٢ أمتار وطول ضلعها الشرقى ١١,٨٨ مترا وفيه الباب ويرتفع عن الأرض مترين تقريبا ، ويصعد إليه بمدرج ويبلغ ارتفاعه هو مترين ، وطول ضلعها الجنوبى « القبلى » ١٠,٢٥ أمتار، وأما ضلعها الغربى فيبلغ طوله ١٢,١٥ مترا، ويلاصق جدر الكعبة من أسفلها بناء من الرخام يسمى بالشاذروان أقيم تقوية للجدران لحمايتها من مياه الأمطار ، وبدائره من الجهات الأربع حلقات من النحاس الأصفر .

وللكعبة أركان أربعة فى زواياها : يسمى ما بالجهة الشمالية بالركن العراقى ، وما بالجهة الغربية يسمى بالركن الشامى ، وما بالجهة الجنوبية يسمى بالركن اليمانى ، وما بالجهة الشرقية يسمى بالركن الأسود ، وبه الحجر الأسود الذى وضعه إمام الموحدين سيدنا إبراهيم فى هذا الركن من الكعبة ليكون مبدأ للطواف ، والجزء المحصور بينه وبين الباب يسمى بالملتزم .

ولقد كتبنا اسم كل ركن من هذه الأركان فى محله بالرسم رقم (١) لتسترشد به عند الطواف الذى سأشرح لك كيفيته فى موضع آخر من هذه الرسالة .



(١) رسم الحرم الشريف وفي وسطه الكعبة المشرفة وشارع المسعى

والكعبة مبنيـة من الحجـارة الصماء ذات الحجم الكبير واللون الأزرق الجميل ، وسطحها مفروش بألواح المرمر ، وبدائره من الجهات الأربع حلقات من النحاس الأصفر تربط بهـا الكسوة الخارجيـة حتى تكون مسدولة على الجدران ، وتربط الكسوة من أسفل بالحلقات النحاسية المثبتة بالشاذروان المشار إليه ، وفى أعلى الجدار الشمالى يوجد الميزاب ، وهو مصنوع من الذهب الخالص ، مطل على حجر إسماعيل ، وقد وضع فى محله الحالى لتصريف مياه المطر الذى ينزل على سطح الكعبة .

وكسوة الكعبة من الحرير الأسود المتين مكتوب فيها بالنسخ ﴿الله جل جلاله﴾ ﴿لا إله إلا الله محمد رسول الله﴾ وذلك فى كل جزء من الكسوة ، حتى إنك لا ترى فيها جزءا غير مشغول بكتابة هذه الألفاظ التى يروق لك منظرها ؛ فقد كتبت بخط جميل فى ذات النسيج .

وتتغير كسـوة الكعبة فى كل عام فى صباح يوم العيـد الأكبر ، الذى هـو ميعاد استبدال الكسوة الجديدة التى ترسلها الدولة المصرية سنويا بالكسوة القديمة .

وصـف الحطيم

وفى الجهة الشمالية من الكعبة المشرفة يوجد الحطيم ، وهو ما حطم من الكعبة وكسر ، وهو بنـاء مستدير على شكل نصف دائرة تقريبا — كما هو موضح بالرسم رقم (١) — وارتفاع هذا البناء ١,٣٠ متر ، وعرض جداره ١,٥٠ متر ، وهو مبطن بالرخام ، وأحد طرفيه محاذ للركن العراقى ، والآخر محـاذ للركن الشـامى ، وسـعة الفتحتين اللتين فى طرفيه ٢,٣٠ من الأمتار تقريبا ، والأرض التى بين جدار الكعبة وبين الحطيم معروفة بحجر إسماعيـل ، ويدخل إليها من الفتحتين المشـار إليهما ، وهى مفروشة بالرخام ذى الألوان الجميلة .

وعلى ذكر الحطيم أقول كلمة قصيرة عنه للأهمية :

قبل نبوة سيدنا محمد صلى الله عليـه وسلم بخمس سنين ، أصاب الكعبة المشرفة وهن ، رأى القرشيون معه أن يجددوها ، فاتفقوا على ذلك وحددوا ميعادا لمباشرة

هذا العمل الجليل، وعند البدء فى تنفيذ ما اعتزموا عليه قال قائل منهم : لاتدخلوا فى بنائها من كسبكم إلا طيبا ؛ لا يدخل فيها مهر بغى، ولا بيع ربا ، ولا مظلمة أحد من الناس؛ ولعدم تيسر النفقة الحلال التى أعدوها لعمارتها، نقصوا من طولها أذرعا جعلوها فى الحجر،وعلى هذا يكون فى الحجر مقدار من أصل الكعبة ومن دخل الحجر فكأنما دخلها .

ولقد نوه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الموضوع إذ قال لأم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها بعد عام الفتح وبعد إسلام أهل مكة ومن حولها، " يا عائشةُ لولا أن قومَك حَديثُو عهدٍ بشِرْكٍ لهدمتُ الكعبةَ فألزقتُها بالأرض وجعلتُ لها بابًا شرقيا وبابًا غربيًّا وزدتُ فيها ستةَ أذرع من الحِجْرِ، فإنّ قريشًا آستقصرَتْها حيثُ بَنَتِ الكعبةَ " وهذا الحديث ورد فى الصحيحين .

وصف الكعبة من الداخل

يحمل سقف الكعبة من داخلها ثلاثة أعمدة من خشب العود الماوردى الجيد على صف واحد من الشمال إلى الجنوب، وعلى يمين الداخل للكعبة فى زاوية الركن الشمالى الشرقى باب يصعد منه على مدرّج إلى أعلاها يقال له باب التوبة ، مسدول عليه ستارة من الحرير مكتوب عليها بعض آيات قرآنية بخط جميل .

وسقف الكعبة منقوش بالنقوش العربية البديعة ، ومعلق به بقايا الهدايا الثمينة التى أهديت إليها من الملوك فى العصور الماضية، وبحيطانها من الداخل شبه إزار من الرخام على ارتفاع مترين .

ولقد كتب على جدرانها من الداخل أسماء من عَمَر أو جدّد شيئا فيها أو فى المسجد الحرام وتاريخ كل عمارة وكل تجديد .

ولقد كسيت الجدران من الداخل بالأطلس الأحمر الجميل ، وملئ كل ثوب من الأثواب المتممة للكسوة بكتابة ما يأتى بخط جميل جدا بالحرير الأبيض فى الأطلس الأحمر :

« يا منان » فى شكل هندسى جميـل وتكرر كتابتها إلى آخر عرض الثوب ثم «يا سلطان» «يا سبحان» كتب كل منهما داخل دائرة فى السطر الثـانى وتكررت كتابتهما إلى آخر عرض الثوب، وقد كتب فى السطر الثالث بين «ياسبحان، ياسلطان» كلمـة « يا حنان » فى شكل هندسى جميل هو عبارة عن مقلوب الشكل الهندسى الذى كتب فيـه كلمة « يا منان » ثم فى السطر الرابع : ﴿ قَـدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَـنَّكَ قِبْـلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾. وذلك بين أربعة خطوط مستقيمة كل اثنين منهما يكوّنان رقم ٨ وتكرر كتابتها إلى آخر عرض الثوب، وفى السطر الخامس كتب « لا إله إلا الله محمد رسول الله » وتكرر كتابتها إلى آخر عرض الثوب ؛ وفى السطر السادس كتب « سبحان الله و بحمده سبحان الله العظيم » وتكرر كتابتها إلى آخر عرض الثوب .

وبإعادة كتابة ما ذكر على الترتيب المـذكور إلى آخر طـول الثوب وبالتئـام الأثواب بعضها إلى بعض، تتكوّن كسوة الكعبة المشرفة من الداخل على شكل يأخذ بمجامع القلوب ويبهر الأبصار .

وصف دائرة المطاف

يحيط بالكعبة المشرفة مسطح من الأرض على شكل دائرة بيضية مختلفة الأبعاد يسمى بالمطاف ، وأكبر قطر به هو الممتد من الشمال إلى الجنوب وذرعه ٥١ مترا ، ومتوسط محيط هذه الدائرة يساوى ١٠٠ متر، وأرض هـذا المطاف منخفضة عن أرض الحرم قليلا وقد فرشت بالرخام .

ويحيط بهذه الدائرة ثمان وثلاثون عمودا من النحاس ، وقد طليت بلون أخضر جميل، يتصل بعضها ببعض بعوارض من حديد، علق فى كل عارضة جملة مصابيح وفى بعضها ثُرَيَّات تضاء ليـلا بالتيار الكهربائى للطائفين والعاكفين والركع السـجود .

وصف مقام الخليل إبراهيم

هو عبارة عن قبة قائمة على أربعة أعمدة، أحاطت بها مقصورة نحاسية مربعة، ضلعها ثلاثة أمتار ونصف متر، وبداخلها المقام (الحجر) الذى كان يقف عليه سيدنا إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وقت بناء الكعبة؛ قال عنه القاضى عز الدين ابن جماعة : حررت لما كنت مجاورا بمكة سنة ٧٥٣ هـ مقدار ارتفاع المقام عن الأرض فكان ٧/٨ الذراع ، وأعلى المقام مربع من كل جهة ٣/٤ الذراع ، وموضع غوص القدمين ملبس بالفضة، وعمقه من فوق الفضة سبعة قراريط ونصف قيراط من ذراع القياس المستعمل فى مصر اهـ .

وبجانب هذا المقام سقيفة صغيرة يصلى بها الناس ركعتى سنة الطواف قال الله تعالى فى كتابه العزيز : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ .

وصف الحجر الأسود

هو حجر صقيل بيضى الشكل غير منتظم، لونه أسود مائل إلى الحمرة به نقط حمراء وتعاريج صفراء وقطره ٣٠ سنتيمترا، ويحيط به إطار من الفضة كبير؛ وقد وضع بمبانى الكعبة فى الركن الأسود المجاور لبابها من الجهة الجنوبية؛ ليكون أول حدودها ومبدأ للطواف كما قدمنا . انظر الرسم رقم (١) .

وصف شارع المسعى

يمتد هذا الشارع بين الصفا والمروة فى الجهتين الشرقية والجنوبية من المسجد الحرام، وطوله ٤٢٠ مترا، وتفتح به خمسة أبواب من أبواب الحرم، وينتهى من الجهة الشمالية بالمروة ومن الجهة الجنوبية بالصفا، وكل منهما عبارة عن مسطح مرتفع يصعد إليه بمدرجات قليلة العدد، وبه الميلان الأخضران، وهما عمودان مبنيان فى جدار الحرم : أحدهما تحت مئذنة باب على، والثانى بجوار باب العباس من الجهة الجنوبية، والمسافة التى بينهما تبلغ ٧٠ مترا . انظر الرسم رقم (١). قال الله

تعالى فى محكم التنزيل: ﴿إنّ الصّفا والمَرْوَةَ من شعائرِ اللهِ فَمَنْ حَجّ البيتَ أوِ اعْتَمَرَ فَلا جُناحَ عَليهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ .

الترغيب فى أداء فريضة الحج

أخرج الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : «سُئِلَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم أىُّ الأعمالِ أفضلُ؟ قال : إيمانٌ باللهِ ورسولِه ، قيلَ ثُمّ ماذا ؟ قال : الجهادُ فى سبيلِ اللهِ، قيلَ ثُمّ ماذا ؟ قال : حَجٌّ مَبْرورٌ » وفُسّرَ المبرور بما أخرجه الإمام أحمد والطبرانى فى الأوسط بإسناد حسن وابن خزيمة فى صحيحه والبيهقى من حديث جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الحجُّ المبرورُ ليس له جَزاءٌ إلا الجنةُ . قيل وما بِرّه؟ قال : إطعامُ الطّعامِ وطِيبُ الكلامِ » .

وأخرج البيهقى وابن حبان فى صحيحه عن ابن عمر رضى الله عنهما قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « ما تَرْفَعُ إبِلُ الحاجِّ رِجلا ولا تَضعُ يدا إلّا كَتَبَ اللهُ له بها حسنةً أو محا عنه سيئةً أو رَفَعَهُ بها دَرَجَةً » .

وأخرج البيهقى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت أبا القاسم صلى الله عليه وسلم يقول : «مَنْ جاءَ يَؤُمُّ البَيْتَ الحَرَامَ فَرَكِبَ بَعِيرَه فما يَرْفَعُ البعيرُ خُفّاً ولا يَضَعُ خفا إلّا كَتَبَ اللهُ له بها حسنةً وحَطّ عنه بها خطيئةً ورَفَعَ له بها درجةً، حتى إذا انْتَهَى إلى البيتِ فَطافَ وسَعَى بين الصّفا والمروةِ ثم حَلَقَ أو قَصّرَ خَرَجَ مِن ذُنُوبِهِ كيَومَ وَلَدَتْه أُمّهُ » .

وأخرج ابن خزيمة فى صحيحه والحاكم من حديث ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا : « مَن حَجّ ماشِياً حتى يَرجِعَ إلى مكةَ كَتَبَ اللهُ له بِكلّ خُطْوة سَبْعَمِائَةَ حَسَنةٍ كلُّ حسنةٍ مثلُ حَسَناتِ الحرمِ، قيل : وما حسناتُ الحرمِ؟ قال كلُّ حسنةٍ مائةُ ألفِ حسنةٍ » .

وظاهر هذا الحديث أن جميع الأعمال الصالحة تتضاعف فى الحرم كالمشى والصوم والصدقة وغير ذلك .

ملاحظـة : المسافة المحصورة بين مكة المكرمة وجبل عرفات تقدّر بنحو ٢١ كيلو مترا تقريبا ، يقطعها الراجل فى خمس ساعات ونصف ساعة بالسير المتوسط ، وهى تعدل المسافة ما بين شبرا البلد والقناطر الخيرية، من بلاد مصر التى هى كنانة الله فى أرضه من أرادها بسوء قصمه الله .

وأخرج النسائى وابن ماجه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحُجَّاجُ والعُمَّارُ وَفْدُ الله، إن دَعَوهُ أَجابَهُم وإن استغفروهُ غَفَرَ لهم » .

ولقد كتبت هذا الفصل فى هذه الرسالة لأبين لمستطيعى الحج مقدار الفوائد التى يغتنمونها لو أخلصوا لله عز وجل وقاموا بأداء هذه الفريضة المقدّسة قبل فوات الأجل والوقوع فى حساب غير يسير .

وإنه ليحزننى أن أرى الأغنياء من المسلمين والمسلمات قد أعرضوا عن أداء هذا الفرض المتمم لأركان الإسلام وطرحوه وراءهم ظهريا، كأن لم يأمر به الله عز وجل الذى يقول فى كتابه العزيز : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ البيتِ مَنِ استطاعَ إليه سبيلا ﴾ . وقال عز من قائل فى آية أخرى : ﴿ وأَتِمُّوا الحَجَّ والعُمْرَةَ لله ﴾ . وقال عليه الصلاة والسلام : « بُنِيَ الإسلامُ على خمسٍ : شهادةِ أَن لَّا إلهَ إلّا اللهُ وأنَّ محمدًا رسولُ اللهِ وإقامِ الصلاةِ وإيتاءِ الزكاةِ وحَجِّ البيتِ وصومِ رمضانَ » رواه البخارى فى صحيحه عن ابن عمر رضى الله عنهما .

لقد انقلب الحال رأسا على عقب، فولى الفقراء وجوههم نحو مكة المكرمة لأداء هذه الفريضة مرارا وتكرارا، وولى الأغنياء والأمراء وجوههم نحو باريس ولندن وبرلين وروما وفينا وآثينا وغيرها من بلاد أوروبا للتمتع بمناظرها وجناتها الدنيوية ولم يخطئوها سنة إلى مكة ! !

أليس الحج واجبا عليكم على الفور؟ أليس هو ركنا من أركان دينكم القيم؟ أليس كالصلاة والزكاة وأمور دينكم الأخرى التى أنتم لها فاعلون؟! أليس الحج أسهل عليكم

وأقرب إليكم من الفقير ومتوسط الحال؟! أليس فى نظركم عملا مرضيا ومفيدا؟! أليس الطريق مأمونا لكم؟! ألم تروا الآلاف من مواطنيكم وعشرات الآلاف من إخوانكم المسلمين فى بقاع الأرض يحجون هذه البلاد، ثم يعودون فى أمان واطمئنان؟! ألا تخطئون أوروبا سنة واحدة فى العمر وتولون وجوهكم لمكة المكرمة مرة واحدة؟ ألا! ألا! ألا!

توجهوا ياقوم إلى هذه البلاد كما كان ملوك الإسلام وأمراؤه وعظماؤه وسراته يفعلون، وهناك ترون مؤتمرا عاما من المسلمين بينهم الفقير المحتاج، والمسكين المعوز، والضعيف البائس. هناك تجدون أفئدة وقلوبا توجهت إلى ربها. هناك ترون جمعا كبيرا من مسلمى العالم يرجون من ربهم المغفرة. هناك تؤدون ما وجب عليكم وتخففون لوعة من بهذه البلاد من المساكين والمعوزين مما آتاكم الله من فضله.

إن الطريق يا سراة المسلمين مأمون كثيرا، وإن وسائل الراحة متوفرة لكم، وإنكم لتجدون فى تلك البلاد الحياة الدينية تتجلى فى أبهى مناظرها.

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾. ﴿ هَٰأَنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ ﴾.

الحج أفضل جهاد للنساء

أود أن تعلمى أيتها السيدة الوقورة، أن أفضل الجهاد للنساء حج مبرور عملا بقول النبى صلى الله عليه وسلم؛ فعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: قلت يا رسول الله "أَلَا نَغْزُو أَوْ نُجَاهِدُ مَعَكُمْ"، فقال صلى الله عليه وسلم: "لَا. لَكُنَّ أَفْضَلُ الجهادِ حَجٌّ مبرور"، فقالت عائشة رضى الله عنها: "فلا أَدَعُ الحَجَّ بعدَ إذْ سَمِعتُ هذا مِن رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم" ومعنى هذا أن الجهاد ليس بواجب عليهنّ كما وجب على الرجال، ولم يرد بذلك تحريمه على النساء؛ فقد ثبت أنهن

ألفن جمعية إسعاف ليداوين جرحى غزوات النبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك قبل أن تظهر جمعيات الإسعاف الحالية بأكثر من ١٢٥٠ عاما .

ولقد فهمت السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها ومن وافقها من هذا الترغيب فى الحج إباحة تكريره لهن كما أبيح للرجال تكرير الجهاد .

وقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه متوقفا فى تكرار الحج لهن ، أخذا بقوله تعالى : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ إلا أنه أذن لهن فى آخر خلافته ، ثم كان عثمان ابن عفان رضى الله عنه يحج بهن من بعده وينادى : " ألا لا يَدْنُوَنَّ أحدَ مِنْهن ولا يَنْظُرْ إليهنّ " .

واستُدِلّ بهذا الحديث الشريف على جواز حج المرأة مع من تثق به ولو لم يكن زوجا ولا محرما .

أرأيتِ أيتها المسلمة كيف أن هذا الحديث يحضك على الإسراع لأداء فريضة الحج؟ أرأيتِ كيف يكون الحج أفضل للنساء من الجهاد فى سبيل الله ؟ أرأيتِ كيف استقبلت السيدة عائشة أم المؤمنين هذا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم بقولها : « فلا أدع الحج » ؟ أرأيتِ كيف تغلبت على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فأجاز للنساء تكرار الحج ، فتمكنت من مواصلة الحج فى كل عام ؟ وكان عمرها حين حجت لأول مرة ثمانية عشر عاما ، أرأيتِ كل هذا أيتها المسلمة؟ فلم لاتسرعين إلى أداء هذه الفريضة المقدّسة لتحيي بعدها حياة روحية خالية من وسوسة الشيطان؛ فقد اتضح للنساء اللاتى حججن وهن فى ريعان الشباب " أن الحج يكبت جماح النفس عن الإتيان بالرذائل ويحضها على التمسك بالفضائل " ؛ فأسرعى يا رعاك الله إلى أداء هذه الفريضة إذا ما كنتِ قادرة عليها ، لا تتوانى فى أدائها فالعمر وإن طال قصير ، أسرعى إلى أدائها ليكمل دينك ، أسرعى إلى أدائها تفوزى بالسعادة الدنيوية والأخروية وتشب أولادك على الصلاح والتقوى .

ولا تحسب البنات أننى أحض المتزوجات والأرامل من النساء فقط ، بل إننى أحض كل أنثى قد بلغت الحلم وكانت قادرة على الإتيان بالفريضة ، لتشب من

صغرها على طاعة الله عز وجل وليكون لها مركز ممتاز ومستقبل حسن فى حياتها الزوجية المستقبلة . ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ﴾ .

ما يفعله الإنسان عند عزمه على الإتيان بفريضة الحج

ينبغى لك يا من عزمت على الإتيان بفريضة الحج أن تنظر فى أمر الرفاق والصحاب؛ فقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن سفر الرجل وحده ، وجاء عنه : «الواحِدُ شَيْطانٌ والاثنانِ شيطانانِ والثلاثةُ رَكْبٌ» فلا تخرج إلا فى ركب . ثم اجعلوا من بينكم أميرا عليكم؛ فقد جاء عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «إذا خرج ثلاثةٌ فى سفرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُم» . ويجب عليه ما يجب على الأمير من الحياطة والنصح لرعيته ، وعليهم ما على الرعية من السمع والطاعة .

ثم صل ركعتين فى منزلك قبل خروجك؛ فقد أخرج البيهقى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إذا خرجتَ من منزلِك فَصَلِّ ركعتين تمنعانِكَ مَخْرَجَ السُّوءِ » .

الزاد والنفقة

واجعل زادك ونفقتك من أحل كسبك؛ فقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم : « إنّ اللهَ تعالى طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إلا طَيِّباً » . وهذا الحديث رواه مسلم فى صحيحه ، وأخرج ابن عدى والديلمى فى مسند الفردوس من حديث عمر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إذا حجَّ الرجلُ بمالٍ مِن غَيرِ حِلِّهِ فقالَ لَبَّيْكَ ٱللّهمّ لَبَّيْكَ قالَ اللهُ تعالى لا لَبَّيْكَ وَلاَ سَعْدَيْكَ ، هٰذَا مردودٌ عَلَيْكَ » .

ولقد أحسن من قال :

إذا حججت بمال أصله سحت ... فما حججت ولكن حجت العير

ما يقبل الله إلا كل صالحة ... ما كل حج لبيت الله مبرور

فاجتهد يا هذا أن تكون نفقتك من مال حلال لم يختلط بمال جاء الشرع الشريف بتحريمه : مثل مال اليتيم ، والمال المغتصب ، والمال الذى أتى من ربا وغيره ،

وداع الأهل والأقربين

ثم ودع أهلك والأقربين، وجميع من لك بهم صلة رحم، أو صلة صحبة أو نسب، فقد أخرج ابن عساكر والديلمى عن زيد بن أرقم رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا خرجَ أحدُكم إلى سَفَرٍ فليُوَدِّعْ إخوانَه، فإن اللهَ جاعِلٌ له فى دُعائِهِم البَرَكَةَ » . وكيفية التوديع أن يقول : « أستودِعُ اللهَ دِينَكَ وأمانَتَك وخواتيمَ عملِكَ » كما رواه أحمد وغيره عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وليقل له إخوانه ما ورد به الحديث الحسن الذى أخرجه الترمذى وغيره « زَوَّدَكَ اللهُ التقوَى وغَفَرَ ذنبَك ويسَّرَ لك الخيرَ حيثُما كنتَ » .

ما يقال عند النهوض للقيام

فإذا نهضت للقيام فقل : « اللّهمَّ بِكَ انْتَشَرْتُ ، وإليكَ توجَّهْتُ ، وبكَ اعتَصَمْتُ ، وعليك توكلتُ . اللهمَّ أنتَ ثِقَتِي وأنت رَجائى . اللهم اكفِنِي ما أهَمَّنِي ، وما لا أهتمُّ له ، وما أنت أعلمُ به مِنِّي . عَزَّ جارُكَ ، وجَلَّ ثناؤكَ ، ولا إلَه غيرُكَ . اللهم زوِّدْنِي التَّقْوَى واغفِر ذنبِي ووجِّهنِي للخير أيْنَما توجَّهْتُ » . وهذا الدعاء كان يقوله سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند إرادة السفر . أخرج ذلك البيهقى وغيره عن أنس .

وفى صحيح مسلم أنه كان إذا سافر عليه الصلاة والسلام قال : « اللهم أنت الصاحبُ فى السفرِ والخليفةُ فى الأهلِ . اللهم اصْحَبْنا فى سفرِنا واخْلُفْنا فى أهلِنا . اللهم إنى أعوذُ بك من وَعْثاءِ السفرِ وكآبةِ المُنْقَلَبِ ، ومِنَ الحَوْرِ بعدَ الكَوْرِ ، ومِنْ دَعوةِ المظلومِ ، ومِنْ سُوءِ المنظَرِ فى الأهلِ والمالِ » .

ما يقال عند ركوب الدابة أو ما يماثلها

فإذا ركبت راحلتك أو ما يقوم مقامها فقل : « الله أكبر . الله أكبر . الله أكبر . سُبْحَانَ الذى سَخَّرَ لنا هٰذا وما كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وإنَّا إلَى رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ » ؛ ثم قل « اللهم إنى أسألُكَ فى سفرى هذا البِرَّ والتَّقْوَى ومِنَ العمَلِ ما تَرْضَى . اللهم هَوِّنْ

علينا السفرَ وٱطوِ لنا البُعْدَ . اللهم أنت الصَّاحِبُ فى السفَرِ ، والخليفةُ فى الأهلِ . اللهم ٱصْحَبْنَا فى سفرِنا وٱخلُفْنا فى أهلِنا» .

فإذا تقدّمت وقطعت مرحلة من الطريق وأردت النزول لتستريح فقل : «أعوذُ بكلمات الله التامّاتِ مِن شرِّ ما خَلَق» وإذا أدركك الليل فقل " يا أرضُ رَبِّى وربُّكِ اللهُ . أعوذُ باللهِ مِن شَرِّكِ وشرِّ ما فيكِ وشرِّ ما خُلِقَ فيكِ وشرِّ ما يَدِبُّ عليكِ . أعوذُ باللهِ مِن شَرِّ كُلِّ أسَدٍ وأسْوَدَ وحَيَّةٍ وعَقْرَبٍ ، ومِن شرِّ ما سَكَنَ البَلَدَ ، ومِن شرِّ والدٍ وما وَلَد " كل هذا ثابت فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ما يقال عند دخول كل قرية

وإذا رأيت قرية وأردت المرور منها فقل حين تراها " اللهم ربَّ السَّمٰواتِ السبعِ وما أظْلَلْنَ ، وربَّ الأرَضينَ السَّبعِ وما أقْلَلْنَ ، وربَّ الشياطينِ وما أضْلَلْنَ ، وربَّ الرياحِ وماذَرَيْنَ ؛ نسألُكَ خيرَ هٰـذِهِ القَرْيَةِ وخيرَ أهلِها وخيرَ ما فيها ، ونعوذُ بكَ مِن شرِّها وشرِّ أهلِها وشرِ ما فيها " هذا الدعاء مروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومما نرشد إليه المسافر اقتداء بما فى الأحاديث الشريفة :

أنه إذا أشرف على وادٍ هلل وكبر ، وإذا هبط سبح ، وإذا عثرت به دابته فليقل بسم الله ، وإذا انفلتت فليقل يا عباد الله ٱحبِسوا ، وإذا أراد عونا فليقل : يا عباد الله أعينونى ، يا عباد الله أعينونى ، وإذا بدا له الفجر قال : سَمِعَ سامِعٌ بِحَمْدِ اللهِ ونِعْمتِه وحُسنِ بَلائِه علينا . رَبَّنا صَاحِبْنا وأفْضِلْ علينا . عَائِذًا باللهِ من النارِ .

ما يجب على الحاج نحو رفقائه

إذا ما خرجت وسرت مع رفقائك فأحسن عشرتك معهم وألِن لهم جانبك واعمل معهم فيما يعملونه ، كافًّا لسانك إلا عن الخير ، وجوارحك إلا عن فعل المعروف ، وإغاثة الملهوف ، محتملا للجافى جفاءه ، وللمؤذى إيذاءه ؛ فقد ورد أنه ما تجهزت رفقة للحج إلا جهز إبليس معها رفقة من أجناده تؤزهم إلى الشر أزا ، وتبعدهم عن الخير بعدا ، وتثير الأخوين ، فالسعيد من عصمه الله تعالى . وابذل

زادك للمحتاجين من غير إسراف؛ فقد تقدم تفسير الحج المبرور بإطعام الطعام وطيب الكلام .

وينبغي لك أيها الحاج أن تقصر الصلاة الرباعية بأن تؤدي الظهر ركعتين والعصر ركعتين والعشاء ركعتين ، والاقتصار على الفرائض دون نوافلها ، إلا سنة الفجر والوتر، فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يتركهما . أما صلاة الصبح والمغرب فتؤديان كاملتين .

وكان من هديه صلوات الله وسلامه عليه أنه إذا كان مسافرا وارتحل بعد زوال الشمس جمع العصر إلى الظهر وصلى الصلاتين معا ، وإذا ارتحل قبل الظهر أخره إلى العصر فينزل لهما معا ، وكذلك المغرب والعشاء[1] .

بحث في المواقيت الزمانية والمكانية

كما للصلاة المفروضة مواقيت مخصوصة تؤدى فيها ، فوقت العصر مثلا عند ما يصير ظل كل شي مثله ، ووقت المغرب عند غروب الشمس ، ووقت العشاء عند مغيب الشفق الأحمر .

كذلك للحج مواقيت زمانية ، ومواقيت مكانية ، فمواقيته الزمانية أقتت من لدن رب العزة حيث قال في كتابه العزيز : ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ .

ولقد جاءت هذه الآية الكريمة ، بعد الأمر بالفريضة فإنه لما قال عز وجل : ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ بين لنا جل شأنه أشهر الحج في قوله تعالى : ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ ﴾ . ولم يسم هذه الأشهر لأنها كانت معلومة عند العرب ، وحذف ما يعلم جائز .

---

(١) لكن (الحنفية) يخصون جواز الجمع بين الصلاتين بالحجاج المسافرين إذا كانوا بعرفة أو بمزدلفة ، ويقولون إن ما روى من الأحاديث الدالة على العموم محمول على تأخير الأولى الى آخر وقتها وتقديم الثانية في أول وقتها . (والشافعية) لا يمنعون النوافل في السفر .

ولقد بين ابن عباس رضى الله عنهما هو وجماعة من الصحابة رضوان الله عليهم، أن أشهر الحج هى شوّال وذو القعدة وعشر من ذى الحجة .

وعلى هذا تكون جميع أيام العام وقتا للإحرام بالعمرة إلا أنها تكره — كما يقول الحنفية — فى يوم عرفة ويوم العيد « الأضحى » وأيام التشريق الثلاثة التى تليه .

مواقيت الحج المكانية

أما مواقيت الحج المكانية فإنها تختلف باختلاف الجهات التى يقدم منها المسلمون إلى بيت الله الحرام .

ولما كانت رسالتى هذه ليس مقصورا نفعها على المصريين خاصة، بل سيعم نفعها — كما أرجو من الله تعالى — جميع المسلمين فى بقاع الأرض طرا، بانتشارها بعونه عز وجل فى ربوعها ؛ فإنها الرسالة الأولى من نوعها . جاءت بقدرته تعالى شارحة المناسك شرحا وافيا بالأدلة البعيدة عن التغيير والتحريف، وبالرسوم الفنية التى تهدى الحجيج إلى مشاعر الحج التى شاهدها الرسول الأعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

لما كان هذا حال رسالتى، كان لزاما علىّ أن أبين مواقيت إحرام كل جهة من جهات المعمورة، ليكون كل مسلم ومسلمة على هدى وبصيرة من ميقات إحرامه .

بيان أمكنة المواقيت

روى الشيخان عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: "وَقَّتَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم لأهل المدينة « ذا الحُلَيْفَة » ولأهل الشام «الجُحْفَة» ولأهلِ نجدٍ « قَرْنَ المنازِلِ» ولأهل اليمنِ «يَلَمْلَمَ»، وقال صلى الله عليه وسلم مامعناه: هُنَّ لأهلِهِنّ ولِمَن مَرَّ عليهنّ من غير أهلهنّ ممن يريد الحج والعمرة، ومن كان منزلُه دونهنّ فَمُهَلُّهُ مِنْ أهلِهِ، حتى أهلُ مَكَّةَ يُهِلُّونَ مِن مكة" أى يلبون بالحج منها . وروى عن عائشة رضى الله عنها " أن النبى صلى الله عليه وسلم وَقَّتَ لأهل العراقِ ذاتَ عِرْقٍ" .

وصف المواقيت المذكورة

« ذو الحليفة » يعـرف الآن بآبار عليّ وهى أبعد المواقيت من مكة المكرمة ، لأن المسافة التى بينهما تقرب من ٤٦٤ كيلو مترا ، وتبعد عن المدينـة المنورة بسـبعة كيلو مترات تقريبا (ومنها أحرم سـيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قارنا فى حجـة الوداع فى ٢٥ من ذى القعدة سـنة ١٠ هـ) . وهى ميقات أهلها وأهل المدينة المنورة بنور النبى صلى الله عليه وسلم ، وميقات من مر بها .

وأما «الجحفة» — بضم الجيم وسكون الحاء — فهى قرية كانت معمورة قديما وهى الآن خربة وكانت تسمى مهيعة ، ولكونها خربة صار الناس يحرمون من القرية التى قبلها وتسمى «رابغا» وهى ميقات أهلها وأهل مصر والشأم و بلاد المغرب وأوروبا ، وكل من مر بقناة السويس قاصدا التوجه إلى بيت الله الكريم أولا ، وهؤلاء يحرمون عند محاذاتها فى البحر ، وتبعد عن مكة المكرمة بمقدار ٢٢٠ كيلو مترا تقريبا .

وأما «قرن» بفتح القاف وسكون الراء ، فهو جبل مشرف على عرفات و يقال له «قرن المنازل» وهو ميقات أهله وأهل نجد وكل من مرّ به أو حاذاه ، بينه و بين مكة ٩٤ كيلو مترا تقريبا .

وأما « يلملم » بفتح اليـاء واللامين وسكون الميم بينهما ، فهو جبل من جبال تهامة وهو ميقات أهل اليمن والهنـد وكل من مر به أو حاذاه من البر أو البحـر ، ويبعد عن مكة المكرمة بمقدار ٩٤ كيلو مترا تقريبا .

وأما «ذاتُ عِرْق» بكسر العين فهى قرية تبعد عن مكة المكرمة بمقدار ٩٤ كيلومترا تقريبا ، وسميت بهذا الاسم لأن بها جبلا يسمى عِرقا ، وهى ميقات أهلها و بلاد فارس وأهل العراق وسائر بلاد المشرق ، وكل من مر بها أو حاذاها بالبر أو البحر .

إذا علمت أن المواقيت التى ذكرناها هى لأهل الجهات المشار إليها ولكل من مر بهـا أو حاذاها وإن لم يكن من أهـل جهتها ، فمن مر بميقات منها أو حاذاه قاصدا النسك وجب عليـه الإحرام منه ، ولا يجوز أن يجاوزه بدون إحرام ، فإن

جاوزه ولم يحرم وجب عليه الرجوع إليه ليحرم منه إن كان الطريق مأمونا وكان الوقت متسعا بحيث لا يفوته الحج لو رجع، فإن لم يرجع لزمه هدى لأنه جاوز الميقات بدون إحرام، سواء أأمكنه الرجوع أم لم يمكنه لخوف الطريق أو ضيق الوقت، إلا أنه فى حالة إمكان الرجوع يأثم بتركه، ولا فرق فى ذلك بين أن يكون أمامه مواقيت أخرى فى طريقه أولا .

ملاحظة هامة : أهل المواقيت كلها إذا توجهوا أوّلا لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم قبل أداء فريضة الحج كان لزاما عليهم أن يحرموا من الميقات الأوّل « ذو الحليفة » .

وإذا نظرت الى خريطة المواقيت رقم (٢) تبين لك موقع كل ميقات بالنسبة إلى مكة المكرمة وإلى بقية المواقيت، فارجع إليها لتكون على هدى وبصيرة .

أنواع النسك

ومن وافى ميقاتا من المواقيت المشار إليها فى البحث السابق فى أشهر الحج، فهو مخير بين ثلاثة أنواع وهى التى يقال لها : (١) التمتع، (٢) الإفراد . (٣) القِران : إن شاء أهل بعمرة فإذا أحل منها أهل بالحج فى اليوم الثامن من ذى الحجة وهو يخص باسم التمتع، وإن شاء أحرم بهما جميعا أو أحرم بالعمرة ثم أدخل عليها الحج قبل الطواف وهو القران، وإن شاء أحرم بالحج مفردا وهو الإفراد .

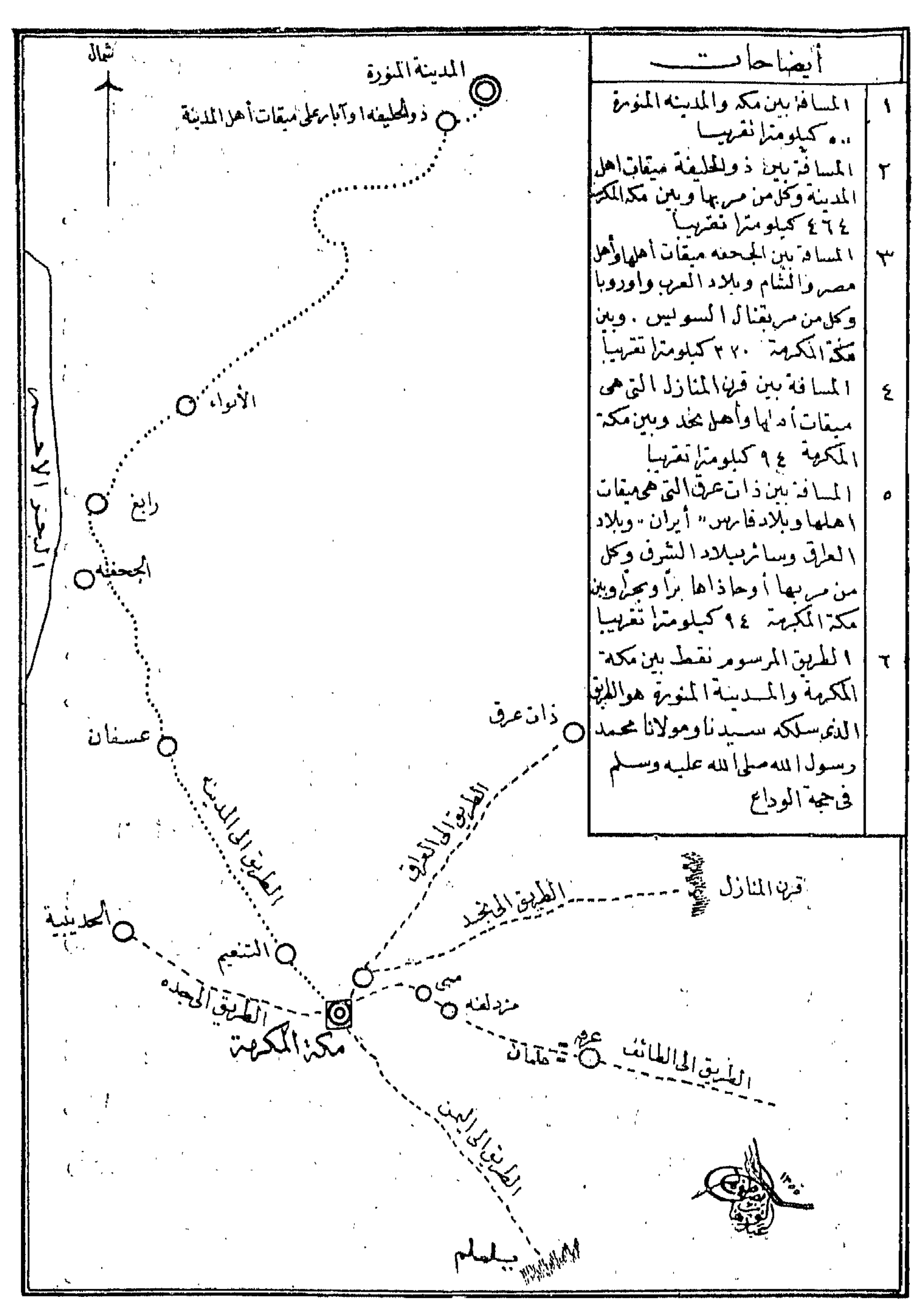
بحث فى بيان الأفضل من الأنساك الثلاثة

أود أن تعلم أيها القارئ الكريم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ابتداء حجة الوداع خير أصحابه عند إحرامهم بين كيفيات النسك الثلاث « الحج، والعمرة، وهما معا، وهو القران » ؛ أمّا هو صلوات الله وسلامه عليه فأهل بالحج والعمرة قائلا : « لبيك عمرة وحجا » سائقا معه الهدى مائة بدنة .

وأمّا أصحابه عليه الصلاة والسلام فكانوا على ثلاثة أقسام :

(قسم) أحرموا بالحج والعمرة أو بالحج مفردا ومعهم هدى وبقوا على إحرامهم .

خريطة المواقيت المكانية (رقم ٢)



تابع الإيضاحات : (٧) يلملم الذى هو ميقات أهله وأهل اليمن وسومطرة والهند واليابان والصين وكل من مرّ به أو حاذاه برا وبحرا : يبعد عن مكة المكرمة بمقدار ٩٤ كيلو مترا تقريبا

(وقسم ثان) لم يكن معهم هدى وأحرموا بالحج مفردا أو مقرونا بالعمرة .

(وقسم ثالث) لم يكن معهم هدى وأحرموا بالعمرة .

وظل الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه على ما ذكر، حتى إذا كانوا على مقربةٍ من مكة المكرمة عند موضع يقال له (سَرِفُ) قال عليه الصلاة والسلام لأصحابه : « من لم يَسُقِ الهَدْيَ وأراد أن يجعل نُسُكَهُ عُمْرَةً فليفعل ومن ساق الهدى فليَمْضِ على نُسُكه » وهذا القول منه عليه الصلاة والسلام يعدّ رتبة أخرى فوق رتبة التخيير عند الإحرام من الميقات .

فلما أكمل صلوات الله وسلامه عليه سعيه عند المروة ، أمر كل من لا هدى معه أن يجعلها عمرة ويحل حتما: قارنا كان او مفردا؛ أمرهم أن يحلوا الحل كله من وطء النساء والطيب ولبس المخيط وأن يبقوا كذلك ليوم التروية، ولم يحل هو من أجل هديه الذى ساقه؛ فلما شق عليهم ذلك قال : « لو استقبلْتُ من أمرى ما استدبرْتُ لَمَا سُقْتُ الهَدْيَ ولجعلتُها عُمْرَةً » وعند ذلك لبوا نداء الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يبق منهم على إحرامه إلا من ساق معه الهدى .

التمتع أفضل الأنساك الثلاثة

إنى أختار لك أيها القارئ الكريم من أنواع النسك الثلاثة التمتع، أى أن تحرم بالعمرة وبعد إتمام أفعالها تحل الحل كله ثم تنشئ الحج فى اليوم الثامن من ذى الحجة، وذلك لأمور منها :

(١) إطاعة أمر الرسول صلى الله عليه وسلم الذى قال الله تعالى عنه فى محكم التنزيل : ﴿ وَما آتاكُمُ الرَّسولُ فخُذوهُ وما نهاكُمْ عنه فانتَهُوا ﴾ . ولقد أمر الرسول صلوات الله وسلامه عليه أصحابه غداة يوم ٤ من ذى الحجة سنة ١٠ هـ بجعل ما أهلوا به عمرة والتحلل منها إلا من ساق الهدى معه فإنه أمره بالبقاء على إحرامه ولنا أسوة حسنة بهم .

(٢) قصر مدّة الإحرام بالحج وهى لا تتعدّى اليوم الثامن من ذى الحجة ويوم عرفة وجزءا من يوم العيد، فلا يكون هناك ملل أو ضيق خلق من طول مدّة الإحرام التى قد تكون سببا فى فساد الحج أو الإقلال من ثوابه .

(٣) نظافة الجسم بالاستحمام كل وقت يشاؤه المتمتع بين النُّسُكين .

(٤) صيانة الجسم من المؤثرات الجوية .

(٥) أن المتمتع يلزمه إهداء هدى لفقراء الحرم ومساكينه إجابة لأمر الله عز وجل : ﴿ فَمَن تَمَتَّعَ بِالعُمْرَةِ إِلَى الحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي المَسْجِدِ الحَرَامِ ﴾ ، فإذا لم يجد المتمتع الهدى الذى أشارت به الآية الكريمة — وأقله شاة — فقد أمره الله عز وجل بصيام ثلاثة أيام فى الحج — آخرها يوم عرفة — وسبعة أيام إذا رجع لوطنه ؛ وفى هذا الصيام زكاة للجسم ومطهرة للنفس ، وفى شراء الشاة التى يذبحها المتمتع رواج لتجارة أهل مكة ومعظم تجارتهم الماشية فضلا عن أنها مفرجة عن فقراء الحرم ومساكينه ، وفى ذلك تحقيق لقول الله عز وجل على لسان سيدنا إبراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ المُحَرَّمِ ، رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ ، فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ .

رأى الأئمة فى بيان الأفضل من الأنساك الثلاثة

قال الحنفية : إن القران أفضل ، ويليه التمتع ثم الإفراد ؛ وإنما يكون القران أفضل لمن لم يخف ارتكاب محرم من محرمات الإحرام ، فأما من خاف ما ذكر لطول المدة فالتمتع فى حقه أفضل ، ولا يصح القران والتمتع ممن كان داخل الميقات ، فليس له سوى الإفراد .

وفضل المالكية — الإفراد ويليه القران ثم التمتع .

وفضل الشافعية — الإفراد ويليه التمتع ثم القران ، وإنما يكون الإفراد أفضل لمن أراد أن يعتمر فى بقية ذى الحجة ، فإن أراد أن يؤخر العمرة عن ذى الحجة فالتمتع والقران أفضل منه .

وفضل الإمام أحمد بن حنبل — التمتع ويليه الإفراد ثم القران .

قال الشافعى رضى الله عنه عند ما قرّر أن الإفراد خير من التمتع والتمتع خير من القران « اخترت الإفراد، والتمتع حسن لا نكرهه » .

خاتمة التمهيد

الآن وقد فرغنا من التمهيد لمناسك الحج ، وهو كما رأيت يصف لك المسجد الحرام ومشتملاته والكعبة وأركانها ، وإنه يرغبك فى أداء فريضة الحج، ويحثك على القيام بها إذا ما استطعت لها سبيلا، كما أنه يرشدك إلى ما تفعله عند عزمك على الإتيان بها ، والمال الذى ستنفقه فى سبيلها ، وأنه يحضك على توديع أهلك والأقربين قبل خروجك، وأنه يعلمك ما تفعله أثناء الطريق، وما يجب عليك نحو رفقائك، ويعرفك كيفية أداء الصلاة فى السفر، ويعرفك أيضا مواقيت الحج الزمانية ومواقيته المكانية ، ووصف ميقات كل جهة من جهات المعمورة لتحرم منه إذا مررت به أو حاذيته فى بر أو بحر، وأنه يرشدك إلى مواقع المواقيت بالنسبة لمكة المكرمة ، وذلك من الاطلاع على الخريطة رقم ٢ ، ويعرفك أيضا بعد كل ميقات عن مكة المكرمة بالكيلومترات ، وأنه يشرح لك أنواع النسك الثلاثة التمتع والقران والإفراد، ويبين لك أفضلها، ويعرض عليك أقوال الأئمة الأربعة فيها. كل ذلك من مصادر لا يجد الشك لها سبيلا .

وقد آن الأوان لأن نشرع فى كيفية أداء المناسك على الوجه الذى أدّاها به سيد الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذى قال «خُذوا عنِّى مناسككُم» ولقد رأينا أن نقسمها إلى ثلاث مراحل ، لتكون سهلة مقبولة لدى الخاصة ، مفهومة للعامة .

(المرحلة الأولى) تبتدئ من يوم الإحرام إلى يوم دخول مكة المكرمة .

(المرحلة الثانية) تبتدئ من يوم التروية أى اليوم الثامن من ذى الحجة إلى اليوم العاشر من هذا الشهر أى يوم العيد .

(المرحلة الثالثة) تبتدئ من اليوم الحادى عشر من الشهر المذكور ومنتهاها يوم الخروج من مكة المكرمة، موليا وجهك شطر المدينة المنوّرة لزيارة سيدنا رسول الله

المبعوث رحمة للعالمين صلى الله عليه وسلم، أو موليا وجهك شطر وطنك المحبوب الذى خرجت منه حاجا .

أعمال المرحلة الأولى

الإحرام

الإحرام هو الدخول فى حرمات الحج أو العمرة ، ويتحقق بالنية ، فهو كَنِيَّةِ الصلاة، ولما كان للإحرام قدسيته كانت له مقدّمات يعملها الحاج أو المعتمر قبل أن يدخل فيه ، حتى إذا ما عملها شعر من تلقاء نفسه بأنه سيصير أهلا للتشبه بالملائكة عند ما يرتدى ملابس الإحرام، ويلبى الله الذى خلقه فسواه، طارحا الدنيا بزخرفها وراءه ظهريا، لا يفكر فى مال ولا ولد ، كلا ولا فى زوجة ولا أم ولا والد، بل فى الغفران من الله الذى هداه لسلوك هذا الطريق، والتضرع إليه فى ذلة أن يغفر ذنبه ويقبل منه حجه وعمرته وطوافه وسعيه .

بيان ما يطلب عمله من مريد الاحرام

يطلب منك يامن تريد الإحرام أشياء، منها :

الاغتسال، وقيل يقوم مقامه الوضوء . والغسل أفضل؛ فإنه للنظافة فيطلب من الحائض والنفساء ؛ وقص الأظافر؛ وحلق أو تقصير الشعر المأذون فى إزالته كشعر الشارب وشعر الرأس إذا اعتدت إزالته وإلا فسرحه ؛ ونتف الإبط (وكل هذه الأشياء) تعمل قبل الاغتسال إلا إذا أتيت زوجتك فيستحب لك ألا تعمل شيئا مما ذكر إلا بعد الاغتسال من الجنابة أو قبل حصولها .

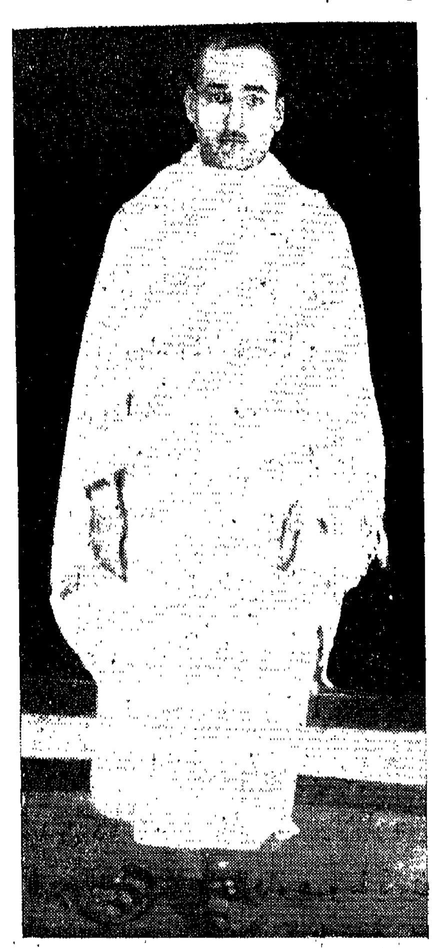
وجماع الزوجة مستحب قبل الإحرام إذا لم يكن بها مانع شرعى مخافة أن تطول عليه مدة الإحرام فيقع فيما يفسد نسكه ؛ ويستحب لك أن تلبس إزارا ورداء أبيضين ، جديدين كانا أو مغسولين — والإزار هو ما يلف وسط الرجل فيستتر به من أعلى السرة الى ركبتيه ، والرداء هو ما يكون على الظهر والصدر والكتفين — ؛ ويستحب لك أيضا التطيب فى البدن بطيب لا تبقى عينه بعد

الإحرام وإن بقيت رائحتـه ، وأن تلبس فى قدميك نعلين ، فإن لم تجـدهما فالبس خفين بعد تجريدهما من الكعبين .

كل ماتقدّم مطلوب أيضا من كل «سيدة» تريد الإحرام إلا أنها لاتقص شعر راسها ولا تلبس ما يلبسه الرجل أثناء الإحرام ، والطيب الذى نتطيب به يجب أن يكون فى بدنها ، لا فى ملابسها كى لا توجه الأنظار اليها .

مـلابس الإحـرام

أما الرجل فيلبس الإزار والرداء بالكيفية التى ذكرناها « انظر صـورة واضع الرسالة وهو فى ملابس الاحرام وقلده تماما » .

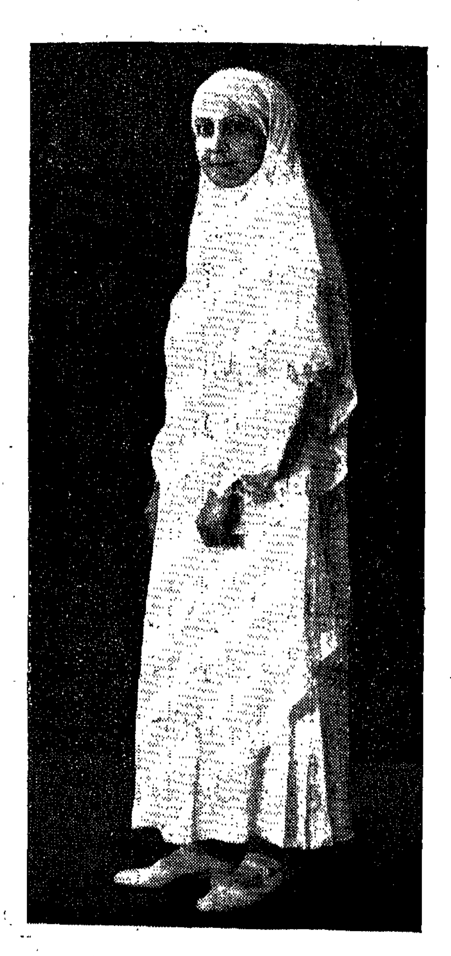


صورة واضع الرسالة وهو فى ملابس الإحرام

وأما أنتِ أيتها السيدة الوقورة فلتكن ملابس إحرامك واسعة محتشمة للغاية، والبسي ما شئت من الثياب، ولا تغطي وجهك، ولا تلبسي القفازين في يديك – وهما المعروفان عند العامة «بالجوانتي» أو «الدوان» – «انظري صورة السيدة الحاجة الوقورة وقلديها تماما»

صـــلاة الإحـــرام

فإذا وصلت لأحد المواقيت التي ذكرناها ورسمناها في الخريطة رقم ٢ فعليك أن تصلي ما حضرك من الفرائض، فإذا كنت قد أديتها من قبل فيستحب لك أن تصلي ركعتين في غير وقت الكراهة ثم بعدها أهِلّ بأحد الأنساك الثلاثة التي شرحناها سابقا.



صورة سيدة وقورة في ملابس الإحرام

بيـان كيفية الإحرام وهو "النية"

فإذا كنت عزمت على أن تكون متمتعا فانو العمرة بعد صلاتك الفريضة التى حضرتك أو النافلة التى صليتها قائلا : (لَبَّيْـكَ عُمْرَةً) ثم قل : (لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ ، لَبَّيْكَ لا شَرِيكَ لَكَ ، لَبَّيْكَ إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ ، لا شريك لك) ، وإن أردت الزيادة فقل (لَبَّيْكَ إِلَهَ الْحَقِّ لَبَّيْكَ ، لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ حَقًّا ، تَعَبُّدًا وَرِقًّا) ثم قل : (اللَّهم صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسَلِّمْ) .

وإذا كنت قد عزمت على أن تكون قارنا أى مؤديا النسكين «العمرة والحج» بإحرام واحد فقل ناويا لهما (لبيك عُمْرَةً وحَجًّا . لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك ...) الى آخر ما تقدّم .

وإذا كنت قد عزمت على أن تكون مفردا فانوِ الحج وحده قائلا «لَبَّيْكَ حَجَّةً» وآتت بالتلبية بالصيغة المتقدمة .

ومتى لبيت قاصدا الإحرام بأحد الأنساك المذكورة فقد انعقد «إحرامك» فتنبه .

تعريف التلبية ومعناها

التلبية هى إجابة دعوة الله تعالى لخلقه حين دعاهم الى حج بيته على لسان خليله إبراهيم صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ .

والملبي هو المستسلم المنقاد لغيره ، ومعنى « لبيك اللهم » إنا مجيبوك يا مولانا لدعوتك ، مستسلمون لحكمتك ، مطيعون أمرك ، مرة بعد أخرى ، لا نزال على ذلك ، معترفين لك بالملك دون سواك .

والتلبية هى شعار الحاج ، و « أفضل الحج العَجُّ والثَّجُّ » فالعج هو رفع الصوت بالتلبية ، والثج هو إراقة دماء الهدى لفقراء الحرم .

ولهذا يفضل رفع الصوت بها للرجل بحيث لا يجهد نفسه ، « والسيدة » ترفع صوتها بحيث تسمع جارتها الملازمة لها أو القريبة منها .

الأحوال التى تستحب فيها التلبية

تستحب التلبية عند اختلاف الأحوال كهبوب الرياح بغاة، وعند هياج البحار بتلاطم أمواجها ، ومثل ما لو صعدت أكمة أو جبلا ، أو هبطت واديا أو سمعت ملبيا ، أو أقبل الليل والنهار ، وتستحب أيضا عند ملاقاة الرفاق، وعند استيقاظك من النوم، كما تستحب عند الركوب والنزول، وكما تستحب عند سماعك مجادلة بين اثنين أو أكثر لفضها فى الحال كى لا تدوم فتقل من ثواب الحج .

وعلى كل حال ينبغى أن تكثر منها بالقدر المستطاع مع تدبر معناها ومغزاها ، وقد روى : أن من لبى حتى تغرب الشمس فقد أمسى مغفورا له . وادع الله عقب التلبية وصل على النبى صلى الله عليه وسلم وأسأله رضوانه والجنة والنجاة من النار ، هذا مع ملاحظة الاستمرار فى التلبية إلى أن تدخل المسجد الحرام أو تبدأ الطواف إن كان إحرامك بالعمرة، وأما إذا كنت محرما بالحج أو بالعمرة والحج «أى قارنا» فلا تقطعها إلا عند رميك جمرة العقبة كما سيأتى إن شاء الله تعالى .

ما ينهى عنه المحرم بعد الدخول فى الإحرام

حيث أصبحت أيها الحاج الوقور محرما متشبها بالملائكة بارتدائك ملابس الفطرة التى بلغت من البساطة ما رأيته فيها ، وبتركك الدنيا وزخرفها عند ميقات إحرامك الذى خلفت عنده ملابسك الدنيوية، وتجردت من كل شىء يميزك عن أخيك المسلم، يجب عليك المحافظة على قدسية الإحرام باتباع ما يأتى :

لا ينبغى لك عقد النكاح بأن تعقد لنفسك أو بولايتك لغيرك .

ويحرم عليك الجماع ودواعيه ، كالمداعبة واللمس والمباشرة والقبلة والنظر إلى محاسن المرأة بشهوة أو بغيرها . وكيف تفعل ذلك وقد نهيت عنه ، قال الله تعالى : ﴿ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فلا رَفَثَ ولا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ والرفث : يطلق ويراد به الجماع ، ويطلق ويراد به الفحش من القول ، ويطلق

ويراد به خطاب الرجل المرأة فيما يتعلق بالجماع ، والفسوق هو انتهاك حرمات الله عز وجل ، والجدال هو المخاصمة .

ويحرم عليك أيضا التعرض لصيد البر بالقتل أو الذبح أو الإشارة إليه إن كان مرئيا ، أو الدلالة عليه إن كان غير مرئى ، أو نحو ذلك كإفساد بيضه . والمراد بصيد البر ما كان وحشيا كالغزال والعصفور . وأمّا صيد البحر فهو حلال ، قال الله تعالى : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ البحرِ وطعامُه متاعاً لكُمْ ولِلسَّيَّارةِ وحُرِّمَ عليكُمْ صَيْدُ البرِّ ما دُمْتُمْ حُرُمًا ﴾ .

وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن المحرّم من صيد البر ما صاده المحرِم أو صِيد لأجله وما لم يكن كذلك فإنه حلال . أخرج أبو داود والترمذى والنسائى من حديث جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صيدُ البرِّ لكم حلالٌ وأنتم حُرُمٌ ما لم تَصِيدُوه أو يُصَادَ لَكُمْ » والبرى هو ما يكون توالده وتناسله فى البر ، وإن كان يعيش فى الماء والبحرى بخلافه .

ويحرم عليك أيضا استعمال الطيب كالمسك سواء أكان فى ثوبك أم بدنك وأن تقلم أظافرك .

ويحرم عليك (أيها الرجل) أن تلبس شيئا مُحيطا ببدنك أو ببعضه كالقميص والسراويل والعمامة والجبة والخف . ويحرم عليك تغطية رأسك أو بعضه بأى ساتر كان ، ولْتَمْتَنِعْ عن ستر وجهك أيضا .

ويحرم عليكِ (أيتها السيدة) ستر وجهِك وكفيك بنحو القفاز ، وأما رأسك فلا يحرم ستره مطلقا .

ويحرم عليك (أيها المحرم) أيضا أن تُحْرِم فى ثوب مصبوغ بما له رائحة طيبة كالزعفران ، واحذر أن تشم الطيب أو تستصحبه معك أو تمكث فى محل وجوده .

ويحرم عليك إزالة شعر رأسك أو غيره ما لم يكن فى داخل العين ، فيجوز لك أن تزيله إن تأذيت به خوفا على عينيك من الضرر .

وينبغي لك ألا تختضب بالحناء ، لأنه طيب والمحرم ممنوع من التطيب سواء أكان رجلا أم امرأة، وسواء أكان الخضاب في اليدين أم في الرأس أم في غير ذلك من أجزاء البدن .

ويحرم عليك أن تأكل أو تشرب طيبا أو شيئا مخلوطا بطيب سواء أكان قليلا أم كثيرا، ولا يجوز لك أن تكتحل بما فيه طيب أما الاكتحال بما ليس فيه طيب فجائز إلا أنه يحرم إن أسقط الشعر .

ولا يجوز لك أن تدهن شعرك أو بدنك بأي دهن كان ولو خاليا من الطيب .

ولا يحل لك أيها المحرم كما لا يحل لغيرك أن تتعرض لشجر الحرم بقطع أو قلع أو إتلاف، ولا لغصن من أغصانه ولو كانت الأغصان واصلة إلى الحل . وأما إذا كان الشجر مغروسا في الحل فيباح التعرض له والانتفاع به إذا لم يكن مملوكا للغير ولو وصلت أغصانه إلى داخل الحرم ، ومثل الشجر في ذلك حشيش الحرم إلا الإذخر (وهو نبات معروف طيب الرائحة) وكذا السنا (المعروف عند عوام مصر بالسنامكي) فإنه يباح التعرض لهما بالقطع وغيره، كما يجوز قلع الشجر اليابس، وكذا الحشيش اليابس إذا تأكدت فساد منبته، ويجوز لك أن تأخذ ثمر الشجر وكذا عود السواك .

بيان ما يباح للمحرم

يباح للمحرم الفصد والحجامة من غير حلق الشعر، وأما مع حلقه فلا يجوز ذلك إلا لضرورة ، وقد ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم في وسط رأسه وهو محرم ، ويجوز له أيضا أن يحك الجلد والشعر ما لم يترتب عليه سقوط الشعر، ويجوز للمحرم غسل رأسه وبدنه بالماء لازالة الأوساخ أو لرفع الجنابة التي جاءته بطريق الاحتلام .

وله أيضا أن يقتل ما يؤذي بعداوته الناس : كالحية والعقرب والفأر والغراب والحدأة والكلب العقور والوحوش ، وله أن يدفع ما يؤذيه من الآدميين والبهائم

حتى لو صال عليه أحد فإنه يدفعه ، ويجوز له أن يستظل بكل شيء بشرط ألا يمس شيء من ذلك رأسه فإن كشفها لازم ، وينبغى ألا يمس ذلك وجهه أيضا .

بيان ما يطلب من المحرم لدخول مكة

إذا ما اقتربت أيها المحرم من مكة المكرمة التى انبثق منها النور فعمّ الكرة الأرضية ، جاز لك أن تدخلها فى كل وقت ومن كل جانب من جوانبها . لكن الأفضل أن تدخلها نهارا ، ومن الناحية العليا التى فيها باب المعلاة [وهى جبّانة مكة].

ولما كان لمكة المكرمة حرمتها وقدسيتها لوجود بيت الله الحرام فيها ، استحب قبل أن تدخلها أن تغتسل بذى طُوًى ، وهى من ضواحى مكة المكرمة ، وفيها بئر تعرف باسمها كان قد اغتسل منها النبي صلى الله عليه وسلم ، فيستحب لك أن تغتسل من مائها . وإذا كان فى الإمكان أن تبيت بها فافعل ؛ فقد بات بها من قبلك سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن السنة أن تقتدى به فى كل عمل تعمله . فإذا بتّ بها فلا تغادرها إلا بعد شروق الشمس بمدّة قصيرة متوجها إلى مكة المكرمة ، فإذا دخلتها فاطمئن أولا على ما قد استحضرته معك من وطنك ، ثم توجه فى الحال إلى بيت الله الحرام وأنت طاهر من الحدثين .

أما أنتِ « أيتها السيدة » فلا تتوجهى إلى الحرم إذا كنت حائضا أو نفساء إلا إذا تطهرت بعد النقاء ، فعند ذلك يصح لك أن تدخلى المسجد الحرام .

كيفية دخول المسجد الحرام

﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ المسجِدَ الحَرامَ إن شَاء اللهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رءُوسَكُمْ ومُقَصِّرِينَ ﴾ .

يجوز لك أيها المحرم أن تدخل المسجد الحرام من كل جهة ، ولكن الأفضل أن تدخله من « باب السلام » المفتوح فى شارع المسعى إذا أمكنك ، فإذا دخلته ووقع بصرك على البيت الحرام فقل : " اللهم زِدْ هذا البيتَ تشريفًا وتعظيمًا وتكريمًا

ومهابةً ، وزِدْ مَنْ شرَّفه وعظّمه وكرّمه ممّنْ حجَّه أو اعتمره تشريفاً وتعظيما وبِراً "
ثم تقدّم نحو الكعبة المكرمة رافعا يديك قائلا : " الله أكبر . اللهم أنت السّلامُ
ومنكَ السلامُ ، حَيِّنا ربّنا بالسلامِ " وادخل دائرة المطاف من « باب بني شيبة » وهو
الباب الذى دخل منه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وتراه مقاما على حدود المطاف —
انظر موقعه على الخريطة رقم ١ — وقبل ابتداء دخولك من هذا الباب قل :
﴿ بسم الله . رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وٱجْعَلْ لِي مِن لَّدُنْكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا . وقُلْ جاء الحَقُّ و زَهَقَ الباطِلُ إنَّ الباطِلَ كانَ زَهُوقًا ﴾
ثم مِل شمالا بعد دخولك دائرة المطاف إلى أن تستقبل الحجر الأسود تماما ، بحيث
إذا مددنا خطا مستقيما من مركز دائرة هذا الحجر إلى منتصف صدر المستقبل
تحصل زاويتان قائمتان : إحداهما عن اليمين والأخرى عن الشمال « فتنبه لهذا »
ثم ابتدئ فى الطواف (أعنى طواف القدوم للفرد والقارن ، وطواف العمرة للتمتع) .

والطواف هو أن تدور حول الكعبة بنية الطواف سبع مرات ، مبتدئا من
الحجر الأسود محاذيا له بجميع بدنك ومنتهيا اليه .

كيفية الطواف

بعد أن تستقبل الحجر الأسود كما قدّمنا اجعل رداءك تحت إبطك الأيمن وألق
الطرفين على الكتف الأيسر " وهذا يسمى الاضطباع " وقل : « بسمِ الله والله
أكبر » ثم قبِّله ، وقل : " اللهم إيماناً بِك وتصديقًا بكتابِكَ ووفاءً بعهدكَ
واتّباعًا لِسُنَّة نَبِيِّكَ محمدٍ صلى الله عليه وسلم " . فإذا لم يمكنك تقبيله فالمسه بيدك
قائلا : « بسم الله والله أكبر » ثم قبلها ، فإن لم يمكنك لمسه باليد فالمسه بشيء
آخر مثل عود ، وقبّل ذلك الشيء قائلا قبل التقبيل « بسم الله والله أكبر » فإن
عجزت عن كل هذا فارفع يديك وأشر بهما إليه قائلا « بسم الله والله أكبر » ،
وقبل يديك ، (مع ملاحظة) أن تعمل إحدى الحالات السابقة فى كل شوط من
الأشواط السبعة . هذا وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم فى حال استلام الحجر
ثلاث حالات :

(أولاها) أنه قبله ، (وثانيها) أنه وضع يده عليـه ثم قبلها ، (وثالثها) أنه أشار إليه بمحجن وقبل المحجن (والمحجن عصا فى رأسها اعوجاج يشبه نصف دائرة) .

هذا وبعد أن تفعل إحدى الحالات المذكورة بالحجر الأسود اجعل الكعبة على يسارك وابتدئ بالطواف وارمل فى ثلاثة الأشـواط الأول — والرمل مثل الهرولة ، وهو مسارعة المشى مع تقارب الخطا كالمبـارز ، مظهراً القوة والرجولة فى غير ما تجب « انظر صورة واضع الرسالة وهو فى هذه الحالة ، وقلده تمـاما » —



صورة واضع الرسالة وهو فى حالة الرمل .

ولا تمسّ جزءا من أجزاء البيت أثناء الطواف ، ولا تخترق الحِجْرَ فى طوافك ؛ لأن أكثره من البيت ، والله سبحانه وتعالى أمر بالطواف به لا بالطواف فيه ، ولا تستلم من الأركان إلا الركن اليمانى "وهو الجنوبى الغربى من الكعبة" قائلا فى حال الاستلام : « بسم الله والله أكبر » وكذا الحجر الأسود بإحدى الكيفيات السابقة؛ فان النبى صلى الله عليه وسلم استلمهما خاصة لأنهما على قواعد إبراهيم عليه السلام؛ وأما الركنان الآخران وهما العراقى والشامى فلم يستلمهما النبى صلى الله عليه وسلم؛ لأنها ليسا كذلك .

فالحجر الأسود يستلم ويقبل، واليمانى يستلم ولا يقبل، والآخران لا يستلمان ولا يقبلان . والاستلام هو المسح باليد المجرّدة التى لا يعلوها ما يحجبها ، سواء أكان المستلم رجلا أم امرأة .

ما يقال أثناء الطواف من الأدعية

بعد أن تستلم الحجر الأسود بإحدى الكيفيات السابقة، وبعد أن تقول: "اللهم إيمانًا بك وتصديقًا بكتابِكَ ووفاء بعهدِكَ وآتّباعًا لِسُنَّة نبيِّكَ محمد صلى الله عليه وسلم" قل فى حال الطواف : "اللهم إنَّ هذا البيتَ بيتُكَ والحَرَمَ حَرَمُكَ والأَمْنَ أمْنُكَ، وأنا عَبدُك وآبنُ عبدِكَ وآبنُ أَمَتِكَ، وزائرُكَ وأنتَ خَيْرُ مَزُورٍ، وعلَى كُلِّ مَزُورٍ حَقٌّ، فأسألُكَ أن تُعتِقَ رَقبتِي مِنَ النّارِ، فهذا مقامُ العائذِ بِكَ منها" فإذا وصلت إلى الركن العراقى فقل : "اللهم إنى أعوذُ بِكَ مِنَ الشَّكِّ والشِّرْكِ والنِّفاقِ وسُوءِ الأَخْلاقِ فى الأهلِ والمالِ والوَلَدِ والوطنِ والدِّينِ والمُسْلِمينَ" وإذا حاذيت الميزاب فقل : "اللهم أظِلَّنِي وأمِّى وأبِى وإخوانى وأولادى وأزواجى تحت ظِلِّ عرشِك يَوْمَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّكَ . اللهم اسقِنا بكأسِ نبيِّكَ سيدِنا محمدٍ صلى الله عليه وسلم شَرْبَةً هَنِيئَةً مَرِيئَةً لا نَظْمَأُ بَعدَها أبدًا" فإذا وصلت إلى الركن الشامى فقل: "اللهم آجْعَلْه حَجًّا مبرورًا وسَعْيًا مشكورًا وطَوافًا مقبولًا وتجارةً لن تَبُورَ، برَحْمَتِكَ يا عزيزُ يا غفورُ . ربِّ آغفِرْ وآرحَمْ وتجاوَزْ عمّا تعلَمُ؛ إنك أنتَ الأَعَزُّ الأكْرَمُ"،

فإذا وصلت إلى الركن اليمانى فلا تقبّله واستلمه بيديك إذا أمكنك ذلك ، وإلا فأشر إليه بهما قائلا فى حال استلامه باليد أو الإشارة اليه : « بسم الله والله أكبر » ثم عد للطواف قائلا بين هذا الركن والحجر الأسود ما يأتى : " اللهم إنى أعوذ بِكَ مِنَ الكُفْرِ والفقرِ وعَذابِ القبرِ . وأسالُكَ العفوَ والعافيةَ فى الدينِ والدُّنْيا والآخرةِ . ربَّنَا آتِنَا فِى الدُّنيا حَسَنةً وفِى الآخرةِ حسنةً وقِنَا عذابَ النارِ " .

وبعودتك إلى الحجر الأسود يتم لك شوط واحد . فتمم الأشواط الباقية على هذا النمط ، مع استحباب أن تقول بين الركن اليمانى والحجر الأسود : " ربَّنا آتِنا فِى الدنيا حسنةً وفِى الآخرةِ حسنةً وقِنا عذابَ النارِ " ، فإنه لم يحفظ عن النبى صلى الله عليه وسلم دعاء خاص أثناء طوافه إلا هذا الدعاء بين الركن اليمانى والحجر الأسود (فتنبه) .

تنبيهات هامة عن الطواف

مطلوب منك حال طوافك : أن تكون طاهرا من الحدثين ، خاليا من جميع النجاسات فى بدنك وثوبك ، مستور العورة ، ماشياً إلا لعذر . كما أنه مطلوب منك أن تستلم الحجر الأسود بإحدى الكيفيات السابقة ، وكذا الركن اليمانى فى كل شوط من الأشواط ، وأن لاتزاحم أحدا فى حال استلامهما ؛ لتحافظ على الخشوع المطلوب منك فى هذا المكان المقدّس . كما أنه مطلوب منك "أيها الرجل" أن تَرْمُلَ فى ثلاثة الأشواط الأول فى هذا الطواف (أعنى طواف القدوم أو العمرة) ، وفى كل طواف يعقبه سعى بين الصفا والمروة ، فلا يطلب فى طواف الإفاضة إلا لمن لم يسع قبله . هذا وأما الطواف الذى سوف تطوفه متطوّعا فلا يطلب فيه الرمل ولا الاضطباع .

وأما أنت "أيتها السيدة" فلا تقبلى الحجر الأسود ، ولا تستلمى الركن اليمانى إلا إذا تمكنت منهما تماما من غير مزاحمة أحد . كما أنه لا يطلب منك أن ترملى فى حال الطواف سواء أكان فرضا أم نفلا ، ويكفيك الإشارة إلى الحجر الأسود وتقبيل اليد عند عدم خلو المطاف من الرجال كما قدّمنا ، وكذا الإشارة باليد إلى الركن اليمانى من غير تقبيل اليد .

صلاة ركعتي الطواف

قال الله تعالى: ﴿ وَٱتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ .

بعد أن تتم الطواف بالحالة السابقة . توجه إلى مقام إبراهيم صلى الله عليه وسلم وصل ركعتي سنة الطواف، واقرأ فيهما بعد الفاتحة في الأولى سورة الكافرون وهي: ﴿ بسم الله الرَّحمنِ الرحيم . قُلْ يَاأَيُّهَا الكَافِرُونَ . لَا أَعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ . ولَا أَنتُمْ عابِدونَ ما أَعْبُدُ . ولا أنا عابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ . ولا أنتم عابِدُونَ ما أعبُدُ . لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ .

وفي الثانيـة سورة الإخلاص وهي : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم . قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ . اللهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ . ولَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ .

وبعد السلام آدع الله قائلا :

" اللهم إنك دَعَوتَ عبادَكَ إلى بيتِكَ الحرامِ، وقد جئتُكَ طائعاً مختاراً مُلَبِّياً لأمرِكَ فَٱغفِرْ لي وٱرحمني . اللهم ٱغفِرْ لِي ولِوَالِدَيَّ وٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صغيرا . اللهم ٱغفِر لي ولجميع المؤمنين والمؤمناتِ الأحياءِ منهم والأمواتِ " . هذا وبعد الفراغ من الصلاة والدعاء عد إلى الحجر الأسود واستلمه بإحدى الكيفيات السابقة، ثم اخرج حالا لتسعى بين الصفا والمروة، اللهـم إلا إذا حضرت صلاة الفريضة فينبغي والحالة هذه أن تصليها قبل أن تسعى .

أين تصلي المرأة ركعتي الطواف

أود أن تعلمي أيتها السيدة أنه للبعد عن مزاحمة الرجال يحسن بالمرأة أن تصلي ركعتي الطواف في حِجْرِ إسماعيل صلى الله عليه وسلم من الجهة الشمالية . "ولقد اخترت لها هذا المكان لأن النساء تعوّدن الصلاة فيه ولأنه غير مطروق بالرجال كثيرا " .

السعي بين الصفا والمروة

قال الله تعـالى : ﴿ إِنَّ الصَّفَا والمروَةَ مِن شَعائِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ البيتَ أَوِٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِما " .

بعد أن تستلم الحجر الأسود كما قدّمناه لك اخرج من أوسط أبواب الصفا وهى خمسة، ثم اقصد الصعود على مدرج الصفا وأنت طاهر من الحدثين خال من جميع النجاسات فى بدنك وثوبك ، فإذا قربت من الصفا فاتْلُ قوله تعالى : ﴿ إنّ الصفا والمروةَ مِن شعائرِ الله فمَن حَجَّ البيتَ أو اعتمرَ فلا جُناح عليه أن يطَّوّف بِهِما ﴾ .

وإذا ما صرت فوق "الصفا" فتمكن من مشاهدة الكعبة ، ثم استقبلها تماما وقل : ﴿ الله أكبرُ . الله أكبرُ . الله أكبرُ . لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له ، لهُ المُلْكُ وله الحمدُ وهوَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ . لا إله إلا اللهُ وحدَهُ ، صَدَقَ وَعْدَهُ ، ونَصَرَ عبدَهُ ، وهزَمَ الأحزابَ وحدَهُ . اللهم إنى أسألُكَ موجباتِ رَحْمَتِكَ ، وعزائمَ مغفرتِكَ ، والغنيمةَ مِن كل بِرٍّ ، والسلامةَ مِن كل إثمٍ . لا تَدَعْ لى ذنباً إلا غَفَرْتَهَ ، ولا هَمّاً إلا فرَّجْتَه ، ولا كَرْباً إلا كشَفْتَهُ ، ولا حاجةً إلا قَضَيْتَها . الله . الله . الله﴾ ثم ادع بما شئت . وكرر ذلك ثلاث مرات ، وادع بما تحب فى نهاية كل مرة .

وعند فراغك من هذا الدعاء اهبط ساعيا نحو المروة ماشيا إلا لعذر ، قائلا مكررا : " ربِّ اغفِرْ وارحَمْ ، إنّكَ أنتَ الأعزُّ الأكرمُ ، نجِّنا مِنَ النارِ سالمينَ ، وأدخلنا الجنةَ آمنِينَ . ربَّنا آتنا فى الدنيا حسَنةً وفى الآخرةِ حسنة وقِنا عذابَ النارِ " .

فإذا كنت على قاب قوسين أو أدنى من " الميل الأخضر الأوّل " وهو الذى تحت منارة " باب على " فهرول أى أسرع فى مشيتك قائلا الدعاء السابق ، فإذا وصلت إلى " الميل الأخضر الثانى " الموجود بجوار " باب العباس " من الجهة الجنوبية فَسِرْ بالمشى المعتاد ، ولا تقطع الدعاء المشار إليه إلى أن تصل إلى " المروة " فاصعد عليها وقل ما قلته وأنت على " الصفا " ، وبذلك يتم " الشوط الأوّل " من " الأشواط السبعة " المطلوبة منك ، ثم تمم باقى الأشواط على هذا الترتيب ، مهرولا فى كل شوط بين " الميلين الأخضرين " داعيا الله سبحانه وتعالى بالدعاء المذكور ، " مع ملاحظة " أن الشوط المتمم للسبعة الأشواط يكون على المروة ؛ لأن الذهاب

من الصفا إلى المروة يعد شوطا ، والعود من المروة إلى الصفا يعد شوطا آخر . هذا ويجب الموالاة بين الأشواط .

وأما أنتِ «أيتها السيدة الوقورة» فليس عليك أن تصعدى إلى أعلى "الصفا" ولا إلى أعلى "المروة" ، بل يكفيك أن تقفى عند ابتداء الدَّرَج ، سواء أكنتِ عند الصفا أم عند المروة . كما أن الهرولة بين الميلين الأخضرين لا تطلب منكِ ، سواء أكنتِ قادرة عليها أم غير قادرة .

انتهاء أعمال العمرة

إذا كنت معتمرا فقط ، رغبة فى التمتع ، فاحلق شعر رأسك أو قصره ، وبذلك تكون قد تحللت من إحرامك وانتهيت من عمرتك ، ويصح لك أن تطأ امرأتك وتتطيب وتلبس المخيط والمحيط وتصنع كل ما كان محظورا عليك إلا الصيد فى الحرم أو قطع شجره وحشيشه . "فإن لم يكن لك شعر" فأْمُر الحلاق أن يُمِرَّ الموسى على رأسك ، وفاءً بحق السنة .

وإذا كنت محرما بالحج أو به مع العمرة فابق على إحرامك إلى أن تتم باقى المناسك .

ختام المرحلة الأولى

وهنا تمت المرحلة الأولى من مراحل الحج والعمرة ، ويلاحظ أن فى هذه المرحلة من الأنساك ثلاثة :

النسك الأول : الإحرام من الميقات . النسك الثانى : طواف القدوم . النسك الثالث : السعى بين الصفا والمروة . «فتنبه»

تنبيهات عامة مهمة

قبل أن أتكلم على المرحلة الثانية من مراحل الحج الثلاث أرى لزاما علىّ أن أوجه نظرك أيها الحاج الوقور إلى الإكثار من طواف التطوع الخالى من الرمل فى ثلاثة الأشواط الأول ، وإلى قراءة القرآن الكريم بدقة وإمعان ، وذكر الله تعالى

واستغفاره، والشرب من "ماء زمزم" فإنه ماء معدنى نافع جدا يستشفى به ، ولقد وردت فى حقه أحاديث شريفة، فاغتنم وجودك هناك وأكثر من شربه — شفاك الله وعافاك من جميع الأمراض — وقل عند شربه فى كل مرة : اللهم ارزقنى علما نافعا ورزقا واسعا وشفاءً من كل داء .

وكذا أوجه نظرك إلى المواظبة على صلاة الجماعة فى المسجد الحرام فى جميع الأوقات . كما أنى أرشدك إلى استعمال منتهى الرأفة والحلم وسعة الصدر مع الذين يسألونك الإحسان بإلحاف، وتذكر قول الله سبحانه وتعالى لنبيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ فأمَّا اليتيمَ فلا تَقْهَرْ، وأما السائلَ فلا تَنْهَرْ ﴾ . فعليك بالإحسان ما استطعت إليه سبيلا .

إرشادات للنساء

كما أنى أوجه نظر السيدات إلى ما يأتى :

(ا) الفرق بين الرجل والمرأة فى أعمال الحج

أود أن تعلمى أيتها السيدة الوقورة أن المرأة كالرجل فى جميع أعمال الحج التى دوّنت فى هذه الرسالة إلا فى الأشياء الآتية :

(١) لا تكشف رأسها . (٢) لا تمتنع من لبس الثياب المُحيطة . (٣) لا ترفع صوتها بالتلبية . (٤) لا تسرع فى المشى وقت الطواف . (٥) لا تسرع فى المشى بين الميلين الأخضرين . (٦) لا تحلق شعر رأسها بل تقصر شيئا منه .

تلك ستة أشياء امتازت بها المرأة عن الرجل فى أعمال الحج .

(ب) الحيض أو النفاس

أود أن تعلمى أيتها المسلمة أنه إذا أتاك المخاض أو الحيض وأنت سائرة لأداء فريضة الحج، فلا يكون أحدهما مانعا لك من مواصلة السير، بل يجب عليك الاستمرار فى السفر ؛ فإذا ولدت أو أتاك الحيض قبل الإحرام بأحد أنواع النسك السابق شرحها ، فعليك والحالة هذه أن « تغتسلى غسل الإحرام ، وتُهِلِّى بالنُّسُك الذى

ستـرغبينه متى وصلت إلى أحد مواقيت إحرامك السابق شرحها » ، وأُحِبُّ أن يكون إحرامك بالعمرة لمزاياها التى ذكرتها ، وواظبى على التلبية ، وأمّا الصلاة فلا يجوز لك الإتيان بها ولا قضاؤها مع الحيض أو النفاس .

وإذا حصل لك أحد الأمرين بعـد الإحرام فلا غسل عليك ، وليس مطلوبا منك فى هذه الحالة والحالة السابقة إلا أن « تشـدى الحِفَاظَ الذى تضعه كل أنثى عند أسفل البطن فى زمن الحيض أو النفاس ، يمنع تسرب الدم للخـارج ، وعليك تغييره كلما لزم » .

(ج) الوصول لمكة المكرمة

فإذا وصلت لمكة المكرمة ولم تتم مدّة الحيض أو النفاس ، فعليك أن تلزمى بيتك إلى أن تطهرى ، وبعدها يحل لك أن تطوفى ؛ فطوفى طواف القدوم بالكعبة المشرفة إن كنت أحرمت بالحج أو طواف العمـرة إن كنت أحرمت بالعمرة ، ثم اسـعى بين الصفا والمروة بالكيفية السـابق شرحها ، ”ثم تحللى إن كنت أحرمت بالعمرة وحدها ، وذلك بأخذ شيء من أطراف شعركِ بيدكِ أو بمعونة زوجكِ أو إحدى زميلاتكِ وعليكِ ذبح هدى لتمتعكِ“ .

(د) استمرار الحيض أو النفاس ليوم « عرفة » وبعده

فإذا استمر أحدهما ليوم قريب من اليوم الثامن من ذى الحجـة وكان إحرامك بالعمرة فأدخلى عليها الحج بأن تنويه وتقولى «لَبَّيْكَ عُمْرَةً وحَجًّا . لَبَّيْكَ اللهمَّ لَبَّيْكَ ، لبيك لا شريكَ لك ، لبيك إنَّ الحمدَ والنِّعمةَ لكَ والمُلْكَ ، لا شريكَ لك » ، وبعد إدخال الحج على العمرة أصبحتِ ”قَارِنَةً“ وانطبق عليك حالة أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها فى أوّل حجتها ، ووجب عليك ذبح هدى أقله شاة فى يوم العيد بعد رمى جمرة العقبة . وأمّا إذا كان إحرامك من الميقات ”بالحج المفرد“ فلا هدى عليك .

ويحسن بك قبل إدخال الحج على العمرة أن تغتسلى للإحرام ، وإياكِ إياكِ أن تمشطى شعر رأسك كى لا يتساقط فتأثمى وتجب عليك الفدية «فتنبهى لهذا» .

(هـ) الحيض والنفاس لا يمنعان المرأة من إتمام مناسك الحج (؟)

ولا يمنعك الحيض أو النفاس أيتها السيدة الوقورة من أن تؤدّى جميع المناسك من الوقوف بعرفات والمبيت بالمزدلفة والوقوف بالمشعر الحرام ورمى جمرة العقبة يوم العيد وذبح الهدى فيه أيضا وتقصير الشعر و رمى الجمرات ، لكن لا تطوفى بالبيت أصلاً لا طواف الإفاضة الذى هو ركن من أركان الحج ولا غيره ، إلا إذا تطهرت من الحيض أو النفاس .

فإذا حدثت ظروف قاهرة جدًا تضطرك لمغادرة مكة المكرمة قبل انقطاع مدّة الحيض أو النفاس فالأسهل عليك والحالة هذه أن « تغتسلى وتشدى الحِفَاظَ الموضوع فى أسفل البطن شدًا محكما جدًا ، وتطوفى بالبيت سبعا طواف الإفاضة ، ثم تسعى الصفا والمروة سبعا » وعليك ذبح بَدَنَةٍ (وهى ما بلغ خمس سنين وطعن فى السادسة من الإبل ، أو بلغ سنتين وطعن فى الثالثة من البقر) .

(وينبغى التنبّه) إلى أن الطواف مع الحيض أو النفاس لا يكون إلا عند الضرورة القصوى (تقليدا لمذهب الحنفية) الذى يقول بصحة الطواف حينئذ مع الحرمة ووجوب إهداء البدنة ، وإنما نصحتك بهذا لأنك لو تحللت و رجعت الى بلدك من غير طواف فربما لا تستطيعين العود فى سنة أخرى ، ولو انتظرتِ فربما تضرر القوم الذين معك فذهبوا وتركوكِ وحدكِ .

هذه هى حالات الحيض والنفاس ذكرتها لك أيتها السيدة الوقورة لتحيطى بها خبرا — إذ أنها الشغل الشاغل للنساء فى زمن الحج .

(و) تنبيهات عامة

(١) إذا اغتسلتِ وأنتِ محرمة فلا تمشطى شعر رأسكِ .

(٢) يحسن أن يكون الشعر فى ضفيرة واحدة لا تتصل بشيء آخر مثل الشعر المستعار ، أو الضفيرة التى تُتخذ من أى نوع كانت ، وأن يكون مطروحا للوراء كى لا يكون عرضة للسقوط .

(٣) يحسن بك أن تطوفى طواف الأفاضة يوم العيد، مخافة أن يأتيك الحيض أو النفاس بعده فيضطرك للبقاء بمكة المكرمة مدّة قد تطول عليك ، وقد تضطرك إلى أن تطوفى بالبيت وأنت متلبسة بأحدهما وتلزمى بذبح بدنة .

أعمال المرحلة الثانية ، وهى أهم مراحل الحج

تبتدئ هذه المرحلة من اليوم الثامن من ذى الحجة وتنتهى فى اليوم العاشر من هذا الشهر « يوم العيد الأكبر » .

الإحرام بالحج للتمتع

فإذا كنتَ أحرمت بالعمرة وأتممتها وتحللت منها؛ رغبة فى « التمتع » كما سبق، وجاء اليوم المذكور وهو اليوم الثامن من هذا الشهر، فاغتسل استعدادا للاحرام بالحج واعمل ما عملته عند إحرامك الأول من الميقات ، ولقد شرحته لك موضحا تحت « بيان ما يطلب عمله من مريد الإحرام ص ٣١ » ، ثم أهِلّ بالحج بالكيفية التى شرحناها فى « بيان كيفية الإحرام ص ٣٤ » بأن تنوى قائلا : « لبيك حجة . لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك الخ » . ومتى لبيت قاصدا الإحرام فقد انعقد إحرامك ، وأصبحت منهيا عن ارتكاب الأشياء التى تفسد الإحرام أو تقلل من ثوابه . ولقد شرحتها لك شرحا وافيا تحت بيان « ما ينهى عنه المحرم بعد الدخول فى الإحرام ص ٣٥ » .

هذا ويجوز إحرامك فى أى جهة شئت من جهات مكة المكرمة ، إلا أنه يحسن أن يكون بالحرم، و بعد أن تطوف بالبيت سبعا، و بعد صلاة ركعتى الطواف؛ فإن ذلك أدعى للخشية والرهبة .

ملاحظة — أمّا الذين أحرموا بالحج مفردا والذين أحرموا به مع العمرة (أى كانوا قارنين) فهؤلاء وهؤلاء ليس عليهم إحرام ؛ لأنهم على إحرامهم الذى أنشأوه عند الميقات قائمون، وما عليهم إلا أن يتوجهوا مع المتوجهين الى منى .

التوجـــه إلى مِـــنًى

ثم توجه إلى مِنى بعد طلوع شمس هذا اليوم (أى اليوم الثامن من ذى الحجة) وكرر التلبية ، ولقد سبق لنا أن بينا الأحوال التى يستحب فيها التلبية فارجع إليها ، ويستحب أن تصلى على النبي صلى الله عليه وسلم عقب صيغة التلبية ، فإذا وصلت إلى مِنى فصلّ المفروضات فى أوقاتها ، ويستحب أن تكون فى « مسجد الخيف » فى المكان الذى صلى فيه سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبت بها إلى أن تصلى الصبح فى وقته ، وأقم بها إلى طلوع الشمس .

التوجه إلى عرفات

فإذا طلعت الشمس فانهض قائما متوجها إلى عرفات ، ملبيا مصليا على النبى صلى الله عليه وسلم ، داعيا الله سبحانه وتعالى أن يقبل منك عملك ، واستمر سائرا فى طريقك جاعلا مسجد الخيف وراءك إلى أن تصل إلى « مسجد المزدلفة » ، فإذا وصلت إليه فسر فى « طريق ضب » وهو المعروف الآن بطريق السيارات ، وهو الذى سار فيه النبى عليه الصلاة والسلام متوجها الى عرفات فى حجته .

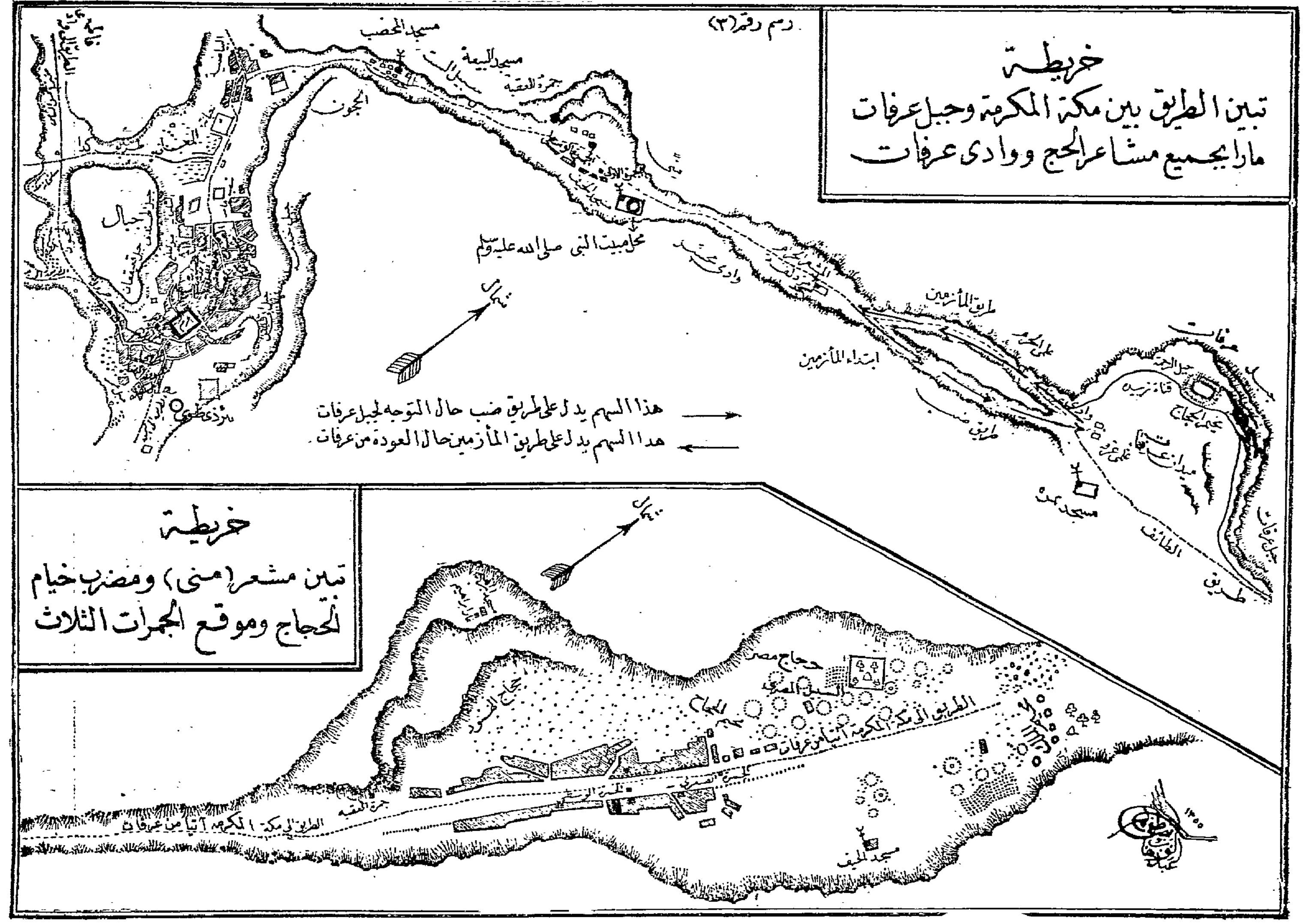
وصف طريق ضب

ولكى تعرف هذا الطريق اجعل مسجد المزدلفة خلف ظهرك ، وسر أمامك مائلا إلى اليمين قليلا ، إلى أن تصير فى واد محصور بين سلسلتين من الجبال ، فسر فيــه للنهاية — «انظر خريطة المشاعر رقم ٣» — ثم سر نحو مسجد نمرة ، وهو مسجد مشيد قد تراه بعينك .

الاغتسال للوقوف بعرفات والصلاة بمسجد نمرة (١)

فإذا قربت منــه فاغتسل هناك غسل الوقوف بعرفات ، فقــد ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم اغتسل هناك لهذه الغاية ، وبعد الانتهاء من الغسل ادخل مسجد

(١) يسمى (مسجد إبراهيم صلى الله عليه وسلم) . ويسمى (مسجد عرنة) . ونقل الإمام النووى فى المجموع : أن مقدم هذا المسجد من طرف وادى عرنة ، وآخره فى عرفات .



ملاحظات — (١) المسافة بين الحرم ومنى ٧ ك ٠ م ٠ تقريبا ٠ (٢) وبين منى وجبل الرحمة ١٤ ك ٠ م ٠ تقريبا ٠

(٣) وبين الجمرة الأولى والوسطى ١١٦ مترا تقريبا ٠ (٤) وبين الوسطى وجمرة العقبة ١٦٠ مترا تقريبا ٠

نمرة وصل ما شئت فيــه نفلا ، ثم انتظر بالمســجد إلى أن تصلى الظهر والعصر مقصورتين مجموعتين جمع تقديم مع الإمام .

الوصــــول إلى عرفات

و بعد انقضاء الصلاة سر حتى تصل إلى عرفات ، وامكث بها إلى المغرب ، والأفضل أن تكون عند الصخرات الكبار بسفح جبل الرحمة . و إذا ما وقع بصرك على هذا الجبل فقل : «اللهم اغفر لى وتب علىّ وأعطنى سُــؤْلى ، ووجِّهْ لِى الخيرَ أينما توجَّهْتُ . سبحانَ اللهِ والحمدُ للهِ ولا إلَهَ إلا اللهُ واللهُ أكبر» .

تنبيــــــه

أود أن تعلم أيها الحاج الوقور : أن الركوب أثنــاء حضورك بعرفات أفضل من وقوفك إذا أمكنك الركوب ، ووقوفك خير من قعــودك ، وقعودك خير من استلقائك على الأرض مستيقظا ، واستلقاؤك متيقظا خير من نومك . وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان راكبا ناقته القصواء مدّة حضوره بعرفات فى حجة الوداع .

ما يقال بعرفات من الدعاء

إذا كنت فى وادى عرفات : سواء أكنت عند الصخرات الكبار الموجودة فى سفح جبل الرحمة من الجهــة الجنوبية الشرقية ، وهى التى وقف عندها ســيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع ، أم كنت واقفا فى مكان آخر منه « غير وادى عُرَنَةَ » ، فاستقبل الكعبة المشرفة : سواء أكنت راكبا أم قائما أم قاعدا ، وخذ فى الدعاء والتضرع والابتهال إلى غروب الشمس ، وكن فى دعائك وتضرعك رافعا يديك إلى صدرك كاستطعام المسكين البائس ، واعلم أن النبي صــلى الله عليه وسلم قال لأصحابه « إنَّ خيرَ الدعاءِ دعاءُ يومِ عَرَفَةَ » .

ولهذا أقدم لك الدعاء الآتى بعد ، و بعضه قاله سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فادع الله به إن أمكنك ، و إلا فادع الله بما يجئ على لسانك ؛ واجتهد أن

تسكب العبرات من عينيك على تفريطك في جنب الله، الذي خلقك فسواك، وأجزل لك العطاء . اسكب الدمع مدرارا مظهرا أسفك على انتهاكك حرمات الله تعالى وتهاونك في القيام بفرائضه . اسكب الدمع من عينيك فقد ملئتا من المحارم، وتب إلى الله تعالى بقلبك ولسانك الذي طالما اغتبت به عباد الله، وقد نهاك الله عن الغيبة والنميمة . واعلم أن البكاء دليل الإجابة والقبول، فإذا لم تتمكن من البكاء، فتباكَ؛ لعل الله عزت قدرته ينظر إليك في هذا اليوم ويقبل منك حجتك، فتصبح وقد خرجت من ذنوبك كيوم ولدتك أمك . (وها هو ذا الدعاء) :

دعاء عرفة

«لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له له الملكُ وله الحمدُ يحيي ويميت وهُوَ حيٌّ لا يموتُ بيده الخيرُ وهو على كل شيءٍ قديرٌ . اللهم إنك وَفَّقْتَني وحَمَلْتَني على ما سَخَّرْتَ لي، حتى بَلَّغْتَني بإحسانِكَ زيارةَ بيتِكَ، والوقوفَ في هذا المشعرِ العظيم؛ اقتداءً بسُنَّةِ خليلِكَ، واقتفاءً لآثارِ خِيرتِكَ مِنْ خَلْقِكَ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم؛ وإنَّ لكلِّ ضَيْفٍ قِرًى، ولكُلِّ وَفْدٍ جَائِزَةً، ولكُلِّ زائرٍ كرامةً، ولكلِّ سائلٍ عطيةً، ولكلِّ راجٍ ثواباً، ولكل ملتمسٍ لما عندك جزاءً، ولكلِّ راغبٍ إليك زُلْفَى، ولكلِّ متوجِّهٍ إليك إحساناً؛ ولقد وقفْنَا بهذا المشعرِ العظيمِ رجاءً لما عندكَ فلا تخيِّبْ إلهَنَا رجاءَنا فيكَ . يا سيدَنَا يا مولانَا . يا مَنْ خضعتْ كلُّ الأشياءِ لعزتِه، وعنتِ الوجوهُ لعظمتِه . اللهُمَّ إليكَ خرجْنا، وبفِنائِكَ أَنَخْنَا، وإياكَ أمَّلْنَا، وما عندكَ طلبْنا، ولإحسانِكَ تعرَّضْنا، ولرحمتِكَ رَجَوْنَا، ومن عذابِكَ أشفقْنا، ولبيتِكَ الحرامِ حَجَجْنَا . يا من يملكُ حوائجَ السائلينَ، ويعلمُ ضمائرَ الصامتين . يا مَنْ ليس معه ربٌّ يُدْعَى، ولا إلَهٌ يُرْجَى، ولا فوقه خالقٌ يُخْشَى، ولا لَهُ وزيرٌ يُؤْتَى، ولا حاجبٌ يُرْشَى . يا من لا يزدادُ على السؤال إلا كرماً وجُوداً، وعلى كثرةِ الحوائجِ إلا تفضلاً وإحساناً . يا من ضجَّتْ بين يديه الأصواتُ، بلغاتٍ مختلفاتٍ، يسألونه الحاجاتِ، ساكبينَ الدموعَ بالزَّفَرَاتِ، ملحِّينَ بالدعواتِ . حاجتي إليك يا ربِّ مغفرتُكَ،

ورضاءٌ منك عليّ لا سخط بعده، وهدًى لا ضلال بعده، وعلمٌ لا جهل بعده، وحسنُ الخاتمة والعتقُ من النارِ والفوزُ بالجنة، وأن تذكُرَني عند البلاءِ، إذا نسيَني أهلُ الدنيا وواراني الترابُ، وانقطع عنّي الأحبابُ، وتقطعتْ بي الأسبابُ، يا عزيزُ يا وهّابُ. يا أرحمَ الراحمين. اللهم إنك ترى مكاني، وتسمع كلامي، وتعلمُ سرّي وعلانيتي، ولا يخفى عليك شيءٌ من أمري. أنا البائسُ الفقيرُ المستغيثُ الوجِلُ المشفِقُ المُقِرُّ المعترفُ بذنبه. أسألُك مسألةَ المسكين، وأبتهلُ اليكَ ابتهالَ المذنبِ الذليلِ، وأدعوكَ دعاءَ الخائفِ الضريرِ. دُعاءَ مَنْ خضعَ لكَ عنقُه، وذلَّ لكَ جسدُه، وفاضتْ لك عيناه، ورَغِمَ لك أنفُه. لا تجعلْني بدعائكَ ربِّ شقيًّا، وكن بي رءوفًا رحيما. يا خيرَ المسئولينَ، و يا خيرَ المُعْطِين. ربِّ اهدنا بالهُدى، وزيِّنّا بالتقوى، واغفرْ لنا في الآخرةِ والأُولى. اللهم اجعلْ في قلبي نورًا، وفي سمعي نورا، وفي بصري نورا، وفي لساني نورًا، وعن يميني نورا وعن يساري نورًا، ومن فوقي نورًا ومنْ تحتي نورًا، ومن أمامي نورًا ومن خلفي نورًا، واجعلْ لي في نفسي نورا، وأعظِمْ لي نورًا. ربِّ اشرحْ لي صدْري ويسِّرْ لي أمري. اللهم إني أسألُكَ الهُدى والتُّقَى، والعَفافَ والغنى. اللهم لكَ الحمدُ كالّذي نقُولُ وخيرا ممّا نقُولُ. اللهم إني أسألُكَ رِضاكَ والجنةَ وما قرّبَ إليها مِنْ قولٍ أو عملٍ، وأعوذُ بِكَ مِنْ سَخَطِكَ والنارِ وما قرَّب إليها من قولٍ أو عملٍ. اللهم اجعله حجًّا مبرورا، وذنبا مغفورا، وعَمَلًا صالحًا مقبولًا. ربّنا آتنا في الدُّنيا حسَنةً وفي الآخرةِ حسَنةً وقِنا عذابَ النارِ. إلهي لا قُوّةَ لي على سُخْطِكَ، ولا صبْرَ لي على عذابِكَ، ولا غِنَى لي عَنْ رحْمَتِكَ، ولا قُوّةَ لي على البَلاءِ، ولا طاقةَ لي على الجَهْدِ. أعوذُ برِضاكَ مِن سُخْطِكَ، ومِنْ فُجَاءَةِ نِقْمَتِك. يا أملي ويا رجائي. يا خيرَ مُستغاثٍ. يا أجودَ المُعْطين. يا من سَبَقَتْ رحمتُه غضبَه. يا سيِّدي ومولايَ. يا ثِقتِي ورجائي ومعتمَدي. اللهم يا من لايشغَلُه سمْعٌ عن سمْعٍ ولاتشتبِهُ عليه الأصواتُ، يا من لاتُغَلِّطُه المسائلُ ولاتختلِفُ عليه اللغاتُ، يا من لا يُبرِمُه إلحاحُ الملحِّينَ ولا تُعجِزُه مسألةُ السائلينَ، أذقْنا بَرْدَ عَفْوِكَ وحلاوةَ مغفرتِكَ يا أرحمَ الراحِمينَ. اللهم إني قد وفَدْتُ اليكَ، ووقفْتُ بين

يديك ، في هذا الموضع الشريف ، رجاءً لما عندك ، فلا تجعلني اليوم أخيب وفدك . أكرمني بالجنة ، ومُنَّ عليَّ بالمغفرة والعافية ، وأجرني من النار ، وادرأ عني شر خلقك . انقطع الرجاء إلا منك ، وأُغلقت الأبواب إلا بابك ، فلا تكلني إلى أحد سواك في أمور ديني ودنياي طرفة عين ولا أقل من ذلك ، وانقلني من ذل المعصية إلى عز الطاعة ، ونور قلبي وقبري ، وأعذني من الشر كله ، واجمع لي الخير كله . يا أكرم من سئل ، وأجود من أعطى . اللهم بنورك اهتدينا ، وبفضلك استغنينا ، وفي كنفك وإنعامك وعطائك وإحسانك أصبحنا وأمسينا . أنت الأول فلا شيء قبلك ، والآخر فلا شيء بعدك ، والظاهر فلا شيء فوقك ، والباطن فلا شيء دونك . نعوذ بك من العجز والكسل وعذاب القبر وفتنة الغنى . أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك ، والغنيمة من كل بر ، والسلامة من كل إثم ، والفوز بالجنة والنجاة من النار . اللهم يا عالم الخفيات . يا سامع الأصوات . يا باعث الأموات يا مجيب الدعوات . يا قاضي الحاجات . يا خالق الأرض والسموات . أنت الله الذي لا إله إلا أنت الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الوهاب الذي لا يبخل ، والحليم الذي لا يعجل ؛ لا راد لأمرك ، ولا معقب لحكمك ، رب كل شيء ، ومليك كل شيء ، ومقدر كل شيء . أسألك أن ترزقني علماً نافعاً ، ورزقاً واسعاً ، وقلباً خاشعاً ، ولساناً ذاكراً ، وعملاً زكياً ، وإيماناً خالصاً ، وهب لنا إنابة المخلصين ، ويقين الصادقين ، وسعادة المتقين ، ودرجات الفائزين . يا أفضل من قصد ، وأكرم من سئل ، وأحلم من أُغضب . ما أحلمك على من عصاك ، وأقربك إلى من دعاك ، وأعطفك على من سألك . لا مهدي إلا من هديت ، ولا ضال إلا من أضللت ، ولا غني إلا من أغنيت ، ولا فقير إلا من أفقرت ، ولا معصوم إلا من عصمت ، ولا مستور إلا من سترت . أسألك أن تهب لنا جزيل عطائك ، والسعادة بلقائك ، والمزيد من نعمائك وآلائك ، وأن تجعل لنا نوراً في حياتنا ، ونوراً في مماتنا ، ونوراً في قبورنا ، ونوراً في حشرنا ، ونوراً نتوسل به لديك ، فإنا ببابك سائلون ، وبنوالك معترفون ، وللقائك راجون . اللهم اجعل خير عمري آخره ، وخير عملي خواتمه ، وخير أيامي يوم لقائك .

اللهم ثبِّتْني بأمرِكَ، وأيِّدْني بنصرِكَ، وارزُقْني من فَضْلِك، ونجِّني من عذابِكَ، يوم تبعثُ عبادَكَ؛ فقد أتيتُكَ لِرحمتِكَ راجياً، وعَنْ وطَنِي نائياً، ولنُسُكِي مؤدِّياً، ولفرائضِكَ قاضِياً، ولكتابِك تالياً، ولك داعياً، ولقسوةِ قلبي شاكياً، ومن ذنبي خاشِياً، ولنفسي ظالماً، وبجُرْمِي عالماً. دعاءَ من جَمَّتْ عيوبُه، وكثُرتْ ذنوبُه، وتَصَرَّمَتْ آمالُه، وبَقِيَتْ آثامُه، وانسكَبَتْ دمعتُه، وانقطعت مُدَّتُه؛ دعاءَ مَنْ لا يجِدُ لذنبه غافرًا غيرَك، ولا لمأمولِه مِنَ الخيراتِ معطياً سِواكَ، ولا لِكَسْرِه جابرًا إلا أنت؛ يا أرحم الراحمين؛ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. اللهم لا تُقدِّمْنِي لعذابِكَ، ولا تُؤَخِّرْني لِشَيْءٍ مِنَ الفِتَنِ. مولاي هَأنَذَا أدعُوكَ راغبا وأُنصِبُ إليكَ وجهِي طالبا، وأضعُ لك خَدِّي مَهِيناً رَاهِبا؛ فتقبَّل دعائي، وأصلِحِ الفاسِدَ مِنْ أمرِي، واقطَعْ من الدنيا هَمِّي وحاجتِي، واجعلْ فيما عندك رغبَتِي، واقْلِبْنِي مُنْقَلَبَ المذكورِينَ عندَك، المقبولِ دعاؤُهُمْ، القائمةِ حُجَّتُهُم، المغفورِ ذنبُهُمْ، المبرورِ حَجُّهُم المحطوطِ خطاياهم، المحُوِّ سيئاتُهُمْ، الراشِدِ أمرُهم؛ منقلَبَ من لا يَعصِي لك أمرا، ولا يأتِي بعدَه مأثَماً، ولا يحمِلُ بعدَه وِزْرَا؛ منقلَبَ من عَزَّزْتَ بذكرِك لسانَه، وطَهَّرتَ من الأدناسِ بدنَه، واستَوْدَعْتَ الهدى قلبَه، وشرحتَ بالاسلامِ صدره، وأقرَرْتَ برضاك وعفوك قبل المماتِ عينَه، وغضَضْتَ عن المآثم بصرَه، واستعملْتَ في سبيلِكَ نفسَه؛ وأسألك ألا تجعلَنِي أشقى خلقِكَ المذنبِينَ عندك، ولا أخيَبَ الراجين لديك، ولا أتعَسَ الآملين لرحمتك، ولا أخسرَ المنقَلِبين من هذا الموقفِ العظيم. مولاي ربَّ العالمين. اللهم قد دعوتُك بالدعاءِ الذي عَلَّمْتَنِيه؛ فلا تَحْرِمْنِي الرجاءَ الذي عرَّفتنيه. يا من لا تنفعُه الطاعةُ ولا تضرُّه المعصيةُ؛ وما أعطيتَنِي مما أُحِبُّ، فاجعله لي عونا فيما تُحِبُّ، واجعله لي خيرا، وحَبِّبْ طاعتَكَ لي والعملَ بها؛ كما حَبَّبْتَها إلَى أوليائِكَ حتى رأوا ثوابَها؛ وكما هديتَنِي للإسلامِ لا تنزِعْهُ مني حتى تقبضَنِي إليكَ وأنا عليه. اللهم حَبِّبْ إلَيَّ الايمانَ وزيِّنْهُ في قلبي، وكَرِّهْ إلَيَّ الكفرَ والفسوقَ والعصيانَ واجعلني من الراشدين. اللهم اختم بالخيراتِ أعمالَنا وآجالَنا، وحقق بفضلِكَ آمالَنا، وسهل أرزاقنا، وأنِرْ سُبُلَنا،

وحسّنْ فى جميع الأحوال أعمالنا . يا مُنقذَ الغرْقى . يا مُنْجِيَ الهلْكى . يا شاهدَ كلِّ نجْوى . يا منتهى كلِّ شكوى . يا قديمَ الإحسانِ . يا دائمَ المعروف . يا من لاغنَى لشيءٍ عنه ، ولا بدَّ لكلِّ شيءٍ منه ، ومصيرُ كلِّ شيءٍ إليه . إليكَ رُفعتْ أيدى السائلين ، وامتدَّتْ أعناقُ العابدين . نسألُك أن تجعلَنا فى كَنَفِك وجودِكَ ، وحِرْزِكَ وعِياذِكَ ، وسِترِكَ وأَمانِكَ . اللهم إنا نعوذُ بكَ من جَهْدِ البلاءِ ، ودَرَكِ الشقاءِ ، وشماتةِ الأعداءِ ، وسُوءِ المنظرِ والمنقلَبِ : فى الأهلِ والمالِ والولدِ . اللهم لا تدَعْ فى مقامنا هذا ذنباً إلا غفرْتَه ، ولا همًّا إلا فرّجْتَه ، ولا غائباً إلا رددْتَه ، ولا كربا إلا كشفْتَه ، ولا دَيْناً إلا قضَيتَه ، ولا عدُوًّا إلا كبتَّه ، ولا فساداً إلا أصلحتَه ، ولا مريضاً إلا عافيتَه ، ولا خَلَّةً إلا سددتَها ، ولا حاجةً من حوائجِ الدنيا والآخرة لك فيها رضًا ولنا فيها صلاحٌ إلا قضيتَها ؛ فانك تَهْدى السَّبيلَ ، وتجبُرُ الكسير ، وتُغْنِى الفقيرَ . اللهم إنه لا بدَّ منْ لقائكَ ؛ فاجعل عذرَنا مقبولاً ، وذنبَنا مغفوراً ، وعلمنا موقوراً ، وسعيَنا مشكوراً . أصبح وجْهى الفانى مستجيراً بوجهكَ الباقى القيومِ ، ذى العزةِ والجبروتِ . اللهُمَّ لا يمنعُنى منك أحد إذا أردتَنى ، ولا يعطينى أحدٌ إذا حرَمتَنى ، فلا تحْرِمْنِى بِقِلَّةِ شُكْرِى ، ولا تخْذُلْنِى بقلَّةِ صَبرِى . اللهم اجعَلِ الموتَ خيرَ غائبٍ نَنْتَظِرُه ، والقبرَ خيرَ بيتٍ نَعْمُرُه ، واجعلْ ما بعده خيرا لنا منه . ربِّ اغفرْ لى ولوالدَيَّ ولأبنائِى ولإخوانِى وأهلِ بيتِى وذُرِّيَّتِى ، وللمؤمنينَ والمؤمناتِ والمسلمين والمسلمات : الأحياءِ منهم والأمواتِ . اللهُمَّ إنى أسألُكَ إيماناً يباشرُ قلبى ، ويقينا صادقا حتى أَعْلَمَ أنَّه لا يصيبُنِى إلا ما كُتِبَ لِى ، ورَضِّنِى بقضائك ، وأَغْنِّى على الدنيا بالعِفَّةِ والقناعةِ ، وعلى الدينِ بالطاعةِ ، وطَهِّرْ لسانى من الكَذِبِ ، وقلبى من النفاقِ ، وعملِى مِنَ الرياءِ ، وبَصَرِى مِنَ الخيانةِ ؛ فإنَّكَ تعلمُ خائنةَ الأعينِ وما تُخْفِى الصدورُ . اللهم ارحَمْ غُرْبَتِى فى الدنيا ومَصْرَعِى عند الموتِ ووَحْشَتِى فى قبرى ومَقامى بين يديك . اللهم أنت السلامُ ومنك السلامُ تباركْتَ وتعاليتَ ياذَا الجلالِ والإكرامِ . اللهُمَّ أنت الملكُ لا إله إلا أنت ؛ أَنْتَ رَبِّى وأنَا عبدُكَ ؛ ظلمتُ نفسِى واعترفتُ بذنبِى ؛ فاغفرْ لى ذُنوبِى فإنه لا يَغفرُ الذنوبَ الا أنتَ ،

وَٱهْدِنِي لِأَحْسَنِ الأخلاقِ فإنه لا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إلا أنتَ، وَٱصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا فإنه لا يصرفُ سَيِّئَهَا إلا أنتَ . لَبَّيْكَ وسَعْدَيْكَ والخيرُ كُلُّه بِيَدَيْكَ . اللهم أَحْيِنِي ما عَلِمْتَ الحياةَ خيرًا لي، وتوفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الوفاةَ خيرا لي، وَٱهْدِنِي لِأَرْشَدِ أمرِي وأَجِرْنِي مِنْ شَرِّ نفسي . اللهم أحسِنْ عاقبَتَنا في الأُمورِ كلِّها، وأجِرْنَا من خزْيِ الدُّنْيَا وعذابِ الآخرةِ . اللهم إني أسألك باسمك الطيِّبِ الطاهرِ المباركِ الأَحَبِّ إليكَ، الذي إذا دُعِيتَ به أَجَبْتَ، وإذا ٱسْتُرْحِمْتَ به رحمتَ، وإذا ٱسْتُفْرِجْتَ بِهِ فَرَجْتَ : أَنْ تُعِيذَنِي مِنَ الكُفْرِ والفَقْرِ، والقِلَّةِ والذِّلَّةِ والعِلَّةِ، وكافَّةِ الأَمْرَاضِ والأَعْرَاضِ، وسَائِرِ الأَسْقَامِ والآلامِ؛ وأسأَلُكَ فواتحَ الخيرِ وخواتِمَه وجوامعَه، وأَوَّلَهُ وآخرَه وظاهِرَه وباطِنَهُ، والدرجاتِ العُلَى . اللهم إني أسأَلُكَ فرَجًا قريبًا، ونصرًا عزيزًا، وصبرًا جميلا، وفتحًا وعلما كثيرًا نافعًا، ورزقا واسعا مباركًا، في عافيةٍ بلا بلاء؛ وأسأَلُكَ العافيةَ من كلِّ بلية؛ وأسأَلُكَ تمامَ العافيةِ، والشُّكرَ على العافيةِ . اللهم ٱقْسِمْ لي من خَشْيَتِكَ ما تَحُولُ به بيني وبينَ معاصيك، ومن طاعتِك ما تُبَلِّغُنِي به جَنَّتَكَ، ومنَ اليقينِ ما تُهَوِّنُ به عليَّ مصائبَ الدنيا؛ ومَتِّعْنِي اللهم بسمعي وبصري وديني، واجعله الوارثَ مني، واجعل ثأري على من ظَلَمَنِي، وانصُرْنِي على من عادانِي، ولا تجعَلِ الدنيا أكبرَ همِّي، ولا مَبْلَغَ علمي، ولا إلى النَّاسِ مَصِيرِي . اللهم إني أسأَلُك بنورِ وجهكَ الكريمِ، وسلطانِكَ العظيمِ : توبةً صادقةً وأَوْبةً خالصةً، وإنابةً كاملةً، ومحبَّةً غالبةً، وشوقًا إليكَ، ورغبةً فيما لَدَيْكَ، وفَرَجًا عاجلًا، ورزقًا واسعًا، ولسانًا رطبًا بذكرِكَ، وقلبًا مُفْعَمًا بِشُكْرِك، وبَدَنًا هَيْنًا لَيْنًا بطاعتِكَ؛ وأعطِنا ما لَا عَيْنٌ رأتْ ولا أُذُنٌ سمعَتْ ولا خَطَرَ على قلبِ بَشَرٍ . اللهم إنا نعوذُ بك مِنَ الفقرِ إلا إليكَ، ومِنَ الذُّلِّ إلا لكَ، ومنَ الخوفِ إلا منك، وأعوذُ بك مِنْ أن أقولَ زورًا، أو أغشَى فُجُورا، أو أكونَ بك مغرورًا، وأعوذ بك من شماتةِ الأعداءِ وعُضَالِ الداءِ وخَيبةِ الرَّجاءِ، وزَوالِ النعمِ وفُجَاءَةِ النِّقَمِ . يا مَنْ فتحَ بابَه للطالبِينَ، وأظهَرَ غِنَاهُ للراغبِينَ، وأطلَقَ ألسنَةَ القاصرِينَ . أَلْهِمْنَا ما أَلْهَمْتَ عِبادَكَ الصالحِينَ، وأيقِظْنَا مِنْ رَقْدَةِ الغافلِينَ؛ إنَّكَ أكرَمُ مُنعِمٍ وأعزُّ مُعِينٍ . اللهم

إن عيوبنا لا يسترها إلا محاسن عطفك ، وذنوبنا لا يغفرها إلا واسع إحسانك وعفوك . اللهم اجعلنا من المتقين الأبرار ، واسلك بنا سبيل عبادك الأخيار وألهمنا رشدنا ، وأجزل من رضوانك حظنا ، ولا تحرمنا بذنوبنا ، ولا تطردنا بعيوبنا ، ولا تقطعنا من برك ، ولا تنسنا ذكرك ، ولا تهتك عنا سترك ، واغفر لنا ما اقترفناه من ذنوبنا ، واعف عن تقصيرنا في طاعتك وشكرك ، وأدم لنا لزوم طريقك ، وهب لنا نورا نهتدي به إليك ، وارزقنا حلاوة مناجاتك ، واسلك بنا سبيل مرضاتك ، واقطع عنا كل ما يبعدنا عن خدمتك وطاعتك ، وأنقذنا من دركاتنا وغفلاتنا ، وحقق فيك قصدنا ، واسترنا في دنيانا وآخرتنا ، واحشرنا في زمرة المتقين ، وألحقنا بعبادك الصالحين . اللهم اجعلنا مع الأئمة الأبرار ، واسلكنا معهم في دار القرار ، ولا تجعلنا من المخالفين الفجار ، ووفقنا لحسن الإقبال عليك ، والإصغاء إليك ، والمبادرة إلى خدمتك ، وحسن الأدب في معاملتك ، والتسليم لأمرك ، والرضا بقضائك ، والصبر على بلائك ، والشكر لنعمائك ، وأعذنا من أحوال أهل الشقاء ، ووفقنا لأعمال أهل التقى ، وارزقنا الاستعداد ليوم اللقاء . يا من عليه الاعتماد والمتكل . اللهم انهج بنا مناهج المفلحين ، وألبسنا خلع الإيمان واليقين ، وخصنا منك بالتوفيق المبين ، ووفقنا لقول الحق واتباعه ، وخلصنا من الباطل وابتداعه ، وكن لنا مؤيدا ، ولا تجعل لفاجر علينا يدا ، واجعل لنا عيشا رغدا ، ولا تشمت بنا عدوا ولا حاسدا ، وارزقنا علما نافعا ، وعملا متقبلا ، وفهما ذكيا ، وطبعا صفيا ، وشفاء من كل داء . اللهم عاملنا بغفرانك ، وامنن علينا بفضلك وإحسانك ، ونجنا من النار ، وعافنا من دار الخزي والبوار ، وأدخلنا بفضلك الجنة دار القرار ، واجعلنا مع الذين أنعمت عليهم في دار رضوانك . يا من ظهرت معرفته للقلوب فلا يخفى وجوده ، وعم جميع خلقه كرمه وجوده . اللهم لا تجعل هذا آخر عهدي من هذا الموقف العظيم ، وارزقني الرجوع إليه مرات كثيرة بلطفك العميم ، واجعلني فيه مفلحا مرحوما مستجاب الدعاء ، فائزا بالقبول والرضوان ، والتجاوز والغفران ، والرزق الحلال الواسع ، وبارك لي في جميع

أمورى، وما أرجعُ إليه من أهلى ومالى وأولادى . ربنا آتنا فى الدُّنيا حَسَنَةً وفى الآخرة حسنةً وَقِنا عذابَ النار، وآغفرْ لنا ولوالدينا وذُرِّيَّاتنا وإخواننا وأَهْلِينا، والحاضرينَ والغائبينَ منَ المسلمينَ أجمعين؛ برحمتك يا أرحمَ الراحمينَ . وصلى اللهُ على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين .

وأكثر منْ قَوْل « رَبَّنَا آتنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وقنَا عَذَابَ النَّارِ » .

تنبيهات وتحذيرات هامة

(١) لا تجعل وقوفك فى يوم عرفة بوادى « عُرَنَةَ » ؛ فإن الوقوف فيه يفوِّتُ عليك الحج .

(٢) كن فى وقوفك : فى سفح جبل الرحمة أو قريبا منه، فهو أفضل موقف بعرفات .

(٣) لا تغادر « عرفات » قبل غروب الشمس « ولا قبل انصراف ملك الحجاز أو نائبه » .

(٤) لا تُصلِّ المغرب والعشاء فى عرفات، ولا فى الطريق، بل صلهما فى مزدلفة مجموعتين جمع تأخير .

(٥) لا تصم هذا اليوم .

الإفاضة من عرفات إلى المزدلفة

بعد أن تغيب شمس يوم عرفة بمدّة قصيرة ترى ملك الحجاز أو نائبه مغادرا الموقف الشريف موليا وجهه شطر المزدلفة، فاتبعه بسكينة ووقار، سالكا «طريق المأزمين» — وهو الطريق الذى عاد منه سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجته — ، واجعل شعارك التلبية والتهليل والتكبير والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم : كأن تقول : « اللهُ أكبرُ اللهُ أكبر اللهُ أكبر . لا إله إلا الله، واللهُ أكبر اللهُ أكبر ولله الحمد . اللهُ أكبرُ كبيرا، والحمد لله كثيرا، وسبحانَ الله بُكْرَةً وأَصيلا . لا إله إلا اللهُ وحدَه، صَدَقَ وعدَه، ونصر عبده، وأعز جُنْدَه، وهزم الأحزابَ

وحده . لا إله إلا الله، ولا نعبُـدُ إلا إياه، مُخْلِصين له الدينَ ولو كَرِه الكافرون . اللهم صل على سـيدنا محمد، وعلى آل سـيدنا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى أنصار سيدنا محمد، وعلى أزواج سيدنا محمد، وعلى ذُرِّيَّةِ سيدنا محمد، وسَلِّمْ تسليما كثيرا» .

وصف طريق المأزمين

(ولكى تعرف هذا الطريق) اجعل جبل الرحمة وراء ظهرك و «عَلَمَىْ عرفة»(1) أمامك فإذا وصلتهما فاخرج من بينهما، وسر فى الطريق الذى تسلكه المشاة وراكبو الدواب حتى تصل إلى قرب مسجد المزدلفة .

الوصول إلى مزدلفة وجَمْعُ العشاءين بها تأخيرا

إذا قربت من مسـجد المزدلفة فتنح عن الطريق وحط رحالك، فإنك قـد صرت بوادى مزدلفة « انظر خريطة المشاعر رقم ٣ » ولا تنس أنه مطلوب منك أن تصلى فى هذا المكان المغرب والعشاء مجموعتين جمع تأخير مع قصر العشاء .

المبيت بمزدلفـــة

بعد أن تصـلى المغرب والعشاء بالمزدلفة بت بها، وأحى هـذه الليلة بالصلاة والذكر والدعاء إلى أن يتنفس الصبح، فإذا طلع الفجر فصل الصبح فى أول وقته، واحذر أن تصليه قبـل تحقق الوقت، فإذا فرغت من الصـلاة فاسـتعد للذهاب إلى المشعر الحرام .

الوقوف بالمشعر الحرام والتقاط الحصيات السبع منه

قال الله تعالى : ﴿ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ، ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

(1) هما عامودان متباعدان ارتفاع كل منهما خمسة أمتار تقريبا، والحكومة الحجازية تضع على قمة كل منهما مصباحا ذا نور وهاج .

بعد أن تصلى الصبح فى وقته فى المكان الذى بت فيه من المزدلفة ، توجه بلا مهل إلى « المشعر الحرام » — وهو تل صغير قليل الارتفاع ، أقيم عليه مسجد يسمى باسمه وباسم « مسجد المزدلفة » ، والحكومة الحجازية تضع حول هذا المسجد وفى منارته عدّة مصابيح ، يسطع نورها فى أرجاء هذا المشعر ، وهذا إعلان من الحكومة إلى الحجيج يشير إلى أن هذا المكان هو « المشعر الحرام » ، ومن السهل بعد هذا البيان أن تهتدى اليه —

فإذا ما صرت فيه فاستقبل القبلة وقل : «سبحانَ الله والحمدُ لله ولا إلهَ إلا اللهُ والله أكبر . اللهم إنا نسألُكَ يا غفورُ يا رحيمُ أن تفتحَ لأدعيتنا أبوابَ الإجابةِ . يا من إذا سألَهُ المُضْطَرُّ أجابَه . يا من يقولُ للشيءِ كُنْ فيَكُونُ . اللهم إنّا جئناكَ بجمعنا ، متشفِّعينَ إليكَ فى غفرانِ ذُنوبنا ، فلا تَرُدَّنا خائبين ، وآتنا أفضلَ ما تؤتى عبادَك الصالحين ، ولا تَصْرِفنا من هذا المشعرِ العظيم إلا فائزينَ مُفْلحين ، غيرَ خَزايا ولا نادمينَ ولا ضالِّينَ ولا مُضلين ؛ يا أرحم الراحمين . اللهم وفّقنا للهدى ، واعصمنا من أسبابِ الجهل والرَّدَى ، وسلِّمنا من آفاتِ النفوس فإنَّها شرُّ العدا ، واجعلنا ممَّنْ أقبلْتَ عليهِ فأعْرَضَ عمَّن سِواكَ ، وخُذْ بأيدينا إليكَ ، وارحمْ تضرُّعَنا بينَ يديكَ إلهَنا قوِّمْنا إذا اعوججْنا ، وأعِنّا إذا استقمْنا ، وكُنْ لنا ولا تكن علينا ، وأحْيِنا فى الدنيا مؤمنينَ طائعين ، وتوفَّنا مسلمين تائبين ، واجعلنا عند السؤالِ آمنين ، واجعلنا ممن يأخذُ كتابَهُ باليمين ، واجعلنا يومَ الفَزَعِ الأكبرِ مِنَ الآمنين ، ومَتِّعنا اللهمَّ بالنظرِ إلى وجهكَ الكريم ؛ برحمتك يا أرحمَ الراحمين » وأكثر بعد ذلك من الذكر ومن قول ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ وابق بالمشعر الحرام إلى قبيل طلوع الشمس ، ثم تأهب للذهاب إلى مِنًى بعد أن تلتقط سبع حصيات مثل حب الفول لرمى جمرة العقبة بها .

الإفاضة من المشعر الحرام إلى منى

قبل شروق الشمس بمدّة « نحو ثلاثين دقيقة » ، وبعد التقاط سبع حصيات من أرض المشعر الحرام لترمى بها جمرة العقبة ، توجه إلى منى بسكينة ووقار ، مهللا

مكبرا ملبيا مصليا على النبي صلى الله عليه وسلم، واستمر سائرا حتى إذا ما صرت في « بَطْنِ مُحَسِّرٍ» فأسرع في مشيتك إذا كنت ماشيا، وحرك دابتك إن كنت راكبا؛ وأما اذا كنت راكبا سيارة لا تقودها، فاطلب من السائق أن يسرع في السير فوق سرعته التي كان عليها، واستمر على ذلك الى أن تخرج من بطن محسر؛ فإذا لم تتمكن من الإسراع في مشيتك في جميع مسافته، يكفيك الإسراع قدر رَمْيَةِ حَجَرٍ أو أزيد، ثم تعود لمشيتك المعتادة حتى تصل إلى مِنى؛ والإسراع في السير في هذا الوادي مطلوب من الذكر والأنثى .

وصف بَطْنِ مُحَسِّرٍ

« بطن محسر» هو طريق ضيق بين سلسلتين من الجبال طوله نصف كيلومتر تقريبا، وهو لا يعد من المشعر الحرام، ولا من مشعر مِنى، بل هو برزخ بينهما، ويبتدئ بانحدار من نهاية المشعر الحرام . ويبعد عن جمرة العقبة — الآتي وصفها بعد — بمقدار ثلاثة كيلومترات ونصف، كما أنه يبعد عن مسجد المشعر الحرام بمقدار كيلومترين تقريبا، و(يقال إنه) في هذا الطريق نزل بأس الله المنتقم الجبار بجيش عدو الله « أبرهة » الذي جاء يتقدمه فيل كبير ليهدم الكعبة المكرمة، فأهلكهم الله عز وجل من غير أن ينالوا بغيتهم من بيت الله الكريم، وكان ذلك قبل ميلاد سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بخمسين يوما على القول المشهور .

(وسمي محسرا) لأن الفيل حَسَرَ فيه عن الحركة وعجز عن السير نحو مكة المكرمة "بناء على هذا القول" . وفي هذه الحادثة التاريخية العظيمة يقول الله عز وجل لنبيه وخيرته من خلقه في كتابه العزيز: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم . أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ . أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ . وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ . تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ، . فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ .

(والقول الصحيح) أن أصحاب الفيل لم يدخلوا الحرم، بل أهلكهم الله قبله، فهم لم يدخلوا وادي محسر، وإنما سمي مُحَسِّرًا لأنه يُحَسِّرُ سالكيه ويتعبهم ...

ولا تعجب أيها الحاج من إسراعك فى المشى بهذا الوادى؛ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أسرع فى الخروج منه؛ لأن بأس الله قد حل بأعدائه وهم به سائرون، أو لأن العرب فى الجاهلية كانوا يقفون فيه يتفاخرون، فَأُمِرَ بمخالفتهم «انظر خريطة المشاعر رقم ٣».

رمى جمرة العقبة

إذا وصلت إلى مِنًى فتوجه إلى «جمرة العقبة» — وهذه الجمرة تقع على يمين الداخل فى منى بعد إفاضته من المشعر الحرام، وهى تقع على يسار الداخل إلى منى من جهة مكة المكرمة، فهى أقرب الجمرات لها، وتقع فى سفح جبل فاصل بين طريقين، ويبتدئ هذا الجبل من هذه الجمرة، ويمتد إلى الجهة الشرقية «انظر الخريطة رقم ٣» —

فإذا وصلت اليها فقف فى أسفل الوادى، واجعل البيت الحرام عن يسارك ومِنى عن يمينك، ثم استقبل الجمرة وابتدئ فى رميها — وأنت راكب إذا أمكنك، وذلك بعد طلوع الشمس وارتفاعها — بالسبع الحصيات التى استحضرتها معك من المشعر الحرام الذى وصفته لك بوضوح تام، بعد أن تتأكد من نظافتها، ويكون الرمى بواحدة فواحدة باليد اليمنى، بأن ترفعها حتى يرى بياض إبطك، ثم تقذف بالحصاة، قائلا عند رمى كل حصاة "الله أكبر"، والحصاة إن لم تصب الجمرة كان لزاما عليك أن تعيد الرمى بحصاة غيرها لا يكون رمى بها أحد غيرك، وذلك قبل مغادرة الجمرة، وبالشروع فى الرمى تقطع التلبية.

الذبح والحلق والتحلل الأصغر

ثم انصرف مباشرة لذبح ما معك من الهدى — وهو هدى التمتع أو القران — أو الأضحية، ثم احلق رأسك أو قصرها؛ والحلق أفضل، ثم قلم أظافرك؛ وبإتمام هذه الأعمال يحل لك ما كان محرما عليك إلا قربان النساء؛ ويسمى هذا التحلل "بالتحلل الأصغر".

طواف الإفاضة والتحلل الأكبر

بعد أن تحلل التحلل الأصغر تذهب إلى مكة المكرمة؛ لتؤدّى أحد أركان الحج وهو طواف الإفاضة — ويسمى طواف الزيارة — بالكيفية التي ذكرناها لك سابقا في طواف القدوم، ولكن لا رَمَلَ في ثلاثة الأشواط الأول إلا لمن لم يكن سعى بعد طواف القدوم؛ فإنه يرمُلُ لأن الرمل مطلوب في كل طواف بعده سعى، ثم تصلى ركعتى الطواف في مقام إبراهيم صلى الله عليه وسلم، ثم تسعى بين الصفا والمروة بالصفة المتقدّمة مع الهرولة بين الميلين الأخضرين في سبعة الأشواط، وهذا السعى مطلوب منك إن لم تكن سعيت من قبل؛ و بطوافك هذا الطواف أحلت لك النساء، وهذا هو "التحلل الأكبر" وأنت مخير في أن تؤدّى فريضة الظهر في مكة المكرمة أو في مِنى؛ ولا تنس أن تشرب من ماء زمزم بعد فراغك من صلاة ركعتى الطواف اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم .

العودة إلى مِنًى

بعد أن تطوف طواف الإفاضة بالكعبة المشرفة، وتسعى إن لم تكن سعيت قبل، عد إلى مِنى فرحا مسرورا للمبيت بها، و بوصولها صل الظهر إذا لم تكن صليته بمكة المكرمة .

العبادات المطلوبة يوم النحر

مما تقدّم يعلم لك أيها الحاج الوقور أن المطلوب منك عمله يوم العيد أربعة انساك تأتى بها حسب الترتيب الآتى :

(١) رمى جمرة العقبة .

(٢) ذبح الهدى والأضحية .

(٣) الحلق أو التقصير .

(٤) طواف الإفاضة، ثم السعى إن لم تكن سعيت بعد طواف القدوم .

توجيهات نظر

(١) لا ترم جمرة العقبة قبل شروق الشمس ولا تؤخر رميها إلى الليل .

(٢) يستحب لك الاغتسال قبل أن تطوف طواف الإفاضة ؛ لتزيل ما قد عساه أن يكون موجودا على جسمك من الوسخ ، ولا بد أن تكون طاهرا من الحدثين .

(٣) لا تترك أمتعتك بمكة المكرمة بل خذها معك فى الأيام التى ستقضيها فى منى .

(٤) تصدّق بقدر الإمكان على الفقراء والمساكين .

ختام المرحلة الثانية

إلى هنا انتهت أعمال المرحلة الثانية من مراحل الحج الثلاث ، وهى أدق مراحله وعلى معظمها تتوقف صحة الحج ؛ فاجتهد أن تأتى بأعمالها حسب ما شرحته لك بوضوح تام ، ويلاحظ أن فى هذه المرحلة من المناسك تسعة وهى :

(١) الإحرام بالحج لمن كان متمتعا أو مبتدئا .

(٢) الوقوف بعرفات .

(٣) المبيت بمزدلفة .

(٤) الوقوف بالمشعر الحرام .

(٥) رمى جمرة العقبة .

(٦) ذبح الهدى والأضحية .

(٧) الحلق أو التقصير .

(٨) طواف الإفاضة .

(٩) السعى بين الصفا والمروة لمن لم يسع من قبل .

«تنبيه هام» مطلوب منك أن تذكر الله عز وجل عند الفراغ من كل نسك ، والإكثار من قول ﴿ ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ﴾ ؛ عملا بقوله تعالى : ﴿ فإذا قَضَيْتُمْ مَّناسِكَكُمْ فاذْكُروا اللهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أو أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾ .

أعمال المرحلة الثالثة

تبتدئ هذه المرحلة من أول أيام التشريق — وهو اليوم الحادى عشر من ذى الحجة — وتنتهى بخروجك من مكة المكرمة، ذاهبا للمدينة المنورة؛ لزيارة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو عائدا لوطنك المحبوب الذى خرجت منه حاجا .

رمى الجمرات الثلاث

قال الله عز وجل فى كتابه العزيز : ﴿ وَٱذْكُرُوا ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ معدودات ؛ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ﴾ .

رمى الجمرة الأولى

إذا أصبحت فى اليوم الحادى عشر من ذى الحجة، فعليك أن تشتغل بذكر الله سبحانه وتعالى ما استطعت إلى ذلك سبيلا، واجتهد فى تلاوة القرآن الكريم والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وبعد الزوال سر على قدميك متوضئا قبل أداء فريضة الظهر ، ومعك إحدى وعشرون حصاة تكون مستحضرا إياها من مكان من غير أمكنة الرمى، وتقدّم نحو الجمرة الأولى وهى التى تلى مسجد الخيف — وتراها مقامة على رأس شارع ينتهى بالشارع العام الواقع فيه الجمرات الثلاث من الجهة الجنوبية . انظر موقعها بالخريطة رقم ٣ — فإذا وصلتها فأسرع فى رميها بسبع حصيات واحدة واحدة قائلا عند رمى كل حصاة « الله أكبر » ، وإياك إياك أن تشك فى العدد ، فاذا حصل الشك فابن على الأقل وأكمل الرمى سبعا . ومنعا لما عساه يحصل من الشك يحسن بك أن تضع سبع حصيات فى يدك اليسرى، ثم تأخذ واحدة بعد واحدة وترمى بها الجمرة ، فإذا لم تصب واحدة منها الهدف فلا تأخذ مما فى يدك ، بل ابحث عن حصاة أخرى لا يكون رمى بها أحد غيرك، وارم بها الجمرة قائلا « الله أكبر » ؛ فإذا أكملت الرمى سبعا فتقدّم للأمام غير بعيد ؛ لتفسح لغيرك ليرمى كما رميت ؛ ثم قف واستقبل القبلة، وارفع

يديك تجاه صدرك كالمستطعم المسكين ، وطأطئ رأسك ، وادع الله سبحانه وتعالى طويلا : بقدر قراءة سورة البقرة — أى مقدار ساعة زمنية — ، ويحسن أن تختار دعاءك من بين الأدعية التى تقال فى عرفة (انظر صفحة ٥٣ وما بعدها) .

رمى الجمـــرة الوســطى

إذا انتهيت من رمى الجمرة الأولى بالصفة التى شرحناها لك ، ودعوت الله سبحانه وتعالى بقدر قراءة سورة البقرة ، فتقدّم إلى «الجمرة الوسطى» — وهى تبعد عن الأولى بمقدار ١١٦ (مائة وستة عشر) مترا تقريبا ، وتقع على يمينك وأنت سائر نحو مكة ، بعيــدة عن وسط الشارع العــام ، قريبة جدا من حائط السكن (انظر موقعها على الخريطة رقم ٣) — فإذا وصلتها فارمها بسبع حصيات ، واحدة بعد واحدة ، قائلا مع كل حصاة « الله أكبر » ، كما فعلت عند الرمى فى الجمرة الأولى ، وبعدها انحدر ذات اليسار ، وقف بعيدا عن وسط الشارع بجوار حائط السكن ، مستقبلا القبلة رافعا يديك نحو صدرك ، وادع الله عز وجل طويلا بقدر قراءة سورة البقرة .

رمى جمــرة العقبــة

فإذا فرغت من رمى الجمرة الوسطى ودعوت الله كما سبق ، فتقدّم نحو جمرة العقبة التى رميتها يوم العيد — وتبعد هذه الجمرة عن الجمرة الوسطى بمقدار ١٦٠ (مائة وستين) مترا تقريبا ، وهى على يمين الذاهب لمكة المكرمة ، وتراها ملتصقة بالجبــل بخلاف الجمرتين السالف ذكرهما (انظر خريطة المشاعر رقم ٣) — فإذا وصلتها فارمها بسبع حصيات ، واحدة واحدة ، قائلا عند رمى كل واحدة منها « الله أكبر » ، وذلك بعد وقوفك فى أسفل الوادى ، جاعلا البيت عن يسارك ومِنى عن يمينك ، مستقبلا إياها ، وبعد فراغك من رميها بهذه الحالة انصرف مباشرة دون أن تقف عندها .

(والحكمة فى عدم وقوفك عند هذه الجمرة) أنك كنت فى عبادة وفرغت منها ، كما تخرج من الصلاة بالتسليم بعد فراغك منها ، ولا حاجة لك فى الوقوف هناك ، بل انصرف إلى المسجد لصلاة الظهر .

تكرار رمى الجمرات

وكما فعلت فى اليوم الحادى عشر من رمى الجمرات الثلاث، تفعل فى اليوم الثانى عشر، وكذا فى اليوم الثالث عشر إذا لم تتعجل؛ والأفضل أن لا تتعجل اقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم . والله سبحانه وتعالى يقول فى كتابه الكريم : ﴿ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ ﴾ .

تنبيهات هامة

(١) يجب أن يكون رمى الجمرات بالترتيب الذى شرحناه سابقا ، وهو أن تبتدئ بالجمرة الأولى فالوسطى فجمرة العقبة .

(٢) يجب أن يكون الحصى الذى ترمى به من جنس الأرض أو الحجارة ، ويستحب أن يكون غير عالق به نجاسات ، والأفضل أن تغسله إن شككت فى نجاسته ، واستحضره من أى مكان شئت إلا أمكنة الرمى ؛ واعلم أنّ النبى صلى الله عليه وسلم رمى الجمرات بحصى أتى به من مِنىً ، إلا ما رمى به جمرة العقبة يوم العيد فإنه استحضره معه من المشعر الحرام . « فتنبه » .

(٣) لا تبتدئ فى الرمى إلا بعد زوال الشمس وقبل صلاة الظهر .

(٤) ينبغى أن لا تترك الصلاة فى مسجد الخيف .

(٥) من الواجب أن تبيت بمنى أيام التشريق ومعك أمتعتك .

(٦) تصدّق بقدر الإمكان على الفقراء والمساكين .

التوجه إلى المُحَصَّب

فإذا كان اليوم الثانى عشر من ذى الحجة لمن تعجل، والثالث عشر لمن تأخر، فتوجه بعد رمى الجمرات الثلاث وقبل صلاة الظهر إلى «المحصب» ، وهو واد خارج مكة المكرمة يقال له الأبطح (يقع الآن بين قصر صاحب الجلالة ملك الحجاز و بين جبانة المعلى) ، ولقد عاينته فى حجتى الأخيرة، فإذا به قد شغل بعضه بالمبانى غير المنظمة و بعض منه بالطريق العام، ولقد شيد فيه مسجد فى الموضع الذى نزل فيه

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وصلى الأوقات الخمس (انظر موقعه بالخريطة رقم ٣)، وهناك محراب قائم فى وسط المسجد قيل إنه موضع سجوده عليه الصلاة والسلام؛ فيستحب أن تذهب إلى هذا المسجد وتصلى فيه الظهر والعصر والمغرب والعشاء، وأن تبيت هناك فتصلى الصبح فيه ، فإذا اقتصرت على صلاة الظهر والعصر فقد أتيت بالسنة .

العود إلى مكة المكرمة

ثم عد إلى مكة المكرمة وامكث بها ما شئت ، مكثرا من الطواف وتلاوة القرآن والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ومن الصدقات ما استطعت إلى ذلك سبيلا، والشرب من ماء زمزم .

تنبيهات هامة

وفيها بيان «العمرة» لمن حج مفردا

(١) إذا لم تكن طفت يوم العيد طواف الإفاضة، فعند وصولك مكة المكرمة أسرع بأداء الطواف ثم السعى إذا لم تكن سعيت من قبل .

(٢) إذا كنت قد أحرمت بالحج وحده من الميقات، فأت بعمرة بعد الانتهاء من أعمال الحج : أحرم بها من الجعرانة أو التنعيم، ثم طف بالبيت سبعا، مُرْمِلًا فى ثلاثة الأشواط الأول، ثم صل ركعتى الطواف فى مقام إبراهيم، ثم عد للحجر الأسود وقبِّله ، واخرج من أوسط أبواب الصفا، واسع بين الصفا والمروة سبعة أشواط بالكيفية السابقة، ثم احلق رأسك أو قصرها؛ وذلك قبل أن تطوف طواف الوداع .

(٣) لا تحرم بالعمرة يوم العيد وثلاثة الأيام التالية له التى يقال لها أيام التشريق، ولا تحرم بها قبل انتهاء أعمال الحج كلها .

طواف الوداع

إذا عزمت على الرحيل من مكة المكرمة، فواجب عليك أن تطوف طواف الوداع؛ ليكون آخر عمل عملته بمكة المكرمة طوافك بالبيت العتيق، ويكون هذا

الطواف بالكيفية المعلومة، ولا ترمل في ثلاثة الأشواط الأول منه، ثم صل ركعتي الطواف في مقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ثم عد للحجر الأسود وقبّله .

التزام الملتزم والدعاء عنده

ثم ائت الملتزم وهو المسافة المحصورة بين الحجر الأسود وباب الكعبة المشرفة – انظر موقعه بالخريطة رقم ١ – فضع عليه صدرك ووجهك وذراعيك وكفيك، وادع الله بما شئت واسأله حاجتك؛ فإن الدعاء في هذا المكان موضع إجابة من الله العزيز الوهاب، وقل في دعائك الدعاء المأثور عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو : «اللهم إني عبدُك وابنُ عبدِك وابنُ أَمَتِكَ . حَمَلْتَنِي على ما سَخَّرْتَ لي من خَلقِكَ، وسيَّرْتَنِي في بلادِك حتى بلَّغتني بنعمتِك إلى بيتِك، وأعنْتَنِي على أداءِ نُسُكي؛ فإن كنتَ رضيتَ عني فازدَدْ عنِّي رِضًا ، وإلَّا فَمِنَ الآنَ فَارْضَ عَنِّي قَبْلَ أن تَنأى عن بيتِكَ داري؛ فهذا أوانُ انصرافي إن أذنْتَ لي ، غيرَ مستبدِلٍ بكَ ولا ببيتِكَ ولا راغبٍ عنكَ ولا عَنْ بيتِكَ . اللهم فأَصْحِبْنِي العافيةَ في بَدَني والصحةَ في جسمي، والعصمةَ في ديني، وأحسن مُنْقَلَبِي، وارزُقني طاعَتَك ما أبقيتَني، واجمع لي بين خَيْرَيِ الدنيا والآخرةِ؛ إنك على كل شيء قدير» اهـ ثم قل : «اللهمَّ احفظْنِي مِنْ يميني ومن شِمالي ومِن خَلفي ومِن أَمامي، ومن فَوقي ومن تحتي، حتى تُقْدِمَني على أهلي، فإذا أقدمتَني على أهلي فاكفني مَؤُونةَ عِيالي واكفِنِي مَؤُونةَ خلقِكَ أجمعين» ، ثم قل : «اللهم لا تجعله آخرَ عهدي ببيتِك هذا ، وارزُقني العودةَ إليه مراتٍ بعد مراتٍ؛ إنك يامولاي على كل شيءٍ قديرٌ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم» .

ويستحب لك في هذه الحال أن تشرب من ماء زمزم وتتضلع منه ، وادع عند شربه بالأدعية الشرعية، ولا تغتسل منه .

وقد ذكر الإمام الغزالي أن زمان الشرب من ماء زمزم بعد صلاة ركعتي الطواف : أي أنك تطوف ثم تصلي الركعتين ثم تذهب فتشرب من زمزم ثم تعود الى الحجر الأسود لتقبله ثم تأتي الملتزم فتدعو بالدعاء المذكور .

الخروج من الحرم

ثم اخرج من الحرم مباشرة . والأفضل أن تخرج من باب الوداع، ولا تمش القهقرى أثناء الخروج لأنه ليس من السُّنة فى شىء ، ويكفيك أن تخرج وأنت متأسف على فراقك بيت الله الكريم، مستفرغ الدموع مدرارا على مغادرتك البلد الأمين .

ويلاحظ أن فى هذه المرحلة من المناسك ثلاثا : (الأول) رمى الجمار . (الثانى) المبيت بمنى . (الثالث) طواف الوداع .

تنبيهات هامة جدا

(١) لا تطف طواف الوداع إلا عند عزمك على الرحيل من مكة المكرمة .

(٢) لا تمكث بمكة المكرمة بعد طواف الوداع إلا مسافة قصيرة بقدر ربط وحزم الأمتعة الخفيفة .

(٣) إذا طافت المرأة بالبيت الحرام طواف الإفاضة ثم أدركها الحيض أو النفاس سقط عنها طواف الوداع .

(٤) يستحب لك أن تخرج من طريق غير الذى دخلت منه مكة المكرمة .

(٥) حاضرو المسجد الحرام لا يقع منهم طواف الوداع .

(٦) يستحب لك وأنت خارج من مكة المكرمة أن تقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « آيِبُونَ تائبون عابدون لِرَبِّنا حامدون . صدق اللهُ وعدَه ، ونَصر عبدَه، وأعزَّ جُندَه، وهَزم الأحزابَ وحده » .

خاتمة مراحل الحج والعمرة

الآن وقد فرغنا من إرشادك أيها الحاج الوقور إلى كيفية أداء المناسك على الوجه الذى أداها به سيدنا محمد رسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم ، فى حجة الوداع ، ما نقصنا منها شيئا ولا أضفنا إليها شيئا آخر مما يشوه جمال حقيقتها . بل كان عملنا فى غاية الدقة والتحرى عن الحقيقة التى لا ريب فيها ، فجاءت ولله الحمد

صحيحة وافية بالغرض الذى وضعت من أجله ، وهو تتبع خطوات الرسول صلوات الله وسلامه عليه فى حجة الوداع .

والأئمة رضوان الله عليهم أجمعين وإن اختلفوا فى تفسير بعض النقط التى حصلت فى حجة الوداع "شكلا" فقد اتفقوا على العمل بمقتضاها "موضوعا".

"ومناسكى" هذه صورة طبق الأصل من حجته عليه الصلاة والسلام .

ولما كان المسلمون مطالبين بتقليد نبيهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فى جميع أفعاله بقدر المستطاع ، وكانت فريضة الحج مطلوبة من كل مكلف ومكلفة من المسلمين مرة واحدة فى العمر ، وجب والحالة هذه مراعاة الدقة المتناهية عند القيام بها وتقليده عليه الصلاة والسلام ، ولا يتسنى لك ذلك من غير أن ترجع لمثل هذه الرسالة ، فاحرص على تتبع ما جاء بها ﴿ وقُلْ عسى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هذا رَشَدا ﴾ .

فقه المذاهب فى الحج

ولكى تعرف فقه المذاهب فى الحج رأينا أن نسوق إليك ما قررته هذه المذاهب بشأن هذه الفريضة الجليلة ، وهى لا تخرج فى كيفية أدائها عن الوجه الذى بيناه فى هذه الرسالة ، ولقد اعتمدنا فى نقل هذا البحث على الكتب المعتمدة فى المذاهب الأربعة ، وهى المشار إليها بأول الرسالة ، وسأذكر الأحكام مجردة من الأدلة التى لا تسعها هذه الرسالة ، وما لنا والأدلة ، فقد قتلتها الأئمة رضوان الله عليهم أجمعين بحثا وتمحيصا . والله سبحانه وتعالى يرشدنا الى ما فيه السعادة الدنيوية والأبدية .

النظر فى كتاب الحج فى ثلاثة مقاصد :

(المقصد الأوّل) يشتمل على الأشياء التى تجرى من هذه العبادة مجرى المقدمات التى تجب معرفتها .

(المقصد الثانى) فى الأشياء التى تجرى منها مجرى الأركان وهى الأمور المعمولة نفسها والأشياء المتروكة .

(المقصد الثالث) فى الأشياء التى تجرى منها مجرى الأمور اللاحقة وهى أحكام الأفعال العارضة كالمحظورات والمفوتات .

المقصــد الأوّل

هــذا المقصد يشتمل على ثلاثة أشـياء : (أ) معرفة وجوب الحج وشروطه وعلى من يجب . (ب) معرفة متى يجب . (ج) حكم العمرة .

(أ) وجوب الحج وشروطه — لا خلاف فى وجوب الحج لقوله تعــالى : ﴿ وللهِ على الناسِ حِجُّ البيتِ منِ آستطاعَ إليهِ سبيلا ﴾ .

والشروط قسمان : شروط وجوب، وشروط صحة .

(فأما شروط الصحة) فلا خلاف بين الأئمة أن منها الإسلام فلا يصح حج من غير مسلم . واختلفوا فى صحة وقوعه من الصبى؛ فذهب مالك والشافعى إلى جواز ذلك غير أنه لا يجزئ عن حجة الإسلام، ومنع منه بعض العلماء، وكذلك اختلف أصحاب مالك فى صحة وقوعه من الطفل الرضيع ، وينبغى أن لا يختلف فى صحة وقوعه ممن يصح وقوع الصلاة منه، وهو كما قال صلى الله عليه وسلم "من السبع الى العشر".

(وأما شروط الوجوب) فمنها الإســلام على القول بأن الكفار غير مخاطبين بفروع الشريعة . ولا خلاف فى اشـتراط الاستطاعة وإن كان فى تفصـيل ذلك اختلاف، وهى بالجمــلة تتصور على نوعين : استطاعة مباشرة واستطاعة نيــابة؛ (فأما استطاعة المباشرة) فلا خلاف عندهم أنها تتحقق بالاستطاعة بالبدن وبالمــال مع الأمن . واختلفوا فى تفصيل الاستطاعة بالبدن والمــال؛ فقال الشافعى وأبو حنيفة وأحمــد : إن من شرط ذلك الزاد ، وكذا الراحلة لمن كان بعيدا عن مكة ، وقال مالك : من استطاع المشى ولو كان بعيدا فليس وجود الراحلة من شرط الوجوب فى حقه بل يجب عليه الحج ، وكذلك ليس الزاد عنده من شرط الاستطاعة إذا كان ممن يمكنه الاكتساب فى طريقه ولو بالسؤال ، (وأما استطاعة النيابة) عند العجز عن المباشرة، فعند مالك وبعض الحنفية أنها لا توجب على صاحبها النيابة — أى أنه لا تلزم النيابة إذا استطيعت مع العجز عن المباشرة — وعند الشافعى تلزم؛ فمن لا يقدر على الحج ببدنه وعنده مال يكفى لإنابة غيره عنه فى الحج تجب عليه تلك الإنابة من ماله

الخاص ، وعند الشافعي أيضا : إن وجد من يحج عنه بماله وبدنه من أخ أو قريب كفى ، وكذلك عنده من مات ولم يحج يلزم ورثتـه أن يخرجوا من ماله ما يحج به عنه . ولا خلاف بين المسلمين أنه يقع الحج عن الغير إذا كان تطوعا وإنما الخلاف في وقوعه إذا كان فرضا . واختلفوا في الذى يحج عن غيره سواء أكان حيا أم ميتا أمن شرطه أن يكون قد حج عن نفسـه أم لا ؟ فذهب بعضهم إلى أن ذلك ليس من شرطه ، وإن كان قد أدى الفرض عن نفسه فذلك أفضـل ، وبه قال مالك فيمن يحج عن الميت لإن الحج عنده عن الحى لا يقع ، وذهب آخرون إلى أن من شرطه أن يكون قد قضى فريضة نفسـه ، وبه قال الشافعي وغيره ؛ وعلى هذا إن حج عن غيره من لم يقض فرض نفسـه انقلب إلى فرض نفسـه . واختلفوا فيمن يؤجر نفسـه في الحج فكره ذلك مالك والشافعي وقالا : إن وقع ذلك جاز ، ولم يجز ذلك أبو حنيفة بل قال : الذى يحج عن غيره له النفقة فقط .

واختلفوا هل من شرط وجوب الحج على المرأة أن يكون معها زوج أو ذو محرم منها يطاوعها على الخروج معها إلى السفر للحج ؟ فقال مالك والشافعي : ليس ذلك من شرط الوجوب ، وقال أبو حنيفة وأحمـد : وجود ذى المحـرم أو الزوج ومطاوعته لها شرط في الوجوب عند البعد عن مكة .

وبذلك عرفت من تجب عليه هذه الفريضة وممن تصح ، فتنبه .

(ب) متى يجب الحج ؟ — اختلفوا أهو على الفور أم على التراخى ، والقولان منسوبان إلى مالك وأصحابه ، والظاهر عند المتأخرين منهم أنها على التراخى وبالقول بأنها على الفور قال البغداديون منهم وهو المختار ، واختلف في ذلك قول أبي حنيفة وأصحابه ، والمختار عندهم أنه على الفور ، وقال الشافعي : هو على التوسعة إن لم يخف فوته لعجز أو ضياع مال ، وعزم على فعله بعد .

(ج) حكم العمرة — قيل : إنها فرض ، وقيل : إنها سـنة ، وبالأول قال الشافعي وأحمد وأبو عبيد والثورى والأوزاعى ، وهو قول ابن عباس وابن عمر من الصحابة وجماعة من التابعين ، وبالسنية قال المـالكية والحنفية .

المقصد الثانى

فى الأعمال التى تؤدى بها هذه العبادة وما يشترط فيها

هذه العبادة نوعان : حج، وعمرة ؛ والحج ثلاثة أصناف : إفراد وتمتع وقران ، وكلها تشتمل على أفعال محدودة فى أمكنة محدودة وأوقات محدودة، وعلى تروك تشترط فى تلك الأفعال ؛ فإذاً المقصد الثانى ينقسم إلى الأفعال و إلى التروك ؛ فلنبدأ بالأفعال ؛ وهذه منها ما تشترك فيها هذه الأربعة الأنواع من النسك : أعنى أنواع الحج الثلاثة والعمرة ، ومنها ما يختص ببعضها ؛ فلنبدأ من القول فيها بالمشترك ، ثم نعقب ذلك بالخاص فنقول : إن الحج والعمرة أول أفعالها الفعل الذى يسمى الإحرام .

١ ـ الإحرام

(ا) ميقاته

الإحرام يشترط فيه المكان والزمان : (أما المكان) فهو ما يسمى مواقيت الحج . وقد أجمع العلماء على أن المواقيت التى منها يكون الإحرام : ذو الحليفة لأهل المدينة ، والجحفة لأهل الشام، وقَرْن لأهل نجد، ويلملم لأهل اليمن . واختلفوا فى ميقات أهل العراق فقال جمهور فقهاء الأمصار : ميقاتهم من ذات عرق، وقال الشافعى بذلك أيضا لكنه قال : إن أهلوا من العقيق كان أحب[(١)]، (ومعنى كون الإحرام من الميقات) أن يحرم الشخص قبله أو عنده ولا يجاوزه من غير إحرام . وجمهور العلماء على أن من يجاوز هذه وقصده الإحرام فلم يحرم إلا بعدها فعليه دم، وهؤلاء منهم من قال : إن رجع إلى الميقات فأحرم منه سقط عنه الدم، ومنهم الشافعى ، ومنهم من قال : لا يسقط عنه الدم وإن رجع، وبه قال مالك ، وقال قوم ليس عليه دم، وقال آخرون إن لم يرجع إلى الميقات فسد حجه ويرجع إلى الميقات فيهل منه بعمرة، وجمهور العلماء على أن من كان منزله دونهن فميقات إحرامه من منزله .

---

(١) انظر خريطة المواقيت رقم ٢

واختلفوا فى الأفضل أهو إحرام الحاج منهن أم من منزله إذا كان منزله خارجا عنهن؟ فقال قوم : الأفضل له الإحرام من منزله والإحرام منهن رخصة، وبه قال أبو حنيفة والثورى وجماعة وهو أحد قولى الشافعى، وقال مالك وإسحاق وأحمد إحرامه من المواقيت أفضل وهو أرجح قولى الشافعى . واختلفوا فيمن ترك الإحرام من ميقاته وأحرم من ميقات آخر غير ميقاته مثل أن يترك أهل المدينة الإحرام من ذى الحليفة ويحرموا من الجحفة، فقال قوم عليه دم، وممن قال به مالك وبعض أصحابه، وقال أبو حنيفة ليس عليه شيء .

ولا خلاف أنه يلزم الإحرام من مر بهذه المواقيت ممن أراد الحج أو العمرة، وأما من لم يردهما ومر بهما، فقال قوم : كل من مر بهما يلزمه الإحرام إلا من يكثر ترداده مثل الحطابين وشبههم، وبه قال مالك، وقال قوم : لا يلزم الإحرام إلا مريد الحج أو العمرة؛ فهذا هو ميقات المكان المشترك لأنواع هذه العبادة .

(وميقات الزمان) محدود أيضا فى أنواع الحج الثلاثة، وهو شوّال وذو القعدة وذو الحجة، ولكن قال مالك : ثلاثة الأشهر كلها محل للحج، وقال الشافعى الشهران وتسعة أيام من ذى الحجة وليلة النحر، وقال أبو حنيفة : وعشرة من ذى الحجة . ولا فائدة لهذا الخلاف . فإن أحرم بالحج قبل أشهره كرهه مالك وأحمد وأبو حنيفة وصح إحرامه عندهم، وقال الشافعى : لا يصح حجا ولكن ينعقد إحرامه إحرام عمرة .

(وأما العمرة) فاتفقوا على جوازها فى كل أوقات السنة، وقال أبو حنيفة : تجوز فى كل السنة إلا يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق الثلاثة فإنها تكره تحريما، وتكره للمكى تحريما أيضا فى أشهر الحج لمن أراد الحج فى تلك السنة، وقال غيره : لا يصح الجمع بين حجتين أو عمرتين ولا إدخال العمرة على الحج قبل إتمام أعماله .

واختلفوا فى تكريرها فى السنة الواحدة، فكان مالك يستحب عمرة فى كل سنة ويكره تكرارها فى السنة الواحدة، وقال الشافعى وأبو حنيفة وأحمد لا كراهة فى ذلك .

فهذا هو القول فى شروط الإحرام الزمانية والمكانية . ونذكر بعده الأمور التى يجب على المحرم تركها، وها كها :

(ب) محظورات الإحرام

(١) الكلام على اللباس — اتفق العلماء على أن المحرم لا يلبس قميصا ولا سراويل (وهو ما يسمى عند أهل مصر: لباسا، وكذا ما يسمى عند الفرنج بنطلونا) ولا برنسا (قلنسوة طويلة) ولا خفا ولا ثوبا مسه الزعفران أو الورس (نبت أصفر يمنى) ولا ما كان فى معنى ذلك من مُحِيط الثياب، وأن هذا مخصوص بالرجال، فلا بأس بأن تلبس المرأة القميص والسراويل والخِفَاف والخُمُر. واختلفوا فيمن لم يجد غير السراويل هل له لبسها؟ فقال مالك وأبو حنيفة: لا يجوز له ذلك وإن لبسها افتدى، وقال الشافعى والثورى وأحمد وداود وأبو ثور: لا شيء عليه إذا لم يجد إزارا. وجمهور العلماء على إجازة لبس الخفين مقطوعين لمن لم يجد النعلين، وقال بعض العلماء: يجوز لمن لم يجد النعلين أن يلبس الخفين غير مقطوعين، قال عطاء: فى قطعهما فساد والله لا يحب الفساد. واختلفوا فيمن لبسهما مقطوعين مع وجود النعلين، فقال مالك والشافعى: عليه الفدية، وبه قال أبو ثور، وقال أبو حنيفة لا فدية عليه. واختلفوا فى المعصفر فقال مالك: لا بأس به فإنه ليس بطيب ما لم يكن صبغه قويا وإلّا وجب غسله، وقال الشافعى وأحمد لا يحرم لأن المقصود منه اللون، وقال أبو حنيفة والثورى: هو طيب وفيه الفدية. وأجمعوا على أن إحرام المرأة فى وجهها ويديها بأن لا تسترهما، وأن لها أن تغطى رأسها وتستر شعرها، وأن لها أن تسدل ثوبا على وجهها من فوق رأسها سدلا خفيفا تستتر به من نظر الرجال إليها، لكن بعضهم أوجب التجافى بين وجهها وبين الساتر. واختلفوا فى ستر الرجل وجهه بعد إجماعهم على انه لا يستر رأسه، فروى مالك عن ابن عمر أن ما فوق الذقن من الرأس لا يُخَمِّرُه المحرم، وإليه ذهب مالك، وروى عنه أنه إن فعل ذلك ولم ينزعه فى الحال افتدى، وقال الشافعى والثورى وأحمد وداود وأبو ثور يجوز تخمير المحرم وجهه. واختلفوا فى لبس القُفَّازَيْنِ للمرأة، فقال مالك وغيره: إن لبستهما افتدت، ورخّص فيه الثورى، وهو مروىّ عن عائشة.

(٢) الكلام على الطيب — أجمع العلماء على أن الطيب كله يحرم على المحرم بالحج أو العمرة فى حال إحرامه . واختلفوا فى جواز التطيب قبل أن يحرم بما يبقى أثره عليه بعد الإحرام، فكرهه قوم وأجازه آخرون، وممن كرهه مالك ورواه عن عمر بن الخطاب ، وهو قول عثمان وابن عمر وجماعة من التابعين، وممن أجازه أبو حنيفة والشافعى والثورى وأحمد وداود .

(٣) الكلام على مجامعة النساء — أجمع المسلمون على أن وطء النساء على الحاج حرام من حين يحرم ؛ لقوله تعالى : ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ﴾ .

(٤) الكلام على إزالة الشعر ونحوها — اتفقوا على أن المحرم لا يزيل شعره ولا يُقَلِّم ظفره . وأجمعوا على أنه يجوز له غسل رأسه من الجنابة . واختلفوا فى كراهية غسله من غير الجنابة، فقال الجمهور : لا بأس بغسل رأسه، وقال مالك : بكراهية ذلك . واتفقوا على منع غسل رأسه بالخِطْمِىّ، وقال مالك وأبو حنيفة : إن فعل ذلك افتدى، وقال أبو ثور وغيره لا شىء عليه . واختلفوا فى دخوله الحمام، فكان مالك يكره ذلك ويرى أن على من دخله الفدية، وقال أبو حنيفة والشافعى والثورى وداود : لا بأس بذلك .

(٥) الكلام على الاصطياد — من محظورات الإحرام الاصطياد ، وذلك مجمع عليه لقوله تعالى : ﴿ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ لَا تَقْتُلُوا ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ﴾ . وقد اتفقوا على أن المراد بالصيد ما كان وحشيا، واشترط الشافعى وأحمد أن يكون مأكولا . وأجمعوا على أنه لا يجوز للمحرم صيده ولا أكل ما صاد هو منه . واختلفوا إذا صاده حلال أيجوز للمحرم أكله ؟ على ثلاثة أقوال : قول أنه يجوز له أكله على الإطلاق ، وبه قال أبو حنيفة وهو قول عمر بن الخطاب والزبير، وقول أنه محرّم عليه على كل حال، وهو قول ابن عباس وعلىّ وبه قال الثورى ، وقول أنه إن لم يصد من أجل المحرم أو من أجل قوم

محرمين فهو حلال، وإن صيد من أجل محرم فهو حرام على ذلك المحرم، وهو قول مالك والشافعي . واختلفوا في المضطر أيأكل الميتة أم يصيد في الحرم ؟ فقال مالك وأبو حنيفة والثوري وزفر وجماعة : إذا اضطر أكل الميتة ولحم الخنزير دون الصيد ، وقال أبو يوسف : يصيد ويأكل وعليه الجزاء .

فهذه الخمسة اتفق المسلمون على أنها من محظورات الإحرام .

(٦) عقد النكاح للمحرم — اختلفوا في نكاح المحرم فقال مالك والشافعي وأحمد والليث والأوزاعي : لا يَنْكِح المحرم ولا يُنْكَح فإن نكح فالنكاح باطل ، وهو قول عمر وعليّ بن أبي طالب وابن عمر وزيد بن ثابت ، وقال أبو حنيفة والثوري : لا بأس بأن ينكح المحرم ويُنكح .

(ج) أنواع الإحرام

المحرم : إما محرم بعمرة مفردة، أو محرم بحج مفرد، أو جامع بين الحج والعمرة، وهذا ضربان : إما متمتع ، وإما قارن . ولما كان الإفراد هو التعري عن صفات التمتع والقران، وجب أن نبدأ أوّلا بصفة التمتع، ثم نردف ذلك بصفة القران .

مبحث التمتع

اتفق العلماء على أن هذا النوع من النسك — المعنيّ بقوله سبحانه : ﴿ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ﴾ — هو أن يهل الرجل بالعمرة في أشهر الحج من الميقات إن كان مسكنه خارجا عن الحرم، ثم يأتي حتى يصل البيت فيطوف لعمرته ويسعى ويحلق في تلك الأشهر بعينها ثم يحل بمكة ، ثم ينشئ الحج في ذلك العام نفسه وفي تلك الأشهر نفسها من غير أن ينصرف إلى بلده، إلا ما روى عن الحسن أنه كان يقول : هو متمتع وإن عاد إلى بلده ولم يحج فعليه الهدى ، وكان يقول: عمرة في أشهر الحج متعة، وقال طاوس : من اعتمر في غير أشهر الحج ثم أقام حتى يحج وحج من عامه فهو متمتع . وقد اتفق العلماء على أن من لم يكن من حاضرى المسجد الحرام فهو متمتع ، واختلفوا في المكيّ أيقع منه التمتع أم لا؟ فقال أبو حنيفة بعدم

وقوعه ، فمن اعتمر من المكيين فى أشهر الحج وكان قصده أن يحج فى ذلك العام كُرِه له ذلك تحريما كما مر ، ووجب عليه رفض تلك العمرة ثم قضاؤها وعليه دم ، فإن لم يرفضها صحت وعليه دم ولا يكون متمتعا ، وقال مالك وغيره بوقوع التمتع من المكى ، والقائلون بوقوعه منه اتفقوا على أنه ليس عليه دم ؛ لقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ . واختلفوا فيمن هو حاضر المسجد الحرام ، فقال مالك : حاضرو المسجد الحرام هم أهل مكة وذى طُوًى وما كان مثل ذلك من مكة ، وقال أبو حنيفة : هم أهل المواقيت فمن دونهم إلى مكة ، وقال الشافعى : من بين مساكنهم وبين الحرم أقل من مرحلتين ، وقال أهل الظاهر : من كان ساكن الحرم ، وقال الثورى : هم أهل مكة فقط .

وهنا نوعان من التمتع اختلف العلماء فيهما : (أحدهما) فسخ الحج إلى عمرة وهو تحويل النية من الإحرام بالحج إلى العمرة ؛ فجمهور العلماء يمنعون ذلك ، وذهب ابن عباس إلى جوازه وبه قال أحمد وداود ؛ (وأما النوع الثانى من التمتع) فهو ما كان يذهب إليه ابن الزبير أن التمتع الذى ذكره الله هو تمتع المُحْصَر بمرض أو عدوّ ؛ وذلك إذا خرج الرجل حاجا فحبسه عدوّ أو أمر تعذر به عليه الحج حتى تذهب أيام الحج ، فيأتى البيت فيطوف ويسعى بين الصفا والمروة ويحل ، ثم يتمتع بحله إلى العام المقبل ، ثم يحج ويهدى ؛ وعلى هذا القول لا يكون التمتع هو التمتع المشهور ، وشذ طاوس أيضا فقال : إن المكى إذا تمتع من بلد غير مكة كان عليه الهدى .

واختلف العلماء فيمن أنشأ عمرة فى غير أشهر الحج ثم عملها فى أشهر الحج ثم حج عامه ذلك ، فقال مالك : عمرته فى الشهر الذى حل — أى انتهى من أعمالها — فيه ، فإن كان حل فى أشهر الحج ولو ليلة عيد الفطر فهو متمتع ، وإن كان حل قبل أشهر الحج فليس بمتمتع ، وبقريب منه قال أبو حنيفة والثورى ، إلا أن الثورى اشترط أن يوقع طوافه كله فى شوّال أو ما بعده ، وقال أبو حنيفة : إن طاف أكثر الأشواط فى أشهر الحج كان متمتعا — وذلك كأن يطوف ثلاثة أشواط قبل غروب شمس رمضان وأربعة بعد غروبها — وإلا لم يكن متمتعا ، وقال الشافعى : إذا دخل

فى العمرة فى غير أشهر الحج فسواء أطاف لها فى أشهر الحج أم فى غيرها لايكون متمتعا ، وهو قول أحمد و إسحاق وأبى ثور . وشروط التمتع عند مالك خمسة : (١) أن يجمع بين العمرة والحج عامٌ واحد . (٢) أن يفعل شيئا من العمرة فى أشهر الحج . (٣) أن ينشئ الحج بعد الفراغ من العمرة وإحلاله منها . (٤) أن يكون وطنه غير مكة . (٥) أن لا يرجع لبلده أو لمثله فى البعد بعد العمرة وقبل الحج .

مبحث القِران

والقران أن يهل بالنسكين معا ، أو يهل بالعمرة فى أشهر الحج ثم يردف ذلك بالحج قبل أن يحل من العمرة . واختلف أصحاب مالك فى الوقت الذى يكون ذلك الإرداف جائزًا له فيه ، فقيل ذلك له ما لم يشرع فى الطواف ولو شوطا واحدا وبه قال الشافعى ، وقيل : ما لم يطف ويركع ، إلا أنه يكره بعد الطواف وقبل الركوع ، وهذا هو الراجح عند المالكية ، وقيل : له ذلك ما بقى عليه شىء من أعمال العمرة من طواف أو سعى ، إلا الحلق فإنه بالاتفاق إذا أهل بالحج قبله فقط لا يكون قارنا ، وقال أبو حنيفة شرط القران أن يحرم بالحج قبل الفراغ من أكثر طواف العمرة . ثم القارن الذى يلزمه هدى التمتع هو عند الجمهور من غير حاضرى المسجد الحرام ، إلا ابن الماجشون من أصحاب مالك ، فإن القارن من أهل مكة عنده عليه الهدى ، ولا قران لأهل مكة عند أبى حنيفة إلا لمن خرج منهم من مكة قبل أشهر الحج .

مبحث الإفراد

والإفراد ما عَرِىَ عن الصفات السابقة وهو أن لا يكون متمتعا ولا قارنا ، بل أن يهل بالحج فقط . واختلف العلماء : أى الثلاثة أفضل الإفراد أم التمتع أم القران (انظر صفحة ٢٩) .

(د) صفة الإحرام

اتفق جمهور العلماء على أن الغسل للإهلال سُنَّة ، وأنه من أفعال المحرم حتى قال بعض المالكية : إن هذا الغسل للإهلال عند مالك أوكد من غسل الجمعة ، وقال

أهل الظاهر : هو واجب، وقال أبو حنيفة والثورى : يجزى عنه الوضوء، وقال الشافعى وأحمد : من عجز عن الغسل يتيمم . واتفقوا على أن الإحرام لا يكون إلا بنية ، واختلفوا هل تجزئ النية فيه من غير التلبية ؟ فقال مالك والشافعى : تجزئ النية من غير تلبية ، وقال أبو حنيفة : التلبية فى الحج كالتكبيرة فى الإحرام بالصلاة إلا أنه يجزئ عنده كل لفظ يقوم مقام التلبية، كما يجزئ عنده فى افتتاح الصلاة كل لفظ يقوم مقام التكبير وهو كل ما يدل على التعظيم ، ويجزئ عنده أيضا اقتران النية بتقليد البدنة مع سَوْقها . واتفق العلماء على أن تلبية الرسول صلى الله عليه وسلم : «لبيك اللهم لبيك . لبيك لاشريك لك . لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك» ؛ واختلفوا هل هى واجبة بهذا اللفظ ؟ فقال أهل الظاهر : هى واجبة بهذا اللفظ ، ولا خلاف عند الجمهور فى استحباب هذا اللفظ ، وإنما اختلفوا فى الزيادة عليه أو فى تبديله . وأوجب أهل الظاهر رفع الصوت بالتلبية، وهو مستحب عند الجمهور . وأجمع أهل العلم على أن تلبية المرأة بأن تسمع نفسها بالقول ، وقال مالك وغيره : لا يرفع المحرم صوته فى مساجد الجماعة، بل يكفيه أن يُسمع من يليه، إلا فى المسجد الحرام ومسجد مِنى فإنه يرفع صوته فيهما . واستحب الجمهور رفع الصوت عند التقاء الرفاق وعند الإطلال على شرف من الأرض . وكان مالك لا يرى التلبية من أركان الحج ولكن يرى على تاركها دما ، وكان غيره يراها من سننه، وبعضهم يراها من أركانه . واستحب العلماء أن يكون ابتداء المحرم بالتلبية بإثر صلاة يصليها ، وكان مالك يستحب ذلك بإثر نافلة . واختلفت الآثار فى الموضع الذى أحرم منه رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجته من أقطار ذى الحليفة؛ فقال قوم : من مسجد ذى الحليفة بعد أن صلى فيه ، وقال آخرون : إنما أحرم حين أطل على البيداء، وقال قوم: إنما أهل حين استوت به راحلته ؛ وسئل ابن عباس عن اختلافهم فى ذلك فقال : كُلٌّ حدّث عن أوّل إهلالٍ سَمِعه لا عن أول إهلاله صلى الله عليه وسلم؛ وذلك لأن الناس يأتون متسابقين ؛ فعلى هذا لا اختلاف . وأجمع فقهاء الأمصار على أن المكى لا يطلب منه الإهلال حتى يخرج إلى منى ليتصل

بعمل الحج، وروى مالك أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يأمر أهل مكة أن يهلوا إذا رأوا الهلال . ولا خلاف عندهم أن المكى لا يهل إلا من جوف مكة إذا كان حاجا ، وأما إذا كان معتمرا فإنهم أجمعوا على أنه يلزمه أن يخرج إلى الحِلّ ثم يحرم منه؛ ليجمع بين الحل والحرم كما يجمع الحاج؛ لإنه يخرج إلى عرفة وهى حل . واختلفوا إن لم يفعل؛ فقال قوم : يجزيه وعليه دم إن لم يعد إلى الحل قبل الطواف والسعى، وبه قال أبو حنيفة والشافعى وأحمد وابن القاسم، وقال آخرون : لا يجزيه ، وهو قول الثورى وأشهب وهو الراجح عند المالكية؛ وعلى هذا يلزم العود إلى الحل ولا يعتد بما فعله قبل ذلك . واختلفوا متى تقطع التلبية ؟ فقال مالك : تقطع من زوال الشمس من يوم عرفة، وبه قال الخلفاء الأربعة، غير أنه اختلفت الرواية عن عثمان ، وقال بعض العلماء : تقطع برمى جمرة العقبة فإذا شرع فى رمى أول حصاة قطع التلبية، وقيل : بل يقطعها فى آخر حصاة ، وقيل غير ذلك، وأما وقت قطع التلبية بالعمرة؛ فقال مالك : يقطعها إذا انتهى إلى الحرم ، وقال الشافعى : إذا افتتح الطواف . وجمهور العلماء متفقون على إدخال الحج على العمرة ومختلفون فى إدخال العمرة على الحج، وقال أبو ثور : لا يدخل حج على عمرة ولا عمرة على حج كما لا تدخل صلاة على صلاة .

٢ — الطواف بالبيت

الكلام فى الطواف : (ا) فى صفته ؛ (ب) وشروطه ؛ (ج) وأنواعه مع حكم كل نوع :

(ا) صفة الطواف — الجمهور مجمعون على أن صفة كل طواف واجبا كان أو غير واجب أن يبتدئ من الحجر الأسود ، فإن استطاع أن يقبّله قبله ، وإلا لمسه بيده وقبّلها إن أمكنه ، ثم يجعل البيت على يساره ويمضى أمامه ، فيطوف سبعة أشواط يرمل فى ثلاثة الأشواط الأول ثم يمشى فى الأربعة، وذلك فى طواف القدوم على مكة ، وأنه لا رمل على النساء ، وأنه يستلم الركن اليمانى . واختلفوا فى حكم الرَّمَل فى الثلاثة الأشواط الأول للقادم أهو سنة أم فضيلة؟ فقال

ابن عباس : هو سنة، وبه قال الشافعى وأبو حنيفة وإسحاق وأحمد وأبو ثور، واختلف قول مالك فى ذلك وأصحابه، والراجح عندهم أنه سنة، وعلى أصول الظاهرية يجب الرمل؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: « خُذُوا عَنِّى مَنَاسِكَكُمْ ». والجمهور على أنه لا رمل على من أحرم بالحج من مكة من غير أهلها وهم المتمتعون؛ لأنهم قد رملوا فى حين دخولهم حين طافوا للعمرة، وقال الشافعية والحنفية: يرملون؛ لأن الرمل عندهم سنة فى كل طواف يعقبه سعى. واختلفوا فى أهل مكة هل عليهم رمل إذا حجوا؟ فقال الشافعى ومالك يندب لهم الرمل فى طواف الإفاضة، وكان ابن عمر لا يرى عليهم رملا إذا طافوا بالبيت على ما روى عنه مالك. واتفقوا على أن من سنة الطواف استلام الركنين الأسود واليمانى للرجال، واختلفوا أتستلم الأركان كلها أم لا؟ فذهب الجمهور إلى أنه إنما يستلم الركنان فقط؛ واحتج من رأى استلام جميعها بما روى عن جابر، قال: كنا نرى إذا طفنا أن نستلم الأركان كلها؛ وكان بعض السلف لا يحب أن يستلم الركنين إلا فى الوتر من الأشواط. وأجمعوا على أن تقبيل الحجر الأسود خاصة من سنن الطواف إن قدر، وإن لم يقدر على الدخول إليه استلمه بيده وقبلها. وأجمعوا على أن مما يطلب من الطائف ركعتين بعد انقضاء الطواف، وهما سنة عند الشافعى وأحمد، وأوجبهما المالكية بعد طواف القدوم والإفاضة، وأوجبهما الحنفية بعد الطواف مطلقا. وجمهورهم على أنه يأتى بهما الطائف عند انقضاء كل أسبوع إن طاف أكثر من أسبوع واحد، وأجاز بعض السلف أن لا يفرق بين الأسابيع بالركعتين بل يركع آخر الطواف كله عن كل أسبوع ركعتين.

(ب) شروط الطواف — (الشرط الأول) أن يكون فى موضعه. وجمهور العلماء على أن الحِجْر من البيت، وأن من طاف بالبيت لزمه إدخال الحجر فيه، فيطوف خارجه، وأن ذلك شرط فى صحة طواف الإفاضة، وقال الحنفية: هو واجب. (الشرط الثانى) أن يكون فى وقته. واختلفوا فى وقت جوازه على ثلاثة أقوال: أحدها إجازة الطواف بعد الصبح والعصر ومنعه وقت الطلوع والغروب، وهو مذهب عمر بن الخطاب وأبى سعيد الخدرى وروى عن مالك

وجماعة ، والقول الثانى كراهيته بعد الصبح والعصر ومنعه عند الطلوع والغروب وبه قال سعيد بن جبير ومجاهد وجماعة ، والقول الثالث إباحة ذلك فى الأوقات كلها ، وبه قال الشافعى وغيره . (الشرط الثالث) الطهارة . قال مالك والشافعى : لا يجزى طواف بغير طهارة من الحدثين لا عمدا ولا سهوا ، وقال أبو حنيفة : يجزى ولكن تجب عليه الإعادة فى الحدث الأكبر وتستحب فى الحدث الأصغر ، فإن لم يعد فعليه دم أو صدقة على تفصيل يأتى ، وقال أبو ثور : إذا طاف على غير وضوء أجزأه طوافه إن كان لا يعلم ولا يجزئه إن كان يعلم ، والشافعى وأحمد يشترطان طهارة ثوب الطائف وبدنه ومكانه من النجاسة كاشتراط ذلك للمصلّى .

(ج) أنواع الطواف وأحكامها — أجمع العلماء على أن الطواف ثلاثة أنواع : طواف القدوم على مكة ، وطواف الإفاضة بعد رمى جمرة العقبة يوم النحر ، وطواف الوداع . وأجمعوا على أن الركن منها الذى يفوت الحج بفواته هو طواف الإفاضة ، وأنه المعنىّ بقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ ، وأنه لا يجزئ عنه دم . وجمهورهم على أنه لا يجزئ طواف القدوم على مكة عن طواف الإفاضة إذا نسى طواف الإفاضة ؛ لكونه قبل يوم النحر ، وقالت طائفة من أصحاب مالك : إن طواف القدوم يجزئ عن طواف الإفاضة . وجمهور العلماء على أن طواف الوداع يجزئ عن طواف الإفاضة إن لم يكن طاف طواف الإفاضة ؛ لأنه طواف بالبيت معمول فى وقت طواف الركن الذى هو طواف الإفاضة . وأجمعوا أن طواف الوداع مطلوب من الحاج ، وكذا طواف القدوم إلا لخائف فوات الحج فإنه يجزئ عنه طواف الإفاضة ، واستحب جماعة من العلماء لمن عرض له هذا أن يرمل فى الأشواط الثلاثة من طواف الإفاضة على سنة طواف القدوم من الرمل . وأجمعوا على أن المكى ليس عليه إلا طواف الإفاضة كما أجمعوا أنه ليس على المعتمر إلا طواف العمرة ، ويدخل فيه طواف القدوم ، وأجمعوا أن من تمتع بالعمرة إلى الحج عليه طوافان : طواف عمرة أولا وطواف للحج يوم النحر ، وأما المفرد للحج فعليه طواف للحج

يوم النحر ، ثم طواف للعمرة بعـد أن ينشئها ، واختلفوا فى القارن ؛ فقال مالك والشافعى وأحمـد وأبو ثور : يجزئه طواف واحد وسـعى واحد ، وقال الثورى والأوزاعى وأبو حنيفة وابن أبى ليلى : عليه طوافان وسعيان .

٣ — السعى بين الصفا والمروة

القول فيه ، فى : (ا) حكمه . (ب) وصفته . (ج) وشروطه . (د) وترتيبه .

(ا) حكم السعى — قال مالك والشافعى : إنه ركن فإن لم يسـع كان عليه حج قابل ، وبه قال أحمد وإسحاق ، وقال الحنفية : هو واجب فإذا رجع إلى بلاده ولم يسع كان عليه دم ، وقال بعضهم : هو تطوع ولا شىء على تاركه .

(ب) صـفته — جمهور العلمـاء : على أن من سنة السعى بين الصفا والمروة أن ينحدر الراقى على الصفا بعد الفراغ من الدعاء ، فيمشى على عادته حتى يبلغ بطن المَسِيلِ ، فيرمل فيه حتى يقطعه إلى ما يلى المروة ، فإذا قطع ذلك وجاوزه مشى على سجيته حتى يأتى المروة ، فيرقى عليها حتى يبدو له البيت ، ثم يقول عليها نحوا مما قال من الدعاء والتكبير على الصفا ، وإن وقف أسفل المروة أجزأه — وهذه تحسب مرة — ثم ينزل عن المروة فيمشى على طبيعته حتى ينتهى إلى بطن المسيل ، فإذا انتهى إليه رمل حتى يقطعه إلى الجانب الذى يلى الصفا — وهذه تحسب مرة ثانية — والمطلوب سبع مرات يبدأ الأولى منها بالصفا فيختم الأخيرة بالمروة ، فإن بدأ بالمروة قبل الصفا ألغى ذلك الشوط ، وقال عطاء : إن جهل فبـدأ بالمروة أجزأ عنـه . وأجمعوا على أنه ليس فى وقت السعى دعاء مخصوص ، وثبت من حديث جابر « أن رسول الله صـلى الله عليه وسـلم كان إذا وقف على الصفا يكبر ثلاثا ويقول : لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له ، له المُلْكُ وله الحمـدُ ، وهُو على كلِّ شيءٍ قديرٌ . يصنع ذلك ثلاث مرات ، ويدعو ، ويصنع على المروة مثل ذلك » . أخرجه مالك فى الموطأ .

(ج) شـروطه — جمهورهم على أن من شرطه وقوعه بعد طواف ، ولا خلاف بينهم أن الطهارة ليست من شرطه ، إلا الحسن فإنه شبهه بالطواف .

(د) ترتيبه — جمهور العلماء على أن السعى إنما يكون بعد الطواف كما تقدم؛ فمن سعى قبل أن يطوف بالبيت يرجع فيطوف ثم يسعى وإن خرج من مكة، فإن جهل ذلك حتى أصاب النساء فى العمرة أو فى الحج كان عليه حج من قابل والهدى أو عمرة أخرى، وقال الثورى : إن فعل ذلك فلا شىء عليه، وقال أبو حنيفة : إذا خرج من مكة فليس عليه أن يعود وعليه دم .

٤ — الخروج إلى منًى قبل عرفة

يلى السعى الخروج يوم التروية[١] (الثامن من ذى الحجة) إلى "منى" والمبيت بها ليلة عرفة . واتفقوا على أن الإمام يصلى بالناس بمنى يوم التروية الظهر والعصر والمغرب والعشاء قاصراً الرباعية . إلا أنهم أجمعوا على أن هذا الفعل ليس شرطا فى صحة الحج لمن ضاق عليه الوقت . ثم إذا كان يوم عرفة صلى الإمام بالناس صلاة الصبح، ومشى معهم بعد شروق الشمس من منى متوجهين إلى عرفة .

٥ — الوقوف بعرفة

القول فى هذا الفعل ينحصر : (ا) فى معرفة حكمه؛ (ب) وفى صفته؛ (ج) وفى شروطه :

(ا) حكم الوقوف — أجمعوا على أن الوقوف ركن من أركان الحج، وأن من فاته فعليه حج قابل والهَدْى فى قول أكثرهم؛ لقوله صلى الله عليه وسلم : «الحج عرفة» .

(ب) صفته — أن يصل الإمام إلى «نمرة» يوم عرفة قبل الزوال، فإذا زالت الشمس ذهبوا إلى المسجد «بِعُرَنَة»، ثم خطب الناس، ثم جمع بين الظهر والعصر فى أوّل وقت الظهر، ثم يسرعون إلى الموقف فيمكثون به حتى تغيب الشمس؛ ولا خلاف بينهم أن إمارة الحج هى للسلطان الأعظم أو لمن يقيمه السلطان الأعظم لذلك، وأنه يصلّى وراءه بارًّا كان السلطان أو فاجرا أو مبتدعا،

(١) سمى بهذا الاسم لأنهم كانوا ينقلون الماء فيه إلى عرفة .

وأن السنة في ذلك أن يأتي المسجد (بعُرنة) يوم عرفة مع الناس بعد زوال الشمس، ثم يخطب الناس ويجمع بين الظهر والعصر كما قلنا . واختلفوا في وقت أذان المؤذن بعرنة للظهر والعصر، فقال مالك : يخطب الإمام حتى يمضى صدر من خطبته أو بعضها ثم يؤذن المؤذن وهو يخطب ، وقال الشافعي : يؤذن إذا أخذ الإمام في الخطبة الثانية، وقال أبو حنيفة : إذا صعد الإمام المنبر أمر المؤذن بالأذان كالحال في الجمعة، فإذا فرغ المؤذن قام الإمام يخطب، ثم ينزل ويقيم المؤذن الصلاة، وبه قال أبو ثور تشبيها بالجمعة ، وفي رواية عن مالك أنه قال : الأذان يوم عرفة بعد جلوس الإمام للخطبة ، وفي حديث جابر « أن النبيّ صلى الله عليه وسلم نزل بنَمِرةَ فلمّا زاغت الشمسُ أمرَ بالقصواء فرُحِلَتْ له ، وأتى بطنَ الوادي — أي وادي عُرَنَةَ — فخطَبَ الناسَ ، ثم أذّنَ بلالٌ ثم أقامَ فصلّى الظهرَ، ثم أقامَ فصلّى العصرَ، ولم يُصَلِّ بينهما شيئًا ، ثم ركِبَ حتى أتى الموقِفَ » . واختلفوا أيجمع بين هاتين الصلاتين بأذانين وإقامتين أم بأذان واحد وإقامتين ؟ قال مالك بالأول، وقال أبو حنيفة والشافعي والثوري وأبو ثور وأحمد بالثاني . واتفقوا على أن الخطبة في هذا اليوم ليست بشرط للصلاة كالجمعة، وأن القراءة في الصلاة سِرّيّة . واتفقوا على أن الصلاة مقصورة إذا كان المصلى مسافرا . واختلفوا إذا كان مكيا هل يقصر الصلاة بمنى يوم التروية وبعرنة يوم عرفة وبمزدلفة يوم النحر إن كان من أحد هذه المواضع ؟ فقال مالك والأوزاعي وجماعة : سنة هذه المواضع القصر سواء أكان من أهلها أم لم يكن، وقال الثوري وأبو حنيفة والشافعي وأبو ثور وداود : لا يجوز أن يقصر من كان من أهل تلك المواضع . واختلف في الجمع بين الظهر والعصر تقديما هنا وبين المغرب والعشاء تأخيرا بمزدلفة ؛ فقال الجمهور : إنه خاص بالمسافر سفرا طويلا ، وقال مالك : هو عام للحجاج كلهم ، وهو وجه للشافعية وقول أبي يوسف ومحمد ، وذهب بعض الحنابلة والشافعية إلى تخصيصه بالمسافر ولو سفرا قصيرا، فالمكيّ عند هؤلاء يجمع بعرنة ومزدلفة . واختلف العلماء في وجوب الجمعة بعرفة ومنى ؛ فقال مالك : لا جمعة بعرفة ولا بمنى أيام الحج :

لا على أهل مكة ولا على غيرهم ، إلا أن يكون الإمام من أهل عرفة ، وقال الشافعي مثل ذلك ، إلا أنه يُشترط في وجوب الجمعة أن يكون هنالك من أهل البلد أربعون رجلا على مذهب الشافعي ، أو عدد تَتقرّى به القرية على مذهب مالك ، وقال أبو حنيفة : إذا كان أمير الحج هو أمير الحجاز أو الخليفة جازت الجمعة بمنى لا بعرفة ، ولا تجب بمنى إلا إذا وجد عدد ممن تجب عليه وهو ثلاثة غير الإمام .

(ج) شروطه — يشترط عند الجمهور في الوقوف بعرفة أن يكون بعد الزوال إلى الفجر ولو لحظة ويطلب منه بالاتفاق أن يمده إلى غروب الشمس . وجمهورهم على أن من وقف بعرفة قبل الزوال وأفاض منها قبل الزوال أنه لا يعتد بوقوفه ، وأنه إن لم يرجع فيقف بعد الزوال أو يقف من ليلته تلك قبل طلوع الفجر فقد فاته الحج ، وقال أحمد : يكفي الوقوف قبل الزوال بشرط أن يكون بعد الفجر . واختلفوا فيمن وقف بعرفة بعد الزوال ثم دفع منها قبل غروب الشمس ؛ فقال مالك : عليه حج من قابل إلا أن يرجع ويدفع قبل الفجر ، وإن دفع منها قبل الإمام وبعد الغيبوبة أجزأه ، وبالجملة فشرط صحة الوقوف عنده أن يقف ليلا ؛ وقال جمهور العلماء : من وقف بعرفة بعد الزوال فحجه تام وإن دفع قبل الغروب ، إلا أنهم اختلفوا في وجوب الدم عليه ، فقال أحمد وأبو حنيفة بوجوبه ؛ لأن من وقف نهارا وجب عليه أن يقف إلى لحظة بعد الغروب عندهما ، وقال الشافعي لا دم عليه . وأجمعوا على أن من وقف لحظة من الليل ولم يقف نهارا فحجه تام ، ولكن قال مالك : إن عليه دما ؛ لأن الوقوف نهارا واجب عنده . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم من طرق أنه قال : « عرفةُ كلُّها موقف وٱرتفعوا عنْ بطنِ عرنة ، والمزدلفة كلها موقف إلا بطنَ مُحَسِّر ، ومِنًى كلُّهَا مَنْحَرٌ ، وفِجَاجُ مَكَّةَ مَنْحرٌ ومَبِيتٌ » . واختلف العلماء فيمن وقف يوم عرفة بعرنة ؛ فقيل : حجه تام وعليه دم ، وقال الجماهير : لا حج له .

٦ — أفعال المزدلفة

قال تعالى : ﴿ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ ﴾ .

أجمع العلماء على أن من بات بالمزدلفة ليلة النحر، وجمع فيها بين المغرب والعشاء تأخيرا مع الإمام، ووقف بها بعد صلاة الصبح إلى الإسفار بعد الوقوف بعرفة ، فإن حجه تام ؛ وذلك أنها الصفة التى فعلها النبى صلى الله عليه وسلم . واختلفوا هل الوقوف بها بعد صلاة الصبح والمبيت بها من أركان الحج ؟ فقال الأوزاعى وجماعة من التابعين : إن المبيت بها من أركانه ومن فاته كان عليه حج قابل ، وعن الليث أن الوقوف بها بعد الفجر ركن ، وفقهاء الأمصار يرون أنهما ليسا من فروض الحج، وجمهورهم على أن من فاته المبيت بها فعليه دم، وقال أبو حنيفة : من فاته الوقوف بها بعد الفجر فعليه دم . وأجمعوا على أنه لو وقف بالمزدلفة ولم يذكر الله فإن حجه تام ، وقد وقف النبى صلى الله عليه وسلم على جبل قزح بعد الفجر، وبيّن أن مزدلفة كلها موقف، فالمشعر الحرام هو هذا الجبل أو هو المزدلفة كلها .

٧ — رمى الجمار

الفعل الذى يلى المبيت بمزدلفة والوقوف بها رمى الجمار ؛ وذلك أن المسلمين اتفقوا على أن النبى صلى الله عليه وسلم وقف بالمشعر الحرام بعد ما صلى الفجر، ثم دفع منه قبل طلوع الشمس إلى منى ، وأنه فى هذا اليوم وهو يوم النحر رمى جمرة العقبة بعد طلوع الشمس . وأجمع المسلمون أن من رماها فى هذا اليوم فى ذلك الوقت أعنى بعد طلوع الشمس إلى زوالها فقد رماها فى وقتها . وأجمعوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرم يوم النحر من الجمرات غيرها . واختلفوا فيمن رمى جمرة العقبة قبل طلوع الفجر، فقال مالك لم يبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رخص لأحد أن يرمى قبل طلوع الفجر ولا يجوز ذلك؛ فإن رماها قبل

الفجر أعادها، وبه قال أبو حنيفة وسفيان، وقال الشافعي وأحمد : لا بأس به من بعد نصف ليلة النحر وإن كان المستحب بعد طلوع الشمس. وقد أجمع العلماء على أن الوقت المستحب لرمى جمرة العقبة هو من لدن طلوع الشمس إلى وقت الزوال، وأنه إن رماها قبل غروب الشمس من يوم النحر أجزأه ولا شيء عليه، إلا مالكا فإنه قال : يستحب له أن يريق دما . واختلفوا فيمن لم يرمها حتى غابت الشمس فرماها من الليل أو من الغد، فقال مالك : عليه دم، وقال أبو حنيفة : إن رماها من الليل فلا شيء عليه، وإن أخرها إلى الغد — أى طلوع فجره — فعليه دم، وقال أبو يوسف ومحمد والشافعي : لا شيء عليه إن أخرها إلى الليل أو إلى الغد . وقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رمى فى حجته الجمرة يوم النحر ثم نحر بُدْنَه ثم حلق رأسه ثم طاف طواف الإفاضة . وأجمع العلماء على أن هذا سنّة الحج، واختلفوا فيمن قدم من هذه ما أخره النبي صلى الله عليه وسلم أو بالعكس، فقال مالك : من حلق قبل أن يرمى جمرة العقبة فعليه الفدية، وقال الشافعي وأحمد وداود وأبو ثور لا شيء عليه؛ وعند الجمهور أن من حلق قبل أن يذبح فلا شيء عليه، وكذلك من ذبح قبل أن يرمى، وقال أبو حنيفة : إن حلق قبل أن ينحر أو يرمى فعليه دم، وإن كان قارنا فعليه دمان، وقال زفر : عليه ثلاثة دماء، دم للقران ودمان للحلق قبل النحر أو قبل الرمى .

ومن قدم الإفاضة على الرمى لزمه إعادة الطواف فى رواية عن مالك، ولزمه دم فى رواية أخرى وهى المختارة، وقال الشافعي ومن تابعه لا إعادة عليه ولا دم، وقال الأوزاعى : إذا طاف للإضافة قبل أن يرمى جمرة العقبة ثم واقع أهله أراق دما . واتفقوا على أن جملة ما يرميه الحاج سبعون حصاة، يرمى منها فى يوم النحر إلى جمرة العقبة سبعا، وأنّ رمى هذه الجمرة من حيث تيسر من العقبة من أسفلها أو من أعلاها أو من وسطها : كُلٌّ ذلك واسع، والموضع المختار منها بطن الوادى . وأجمعوا على أنه يعيد الرمى إذا لم تقع الحصاة فى العقبة، وأنه يرمى فى كل يوم من

أيام التشريق ثلاث جمار بإحدى وعشرين حصاة : كل جمرة منها بسبع ، وأنه يجوز أن يرمى منها يومين وينفر قبل الثالث؛ لقوله تعالى : ﴿ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ ﴾ . وقدر الحصاة عندهم مثل حصى الخَذْف ، والسنّة عندهم فى رمى الجمرات كل يوم من أيام التشريق أن يرمى الجمرة الأولى فيقف عندها ويدعو ، وكذلك الثانية ويطيل المقام، ثم يرمى الثالثة ولا يقف . وأجمعوا على أن من سنّة رمى الجمار الثلاث فى أيام التشريق أن يكون ذلك بعد الزوال، واختلفوا إذا رماها قبل الزوال فى أيام التشريق؛ فقال جمهور العلماء : يعيد رميها بعد الزوال، وروى عن أبى جعفر محمد بن على أنه قال : رمى الجمار من طلوع الشمس إلى غروبها . وأجمعوا على أن من لم يرم الجمار أيام التشريق حتى تغيب الشمس عن آخرها فإنه لا يرميها بعد . واختلفوا فى الواجب من الكفارة؛ فقال مالك : إن ترك رمى الجمار كلها أو بعضها أو واحدة منها فعليه دم؛ وقال أبو حنيفة : إن ترك الجمار كلها كان عليه دم ، وإن ترك جمرة واحدة كان عليه لكل حصاة إطعام مسكين نصف صاع حنطة ، إلى أن يبلغ دما ، إلا جمرة العقبة فمن تركها فعليه دم؛ وقال الشافعى : عليه فى حصاة من الجمرة الأخيرة فى اليوم الأخير مدّ من طعام وفى حصاتين مدان وفى ثلاث دم ، كما أن من ترك الرمى كله فعليه دم ، ورخصت طائفة من التابعين فى الحصاة الواحدة ولم يروا فيها شيئا ، وقال أهل الظاهر : لا شىء فى ذلك . والجمهور على أن رمى جمرة العقبة ليس من أركان الحج ، وقال عبد الملك من أصحاب مالك : هو من أركانه .

فهذه جملة أفعال الحج من حين الإحرام إلى أن يحل . والتحلل تحللان : تحلل أكبر ويتحقق بطواف الإفاضة، وتحلل أصغر ويتحقق برمى جمرة العقبة، وسنذكر الفرق بين التحللين .

المقصد الثالث فى الأحكام

لا شك أن لكل عمل من أعمال الحج حكما محدودا : إما عند الإخلال به و إما عند الطوارئ المانعة منه . ولنبدأ بالإحصار فنقول :

١ — الإحصار

قال تعالى : ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ ﴾ .

جمهور العلماء : على أن المحصر عن الحج ضربان ، محصر بمرض ومحصر بعدو :

(فالمحصر بالعدو) اتفق الجمهور على أنه يحل من عمرته أو حجه حين أحصر ، وقال الثورى والحسن بن صالح لا يتحلل إلا يوم النحر . والذين قالوا يتحلل حين أحصر اختلفوا فى إيجاب الهدى عليه ، وفى موضع نحره إذا قيل بوجوبه ، وفى إعادة ما أحصر عنه من حج أو عمرة ؛ فذهب مالك إلى أنه لا يجب عليه هدى وأنه إن كان معه هدى نحره حيث حل ، وذهب أبو حنيفة والشافعى إلى إيجاب الهدى عليه ، وبه قال أشهب وأحمد ، واشترط أبو حنيفة ذبحه فى الحرم ، وقال الشافعى : حيثما حل ، وأما الإعادة فإن مالكا والشافعى يريان عدم الإعادة عليه إلا فى حجة الإسلام وعمرته ، فتعاد الحجة وجوبا عندهما والعمرة وجوبا عند الشافعى واستنانا عند مالك ، وقال قوم : عليه الإعادة مطلقا ، وذهب أبو حنيفة إلى أنه إن كان أحرم بالحج مفردا فعليه حجة وعمرة ، وإن كان قارنًا فعليه حجة وعمرتان ، وإن كان معتمرا قضى عمرته ، هذا إذا تحلل بالهدى ، وأما إذا تحلل بالعمرة فإن كان مفردًا فليس عليه سوى قضاء الحج ، وإن كان قارنا فعليه حجة وعمرة ، وليس عليه عند أبى حنيفة ومحمد حلق أو تقصير ، واختار أبو يوسف أن عليه ذلك .

(وأما المحصر بمرض) فإن مذهب الشافعى وأهل الحجاز أنه لا يحله إلا الطواف بالبيت والسعى بين الصفا والمروة ، وأنه بالجملة يتحلل بعمرة ؛ لأنه إذا فاته الحج

بطول مرضه انقلاب عمرة : وهو مذهب ابن عمر وعائشة وابن عباس؛ وخالف فى ذلك أهل العراق، فقالوا : يحل مكانه وحكمه حكم المحصر بعدو، فيرسل هديه إلى الحرم، و يقدر وقت نحره ليحل بعده . والجمهور على أن المحصر بمرض عليه الهدى ، وقال أبو ثور وداود : لا هدى عليه، وقال الشافعية : لو اشترط التحلل بالمرض أول إحرامه ، فإن قال : نويت الإحرام بالنسك الفلانى فإن مرضت فأنا حلال، فإنه يحل بدون شىء؛ و إن قال : فإن مرضت تحللت، فإنه يتحلل بالحلق؛ و إن قال : فإن مرضت تحللت بالهدى، فإنه يتحلل بالهدى والحلق معا؛ وقال الحنابلة : لو قال الشخص فى أول إحرامه : نويت الإحرام بالنسك الفلانى فإن حبسنى حابس فمحلى حيث حبستنى، فله أن يتحلل مجانا ولا قضاء عليه سواء أأحصر بعدو أم مرض . وكل من فاته الحج بخطأ من العدد فى الأيام أو بخفاء الهلال عليه أو بغير ذلك من الأعذار فحكمه حكم المحصر بمرض عند مالك، وقال أبو حنيفة : من فاته الحج بعذر غير المرض يحل بعمرة ولا هدى عليه وعليه إعادة الحج . وأصل مذهب مالك أن المحصر بمرض إن بقى على إحرامه إلى العام المقبل حتى يحج حجة القضاء فلا هدى عليه، فإن تحلل بعمرة فعليه هدى المحصر؛ لأنه حلق رأسه قبل أن ينحر فى حجة القضاء .

٢ — جزاء الصيد والنبات

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦ ﴾ . أى عاقبته .

قتل الصيد حرام على المحرم . واختلف العلماء فى الواجب فى قتله أهو قيمته أم مثله ؟ فذهب الجمهور إلى أن الواجب المثل ، وذهب أبو حنيفة إلى أنه القيمة، فإن بلغت ثمن هدى فله أن يشترى بها هديا يذبح فى الحرم، أو طعاما

يتصدّق به على الفقراء فى أى مكان كانوا : لكل فقير نصف صاع ؛ أو يصوم بدل كل نصف صاع يوما ؛ وإن لم تبلغ ثمن هدى فله الحالتان الأخيرتان فقط : وهما الإطعام والصيام . واختلفوا أيضا فى استئناف الحكم على قاتل الصيد فيما حكم فيه السلف من الصحابة : مثل حكمهم أن من قتل نعامة فعليه بدنة تشبيها بها ، ومن قتل غزالا فعليه شاة ، ومن قتل بقرة وحشية فعليه إنسية ؛ فقال مالك : يستأنف فى كل ما وقع من ذلك الحكم به ، وقال الشافعى : إن اجتزأ بحكم الصحابة فيما حكموا فيه جاز . واختلفوا فى الأجزية فى الآية أهى على الترتيب أم التخيير ؟ فقال الجمهور بالتخيير ، وقال زفر بالترتيب . واختلفوا أيقوّم الصيد أم المثل إن اختار الإطعام فيشترى بقيمته طعاما ؟ فقال مالك : يقوّم الصيد ، وقال الشافعى : يقوم المثل . ولم يختلفوا فى تقدير الصيام بالطعام فى الجملة وإن اختلفوا فى التفصيل ؛ فقال مالك : يصوم لكل مدّ يوما وهو الذى يطعم عنده كل مسكين ، وبه قال الشافعى وأهل الحجاز ، وقال أهل الكوفة يصوم لكل مدّين يوما وهو القدر الذى يطعم كل مسكين عندهم . واختلفوا فى قتل الصيد خطأ أفيه جزاء أم لا ؟ فالجمهور على أن فيه الجزاء ، وقال أهل الظاهر : لا جزاء فيه .

واختلفوا فى الجماعة يشتركون فى قتل الصيد ؛ فقال مالك : على كل واحد منهم جزاء كامل ، وقال الشافعى : عليهم جزاء واحد ؛ وفرق أبو حنيفة بين المحرمين يقتلون الصيد وبين المُحِلِّينَ يقتلونه فى الحرم ، فقال : على كل واحد من المحرمين جزاء وعن المحلين كلهم جزاء واحد ؛ واختلفوا هل يكون أحد الحَكَمين قاتل الصيد ؟ فذهب مالك إلى أنه لا يجوز ، وقال الشافعى يجوز . واختلف أصحاب أبى حنيفة على القولين جميعا . واختلفوا فى موضع الإطعام ؛ فقال مالك : فى الموضع الذى أصاب فيه الصيد إن كان ثم طعام ، وإلا ففى أقرب المواضع إليه ، وقال أبو حنيفة : حيثما أطعم جاز ، وقال الشافعى : لا يطعم إلا مساكين مكة .

وأجمع العلماء على أن المحرم إذا قتل الصيد فعليه الجزاء ، واختلفوا فى الحلال يقتل الصيد فى الحرم ؛ فقال جمهور فقهاء الأمصار : عليه الجزاء ، وقال داود

وأصحابه : لا جزاء عليه . ولم يختلف المسلمون فى تحريم قتل الصيد فى الحرم، وإنما اختلفوا فى الكفارة . وجمهور فقهاء الأمصار على أن المحرم إذا قتل الصيد وأكله، فليس عليه إلا كفارة واحدة؛ وروى عن عطاء وطائفة : أن فيه كفارتين . وهذه مشهورات المسائل المتعلقة بالصيد .

واتفق العلماء على أن صيد البر محرّم على المحرم إلا الفواسق الخمس المنصوص عليها فى حديث ابن عمر وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "خَمْسٌ مِنَ الدَّوَابِّ ليس على المُحْرِمِ جُناحٌ فى قتلِهِنّ: الغرابُ، والحِدَأَةُ، والعقربُ، والفأرةُ، والكلبُ العقورُ" . والجمهور على إباحة قتل هذه الدواب . وكذلك اتفقوا على أن صيد البحر حلال كله للمحرم وإن اختلفوا فى تفسيره، كما اختلفوا فيما يلحق بالفواسق؛ فقال مالك : الكلب العقور إشارة إلى كل سبُع عادٍ، فأما ما ليس بعاد من السباع فليس للمحرم قتله، ولم ير قتل صغارها التى لا تعدو ولا ما كان منها أيضا لا يعدو، وقال أبو حنيفة : لا يقتل من الكلاب العقورة إلا الكلب الإنسى والذئب، وقال الشافعى : كل محرَّم الأكل فهو فى معنى الخمس من حيث كونه لا تجب فى قتله فدية . ولا خلاف بينهم فى قتل الحية والأفعى والأسْوَد . وقال مالك : لا أرى قتل الوزغ، والأخبار بقتلها متواترة لكن مطلقا لا فى الحرم . واختلفوا فى الزنبور، فألحقه بعضهم بالعقرب، وبعضهم رأى أنه أضعف نكاية منها .

واتفق العلماء على أن السمك من صيد البحر . واختلفوا فى غير السمك مما فى البحر؛ فقال بعضهم ما يحتاج منه إلى ذكاة فليس من صيد البحر، وكذا ما كان محرّما لا يعتبر من صيد البحر . ولا خلاف بين من يحل جميع ما فى البحر فى أن صيده حلال . واختلفوا فيما يعيش فى البر والبحر معا، وقياس قول أكثر العلماء أنه يلحق بالذى عيشه فيه غالب وهو حيث يولد، وذهب الشافعية إلى أنه يعدّ بريًّا . والجمهور على أن طير الماء محكوم له بحكم حيوان البر، وروى عن عطاء أنه قال فى طير الماء : حيث يكون أغلب عيشه يحكم له بحكمه .

واختلف العلماء فى نبات الحرم أفيه جزاء أم لا ؟ فقال مالك : لا جزاء فيه وإنما فيه الإثم فقط، وقال الشافعى : فيه الجزاء : فى الدوحة (الشجرة العظيمة) بقرة، وفيما دونها شاة ، وفى الصغيرة جدا القيمة ، وقال أبو حنيفة : كل ما كان من غرس الإنسان فلا شيء فيه، وكل ما كان نابتا بطبعه ففيه قيمته . والأصل فى هذا قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث : "وَلَا يُعْضَدُ شَجَرُهَا ولا يُنَفَّرُ صَيْدُهَا"

٣ — حكم إتيان المحظورات

أجمع العلماء على أن فدية الأذى المذكورة فى قوله تعالى : ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ واجبة على كل من حلق للأذى، وألحق به مالك والشافعى من حلق بلا عذر، وقال أبو حنيفة : إن حلق من غير عذر فإنما عليه دم فقط . والمتعمد والناسى فى وجوب الفدية سواء عند الجمهور، وقال أهل الظاهر : لا فدية على الناسى . وأجمع العلماء على أن فدية الأذى ثلاث خصال على التخيير : الصيام والإطعام والنسك . والجمهور على أن الإطعام لستة مساكين، والصيام ثلاثة أيام، والنُّسك أقله شاة ، وروى عن الحسن وعكرمة ونافع أنهم قالوا : الإطعام لعشرة مساكين، والصيام عشرة أيام . وقد اختلف الفقهاء فيما يطعمه كل مسكين فقال مالك والشافعى وأبو حنيفة وأصحابهم : الإطعام فى ذلك مدّان بمدّ النبى صلى الله عليه وسلم لكل مسكين ، وروى عن الثورى أنه قال : من البر نصف صاع ومن التمر والزبيب والشعير صاع، وروى أيضا عن أبى حنيفة مثله ، وهو أصله فى الكفارات .

والجمهور على أن ما مُنِعَه المحرم — من لبس الثياب المخيطة وحلق الرأس وقص الأظافر — إذا ارتكبه فعليه الفدية : دم — على اختلاف بينهم فى ذلك — أو إطعام ؛ ولم يفرقوا بين الضرر وغيره فى هذه الأشياء؛ وكذلك استعمال الطيب . وقال قوم : ليس فى قص الأظافر شيء ، وقال آخرون : فيه دم . وحكى ابن المنذر الإجماع على منع المحرم من قص الأظافر . واختلفوا فيمن أخذ بعض أظافره؛ فقال الشافعى

وأبو ثور: إن أخذ ظفرا واحدا أطعم مسكينا واحدا، وإن اثنين فاثنين، وإن ثلاثة فعليه دم إن كانت فى مقام واحد، وقال أبو حنيفة : إن قص ظفرا أو اثنين مثلا فعليه لكل ظفر نصف صاع من برّ أو قيمته ، وإن قص يدا أو رجلا أو أظافره كلها فى مجلس واحد فعليه دم ، وإن قص كل عضو فى مجلس فعليه أربعة دماء؛ وقال أبو محمد ابن حزم : يقص المحرم أظفاره وشاربه . وهو شذوذ . وقال : لا فدية إلا فى حلق الرأس للعذر الذى ورد فيه النص . وقد أجمع العلماء على منع حلق شعر الرأس، واختلفوا فى حلق الشعر من سائر الجسد، فالجمهور على أن فيه الفدية، وقال داود : لا فدية عليه . واختلفوا فيمن نتف من رأسه أو بدنه الشعرة والشعرتين ؛ فقال مالك : ليس على من نتف الشعر اليسير شىء، إلا أن يكون أماط به أذى فعليه الفدية ؛ وقال الحسن : فى الشعرة مد وفى الشعرتين مدان وفى الثلاث دم ، وبه قال الشافعى وأبو ثور؛ وقال عبد الملك صاحب مالك : فيما قل من الشعر إطعام وفيما كثر فدية .

واختلفوا فى موضع الفدية؛ فقال مالك : يفعل من ذلك ما شاء، إن شاء بمكة وبغيرها وإن شاء ببلده، لا فرق فى ذلك بين الإطعام وذبح النسك والصيام؛ وهو قول مجاهد . والذى عند مالك ها هنا هو نسك وليس بِهَدْىٍ؛ فإن الهدى لا يكون عنده إلا بمكة أو بمنى، وقال الشافعى: الدم والإطعام لا يجزيان إلا بمكة، والصوم حيث شاء ، وقال ابن عباس رضى الله عنهما : ما كان من دم فبمكة، وما كان من إطعام وصيام فحيث شاء، وعن أبى حنيفة مثله .

استطراد : اختلف العلماء فى حلق الرأس أهو من مناسك الحج أم هو مما يتحلل به منه ؟ ولا خلاف بين الجمهور فى أنه من أعمال الحج ، وأنه أفضل من التقصير، إلا للنساء فسنتهن التقصير . ومعظم الفقهاء على أنه نسك فى الحج والعمرة وأنه واجب على كل من فاته الحج وأحصر بعدو أو مرض ، وقال أبو حنيفة : لا حلق ولا تقصير على المحصر بعدو . وبالجملة : من اعتبر الحلق أو التقصير نسكا أوجب فى تركه الدم ومن لم يجعله نسكا لم يوجب فيه شيئا .

٤ — كفارة التمتع والقران

نص الله سبحانه على كفارة التمتع فى قوله : ﴿ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ، فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ؛ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ، ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾، وألحق الجمهور القِران بالتمتع فى الكفارة المذكورة . وجمهور العلماء على أن ما استيسر من الهدى شاة، وذهب ابن عمر رضى الله عنهما إلى أن الهدى لا يطلق إلا على الإبل والبقر، وأن معنى قوله تعالى : ﴿ فما استيسر من الهَدْى ﴾ بقرة أدْونُ من بقرة وبدنة أدون من بدنة . وأجمعوا على أن هذه الكفارة على الترتيب ، فمن لم يجد الهدى فعليه الصيام . واختلفوا فى حد الزمان الذى بانقضائه ينتقل فرضه من الهدى إلى الصيام؛ فقال مالك: إذا شرع فى الصوم عند فقد الهدى فقد انتقل واجبه إليه، وقال أبو حنيفة : إن وجد الهدى فى أثناء صوم الثلاثة الأيام لزمه، وإن وجده فى صوم السبعة لم يلزمه . وأجمعوا على أنه إذا صام الثلاثة الأيام فى التسعة الأوائل من ذى الحجة فقد أتى بها فى محلها؛ لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ ﴾ . واختلفوا فيمن صامها فى أيام عمل العمرة قبل أن يهل بالحج، أو صامها فى أيام منى؛ فأجاز مالك وأحمد صيامها فى أيام منى؛ ومنعه أبو حنيفة فقال : إذا فاتته الأيام الأول وجب الهدى فى ذمته؛ ومنعه الشافعى وقال : تقضى بعد ذلك؛ ومنع مالك والشافعى صيامها قبل الإحرام بالحج، وأجازه أبو حنيفة وأحمد لكن بعد الإحرام بالعمرة. واتفقوا على أنه إذا صام السبعة الأيام فى أهله أجزأه، واختلفوا إذا صامها فى الطريق؛ فقال مالك وأبو حنيفة وأحمد : يجزئ الصوم وقال الشافعى : لا يجزئ .

٥ — مفسدات الحج ومفوّتاته

لاخلاف أن من فاته الحج بعد أن شرع فيه : إما بفوات ركن من أركانه، وإما من قِبَل غلطه فى الزمان، أو من قِبل جهله أو نسيانه، أو إتيانه فى الحج فعلا مفسدا

له ؛ فإن عليه القضاء إذا كان حجا واجبا ، وهل عليه هدى مع القضاء ؟ الجمهور على وجوب الهدى عليه . واختلفوا أيضا أيقضى حج التطوّع أم لا .

ومما يخص الحج الفاسد عند الجمهور دون سائر العبادات أنه يمضى فيه المفسد له ولا يقطعه ، وعليه دم ، وشذ قوم فقالوا : هو كسائر العبادات .

واتفقوا على أن الحج لا يصح بترك ركن من أركانه مع اختلافهم فيما هو ركن ، واتفقوا على أن الجماع يفسد النسك : إن كان قبل الوقوف بعرفة بالنسبة للحج ، أو قبل الطواف والسعى بالنسبة للعمرة . واختلفوا فى فساد الحج بالوطء بعد الوقوف بعرفة وقبل رمى جمرة العقبة ، و بعد رمى الجمرة وقبل طواف الإفاضة الذى هو الركن ؛ فقال مالك والشافعى : يفسده الوطء قبل رمى جمرة العقبة ، وعليه الهدى والقضاء ، وقال أبو حنيفة والثورى : عليه الهدى بدنة ، وحجه تام ، وروى مثله عن مالك . والجمهور على أن من وطئ بعد رمى جمرة العقبة وقبل الطواف ـ أى بين التحلّلين ـ لا يفسد حجه ويلزمه الهدى ، وقالت طائفة : فسد حجه ، وهو قول ابن عمر . واختلفوا فى صفة الجماع الذى يفسد الحج وفى مقدماته ؛ فالجمهور على أن التقاء الختانين يفسد الحج ولو لم يحصل إنزال . واختلفوا فى إنزال الماء فيما دون الفرج ؛ فقال أبوحنيفة والشافعى : لا يفسد الحج ، وقال مالك : يفسد ، واستحب الشافعى فيمن جامع دون الفرج أن يهدى . واختلفوا فيمن وطئ مرارا ؛ فقال مالك : ليس عليه إلا هدى واحد ، وقال أبو حنيفة : إن كرر الوطء فى مجلس واحد كان عليه هدى واحد ، وإن كرره فى مجالس كان عليه لكل وطء هدى ، وقال محمد بن الحسن يجزيه هدى واحد وإن كرر الوطء ما لم يهد لوطئه الأوّل ، وقال الشافعى : يلزمه بالوطء الأوّل بدنة و بكل وطء بعده شاة . وسوّى مالك وأبو حنيفة بين الوطء عمدا ونسيانا ، وقال الشافعى فى الجديد : لا كفارة على الناسى . واختلفوا هل على المرأة هدى ؟ فقال مالك : إن طاوعته فعلى كل منهما هدى و إن أكرهها فعليه هديان ، وقال الشافعى ليس عليه إلا هدى واحد كقوله فى المجامع فى رمضان . وجمهور العلماء على أنهما إذا حجا من قابل تفرقا ـ أى الرجل والمرأة ـ وجوبا أو استحبابا

وفى أى الأماكن يفترقان على القول بالوجوب؟ قيل: من حيث أفسدا الحج، وقيل: من حيث أحرما إلا أن يكونا أحرما قبل الميقات ، وعلى القول بالندب يفترقان من حين الإحرام إلى التحلل الثانى . ولا خلاف بين العلماء : أن التحلل الأصغر برمى الجمرة يوم النحر يحل به الحاج من كل شيء حرم عليه، إلا النساء والطيب والصيد؛ فإنهم اختلفوا فى ذلك ، وأما التحلل الأكبر بطواف الإفاضة فإنه يحل للحاج كل ما حرم عليه بالاتفاق . والجمهور على أن المعتمر يحل من عمرته إذا طاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة وإن لم يكن حلق ولا قصّر لثبوت الآثار بذلك، إلا خلافا شاذا روى عن ابن عباس أنه يحل بالطواف ، وقال الشافعى وأبو حنيفة : لا يحل إلا بعد الحلق ، فان جامع قبله فسدت عمرته .

واختلف العلماء فى الهدى الواجب بالجماع؛ فقال مالك وأبو حنيفة : شاة، وقال الشافعى : بدنة، وإن لم يجدها قوّمت البدنة بدراهم والدراهم بطعام ، فإن لم يجد صام عن كل مدّ يوما ، قال : والإطعام والهدى لا يجزئ إلا بمكة أو بمنى والصوم حيث شاء، وقال مالك: كل نقص دخل فى الإحرام من وطء أوحلق شعر أو إحصار فإن صاحبه إن لم يجد الهدى صام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجع ولا يدخل الإطعام فيه، والإطعام عنده لا يكون إلا فى كفارة الصيد وكفارة إزالة الأذى؛ هذا ما يخص الفساد بالجماع .

وأما فوات وقت الحج فيكون بفوات الوقوف بعرفة يوم عرفة . وقد أجمعوا أن مَنْ هذه صفته لا يخرج من إحرامه إلا بالطواف بالبيت والسعى بين الصفا والمروة؛ أعنى أنه يحل ولا بدّ بعمرة، وعليه حج من قابل . واختلفوا أعليه هدى أم لا؟ فقال مالك والشافعى وأحمد والثورى وأبو ثور : عليه الهدى ، وقال أبو حنيفة : لا هدى عليه . واختلف العلماء فى القارن إذا فاته الحج، أيقضى حجا مفردا أم مقرونا بعمرة؟ فذهب بعضهم إلى أنه يقضى قارنا ، وقال بعضهم : ليس عليه إلا حج مفرد ، وأوجب الشافعى قضاء الحج والعمرة ولو بإفراد أو تمتع . و جمهور العلماء :

على أن من فاته الحج لا يقيم على إحرامه ذلك إلى عام آخر؛ وهـذا هو الاختيار عند مالك، إلا أنه أجاز البقاء على الإحرام ليسقط عنه الهدى ولا يحتاج إلى التحلل بعمرة.

٦ — الكفارات المسكوت عنها

اتفق الجمهور على أن أعمال النسك أقسام ثلاثة : فرض يفوت بتركه النسك ولا يجبر بدم ، ويسمى ركنا ، وواجب يجب بتركه الدم ، ويسميه بعض العلماء سنة، ونفل لا يجب بتركه دم ولا شيء آخر : سواء أكان مؤكدا أم لا ، وبعض العلماء يسمى المؤكد منه سنة وغيره مندوبا أو مستحبا، وبعضهم لا يفرق في التسمية بينهما . وكذلك اتفقوا على أن ما كان من التروك واجبا ففي فعله فدية الأذى ، وما كان منها نفلا فليس في فعله شيء ، ولكن اختلفوا فيما يعتبر فرضا أو واجبا أو نفلا . وأهل الظاهر لا يوجبون فدية إلا فيما ورد فيه النص إذ لا قياس عندهم .

وها نحن أولاء نذكر لك نموذجا من أفعال الحج وتروكه ونبين أحكامها :

(١) مجاوزة الميقات من غير إحرام — قال قوم : لا دم عليه بها ؛ وقال قوم : عليه الدم وإن رجع ، وهو قول مالك وابن المبارك ، وروى عن الثورى ؛ وقال قوم : إن رجع إليه فليس عليه دم وإن لم يرجع فعليه دم،وهو قول الشافعي وأبى يوسف ومحمد ومشهور قول الثورى ؛ وقال أبو حنيفة : إن رجع فأحرم ملبيا فلا دم عليه وإلا كان عليه الدم ، وقال قوم : هو فرض ولا يجبره الدم . (٢) غسل الرأس بالخطمى — قال مالك وأبو حنيفة : من فعله يفتدى، وقال الثورى وغيره : لا شيء عليه . (٣) دخول الحمام — رأى فيه مالك الفدية ، والأكثرون على الإباحة . (٤) لبس ما نهى عن لبسه — فيه الفدية على قول الجمهور . واختلفوا فيمن لبس السراويل لعدم الإزار؛ فقال مالك وأبو حنيفة : يفتدى،وقال الشافعي والثورى وأحمد وأبو ثور وداود : لا شيء عليه إذا لم يجد إزارا . واختلفوا فيمن لبس الخفين مقطوعين مع وجود النعلين؛ فقال مالك : عليه الفدية،وقال أبو حنيفة والشافعي : لا فدية عليه . واختلفوا في لبس المرأة القفازين أفيه فدية أم لا ؟ والجمهور على وجوبها . وقد تقدم كثير من هذه الأحكام في مبحث "الإحرام" .

(٥) ترك التلبية — فيه دم عند مالك . (٦) نكس الطواف أو نسيان شوط من أشواطه — الجمهور على أنه يعيد الطواف من فعل ذلك وإن بلغ أهله ، وقال قوم منهم أبو حنيفة : إما أن يعيد أو يكون عليه الدم . (٧) ترك الرَّمَل فى الثلاثة الأشواط — لا يجب فيه دم عند الجمهور . (٨) تقبيل الحجر أو يديه بعد وضعهما عليه — ليس فى ترك ذلك دم . (٩) نسيان ركعتى الطواف حتى يرجع الشخص إلى أهله — فيه دم عند مالك ، وقال الثورى : يركعهما ما دام فى الحرم ، وقال الشافعى وأبو حنيفة : يركعهما حيث شاء ، ندبا عند الشافعى ووجوبا عند أبى حنيفة . (١٠) طواف الوداع — لا يجبر بدم عند من يرى أنه فرض ، ومن لا يرونه فرضا اختلفوا فيمن تركه ولم يتمكن من العودة إليه ، فقال مالك : ليس عليه شىء إلا أن يكون قريبا فيعود ، وقال أبو حنيفة والشافعى وأحمد والثورى : فيه دم إن لم يعد ؛ وإنما يرجع عندهم ما لم يبلغ المواقيت . (١١) دخول الحِجْرِ فى الطواف — فيه دم إلا إذا أعاده قبل أن يخرج من مكة ، وهذا عند أبى حنيفة ؛ وقال غيره : دخول الحجر يبطل الطواف فتجب إعادته . (١٢) المشى فى الطواف مع القدرة عليه — قال مالك : هو من شرط الطواف كالقيام فى الصلاة ، فإن عجز كان كصلاة القاعد ، ويعيد عنده إلا إذا رجع إلى بلده فإن عليه دما فى الطواف المفروض ؛ وقال الشافعى وغيره : الركوب فى الطواف جائز . (١٣) ترك السعى — لا يجبر بدم فلا بدّ من فعله عند مالك والشافعى وأحمد لأنه ركن عندهم ، وقال أبو حنيفة يجبر بدم إذا لم يفعله لأنه واجب . (١٤) تقديم السعى على الطواف — إذا لم يعده حتى يخرج من مكة ففيه دم عند أبى حنيفة ؛ لأنه سعى باطل فكأنّ صاحبه لم يسع ، وقال الثلاثة إنه باطل أيضا لكن لا يجبره الدم لأنه ركن كما تقدّم . وإذا وقع السعى بعد طواف الإفاضة أو طواف القدوم ، وكان الشخص يعتقد أنّ ما أتى به من الطواف ركن أو واجب ، فالسعى صحيح غير واجب الإعادة بالاتفاق ؛ وإذا وقع بعد طواف مندوب أو بعد طواف لم يعتقد فاعله أنه ركن أو واجب ، فعند مالك يصح السعى مع وجوب إعادته بعد الطواف الذى يعتقد الفاعل ركنيته أو وجوبه ،

فإن لم يعده حتى بعد عن مكة بعث هديا، وقال الشافعي لا يصح السعي إلا بعد طواف العمرة . و بعد طواف القدوم قبل الوقوف بعرفة، أو بعد طواف الإفاضة

(١٥) الدفع من عرفة قبل الغروب — فيه دم عند أبي حنيفة والثوري : عاد أو لم يعد، وقال أحمد : فيه دم إلا إذا عاد ودفع بعد الغروب ؛ وقال الشافعي لا شيء عليه وإن لم يعد ، وقال مالك لا بدّ من العود لأن الركن هو الوقوف ليلا .

(١٦) الوقوف بعُرَنَة يوم عرفة — يفوّت الحج عند الجمهور ، وروى ابن نزار عن مالك أنه يجزئ وعليه دم . والصحيح عند المالكية أنه لا يجزئ . والله أعلم .

٧ — القول في الهدى

النظر في الهدى يشتمل على : (ا) معرفة حكمه ؛ (ب) ومعرفة جنسه ؛ (ج) ومعرفة سِنّه ؛ (د) وكيفية سوقه ؛ (ه) ومن أين يساق ؛ (و) وإلى أين يساق وهو موضع نحره ؛ (ز) وحكم لحمه بعد النحر .

(ا) حكم الهدى — الهدى المسوق في الحج منه واجب ومنه تطوع ، والواجب منه ماهو واجب بالنذر، ومنه ما هو واجب في بعض أنواع هذه العبادة، ومنه ماهو واجب لأنه كفارة؛ (فالواجب في بعض أنواع هذه العبادة) هو هدى المتمتع باتفاق وهدى القارن باختلاف، (وأما الذى هو كفارة) فهدى القضاء على مذهب من يشترط فيه الهدى، وهدى الصيد ، وهدى الحلق وما أشبه ذلك من الهدى المقيس على المنصوص كما قدّمنا .

(ب) جنس الهدى — اتفق العلماء على أن الهدى لا يكون إلا من الأزواج الثمانية التي نص الله تعالى عليها ، وأن الأفضل في الهدايا الإبل ثم البقر ثم الضأن ثم المعز .

(ج) سن الهدى — أجمعوا على أن الثَّنِيّ[١] فما فوقه يجزى منها ، وأنه لا يجزى

(١) الثنى من الإبل ما دخل في السنة السادسة ، ومن البقر ما دخل في الرابعة عند مالك وفي الثالثة عند غيره ، ومن المعز والضأن ما بلغ سنتين عند الشافعية ، وما بلغ سنة وقطع من الثانية نحو شهر عند المالكية ، وما بلغ سنة فقط عند الحنفية والحنابلة .

الجذع[1] من غير الضأن فى الضحايا والهدايا؛ واختلفوا فى الجذع من الضأن، فأكثر أهل العلم يقولون بجوازه فى الهدايا والضحايا، وكان ابن عمر يقول : لا يجزئ فى الهدايا إلا الثنيّ من كل جنس. ولا خلاف فى أن الأغلى ثمنا من الهدايا أفضل. وليس فى عدد الهدى حدّ معلوم؛ وكان هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة من الإبل.

(د) كيفية سوق الهدى — يساق الهدى مقلدا مشعرا لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قلد هديه بذى الحليفة وأشعره وأحرم. والإشعار أن تجرح من أعلاها لتعرف، والتقليد أن يعلق بعنقها نعل أو غيره. ولا إشعار عند أبى حنيفة مطلقا، ولا تقليد عنده إلا فى هدى التطوّع والمتعة والقران. وتقلد الإبل والبقر بنعل وبنعلين أو غيرهما إذا لم يجد، وهذا باتفاق، وأما الغنم فلا تقلد عند مالك وأبى حنيفة، وتقلد عند الشافعى وأحمد وداود وأبى ثور، لكن لا تقلد بالنعال بل بعُرَى القِرَب أو بخيوط مفتولة أو نحو ذلك من القلائد الخفيفة. ويستحب توجيه الهدى إلى القبلة حين تقليده، ومالك يستحب فى الإشعار أن يكون من الجانب الأيسر، والشافعى وأحمد وأبو ثور يستحبونه من الجانب الأيمن.

(هـ) من أين يساق الهدى ؟ — يرى مالك أن السنة فى الهدى أن يساق من الحل؛ ولذلك ذهب إلى أن من اشترى الهدى بمكة ولم يدخله من الحل عليه أن يقفه بعرفة وإن لم يفعل فعليه البدل، وأما من أدخله من الحل فيستحب له أن يقفه بعرفة، وهو قول ابن عمر.

وبه قال الليث، وقال الشافعى والثورى وأبو ثور : وَقْف الهدى بعرفة سنة سواء أدخل من الحل أم لا، ولا حرج على من لم يقفه، وقال أبو حنيفة : توقيف الهدى بعرفة ليس بواجب لكن يستحسن توقيف هدى التمتع والقران بها.

---

(١) الجذع من الإبل ما دخل فى السنة الخامسة، ومن البقر ما دخل فى السنة الثالثة عند مالك والثانية عند غيره، ومن المعز والضأن عند الشافعية ما بلغ سنة وكذا ما أسقط مقدّم أسنانه بعد ستة أشهر، وعند الحنفية ما بلغ سنة وكذا ما بلغ ستة أشهر وكان سمينا لا يمتاز عن ابن سنة، وعند المالكية ما بلغ سنة، وعند الحنابلة ما بلغ ستة أشهر.

(و) منحر الهدى — محِلُّه (أى الموضع الذى يحل نحره فيه) البيت . قال تعالى : ﴿ثُمَّ مَحِلُّها إلى البيتِ العتيق﴾، وقال تعالى : ﴿هَدْيًا بَالِغَ الكعبةِ﴾، وأجمع العلماء على أن الكعبة لا يجوز لأحد أن يذبح فيها، وكذلك المسجد الحرام، وقال مالك : المراد بالكعبة فى الآية مكة، ولهذا لم يجز لمن نحر هديه فى الحرم إلا أن ينحره بمكة، إلا هدى الفدية فيجوز نحره بغير مكة، وقال الشافعى وأبو حنيفة: إن نحره فى غير مكة من الحرم أجزأه، وقال الطبرى : يجوز نحر الهدى حيث شاء، إلا هدى القِران وجزاء الصيد، فإنهما لا ينحران إلا بالحرم؛ و بالجملة فالنحر فى الحج بمنى وفى العمرة بمكة إجماع من العلماء، إلا ما اختلفوا فيه من نحر المحصر، وعند مالك إن نحر للحج بمكة وللعمرة بمنى أجزأه . هذا مكانه .

(وأما زمانه) فقال مالك : إن ذبح هدى التمتع أو التطوّع قبل يوم النحر لم يجزه، وقال الشافعى : يجوز فى التمتع قبل يوم النحر ولا يجوز فى التطوع إلا بعد شروق الشمس يوم النحر ومضى زمن يسع صلاة العيد وخطبتيها ، وجوّزه أبو حنيفة فى التطوّع . والجمهور على أن الصيام المعدول به عن الهدى يجوز حيث شاء؛ لأنه لا منفعة فى ذلك لأهل الحرم ولا لأهل مكة . و إنما اختلفوا فى الصدقة المعدولة عن الهدى؛ فجمهور العلماء : على أنها لمساكين مكة والحرم لأنها بدل من جزاء الصيد الذى هو لأهل الحرم ، وقال مالك : الإطعام كالصيام يجوز بغير مكة . وتجب فى النحر التسمية، وقال الشافعية : تسن . واستحب بعضهم التكبير معها ، ويستحب للمهدى أن يلى نحر هديه بيده، وإن استخلف جاز، ويسن أن تنحر الإبل قياما .

(ز) الانتفاع بالهدى — فى ذلك مسألتان : (إحداهما) ركوب الهدى — ذهب أهل الظاهر إلى جوازه لضرورة ومن غير ضرورة، بل أوجب بعضهم ركوبه ، وكره فقهاء الأمصار ركوبه من غير ضرورة؛ (ثانيتهما) أكل لحمه — أجمع العلماء على أن هدى التطوّع إذا بلغ مَحِله أكل منه المتطوّع كسائر الناس، لكن قال المالكية : إن جعله للمساكين لم يأكل منه . واختلفوا فيما لو عطب قبل ذلك؛ فقال الشافعى : يفعل به ما يشاء من أكل و بيع وغيرهما، وقال مالك وأبو حنيفة :

يخلى بينـه وبين النـاس ولا يأكل منـه ، وقال داود وأبو ثور : لا يأكل منـه رفقته أيضا . واختلفوا فى الواجب على من أكل منـه ؛ فقال مالك : عليه بدل الهـدى ، وقال أبو حنيفة والثورى وابن حبيب من أصحاب مالك : عليـه قيمة ما أكل أو أمر بأكله طعاما يتصدّق به . وما عطب فى الحرم قبل أن يصل إلى مكة : أبلغ محِله أم لا ؟ فيه الخلاف ، وهو مبنى على الخلاف المتقدّم فى المحِل أهو مكة أم الحرم ؟ . واختلفوا فى الأكل من الهـدى الواجب ؛ فقال الشافعى : لا يؤكل منه ، ولحمه كله للساكين وكذلك جله إن كان مجللا والنعل الذى قلد به ، وقال المـالكية : يؤكل من الهدى الواجب جزاء الصـيد ونذر المساكين الذى لم يعين وفدية الأذى التى نوى بها الهدى ، بشرط أن تعطب الثلاثة قبل بلوغ المحل ، ولكن عليه بدلها ، وكذا النذر المعين لغير المساكين بشرط أن يبلغ المحل ، وكذا هدى القران والتمتع والنـذر الذى لم يعين ولم يجعل للساكين وما وجب لترك واجب من واجبات الحج : سواء فى هـذه الأربعة أبلغت المحـل أم لا ، وقال أبو حنيفـة وأحمد : لا يؤكل من الهدى الواجب إلا هدى المتعة والقِران .

إلى هنا تم ما قصدناه من أحكام الحج والعمرة فى المذاهب ، وقـد نقلناه أوّلا من "بداية المجتهد" لابن رشد ، ثم نقحناه من كتب الفقـه المعتمدة التى ذكرناها فى صدر الرسالة . والله الموفق .

جداول بمعظم أحكام الحج فى المذاهب الأربعة

نوع العمل	حكم الحنفية	حكم الشافعية	حكم المالكية	حكم الحنابلة
الحج	فرض فورا (١)	فرض تراخيا	فرض فورا	فرض فورا
العمرة	سنة مؤكدة	»	سنة مؤكدة	»
الإحرام بالحج أى نيته...	شرط (٢)	ركن (٢)	ركن	ركن
» بالعمرة أى نيتها	»	»	»	»
قرن الإحرام بالتلبية	سنة (٣)	سنة	سنة وقيل واجب	سنة
الإحرام من الميقات...	واجب (٤)	واجب	واجب	واجب
الغسل للإحرام	سنة	سنة	سنة	سنة
التطيب للإحرام	»	»	مكروه (٥)	»
التلبية	»	»	واجبة	»
طواف القدوم	»	»	واجب	»
نية الطواف	شرط	» (٦)	لا تجب (٦)	شرط
بدء الطواف من الحجر الأسود	واجب	شرط	واجب	»
جعل البيت عن يسار الطائف	»	»	شرط	»
المشى فى الطواف لقادر عليه...	»	سنة	واجب	»
الطهارة من الحدثين فى الطواف	»	شرط	شرط	»
طهارة البدن والثوب والمكان فى الطواف	سنة	»	»	»
كون الطواف من وراء الحجر	واجب	»	»	»
» » فى المسجد	شرط	»	»	»
» » سبعة أشواط	واجب (٧)	»	»	»
الموالاة بين أشواط الطواف	سنة	سنة	»	»
ستر العورة فى الطواف...	واجب	شرط	»	»
ركعتا الطواف	» (٨)	سنة	واجب (٩)	سنة
السعى بين الصفا والمروة فى الحج والعمرة	واجب	ركن	ركن	ركن
وقوع السعى بعد الطواف	شرط	شرط	شرط	شرط
نية السعى	لا تجب	سنة	لا تجب	»

(١) عند محمد على التراخى. (٢) الشرط والركن لا بدّ منهما، ولا تصح العبادة بدونهما، فلا خلاف من هذه الجهة. (٣) السنة لا يلزم بتركها شىء ولكن يفوت الثواب. (٤) الواجب ما يلزم بتركه دم. (٥) إذا بقى ريحه بعد الاحرام. (٦) فى القدوم والإفاضة والعمرة، وأما الوداع والتطوع فالنية شرط فيهما لاستقلالهما. (٧) إلا أن أربعة الأشواط الأول ركن فى طواف الزيارة. (٨) ولكن لا يجبران بدم لاتساع وقتهما ومكانهما. (٩) ويجب فيهما عند المالكية أن يكونا بوضوء الطواف كما يجب أن لا يصليا بالحجر والكعبة وأن لا يفصل بينهما وبين الطواف فاصل طويل.

(تابع) جداول بمعظم أحكام الحج فى المذاهب الأربعة

نـــوع العمـــل	حكم الحنفية	حكم الشافعية	حكم المالكية	حكم الحنابلة
بدء السعى بالصفا وختمه بالمروة	واجب	شـــرط	شـــرط	شـــرط
المشى فيه عند القدرة	»	ســـنة	واجب	»
كون السعى سبعة أشواط	»	شـــرط	شـــرط	»
الموالاة بين أشواط السعى	ســـنة	ســـنة	»	»
« « السعى والطواف	»	»	ســـنة	ســـنة
المبيت بمنى ليلة عرفة	»	»	»	»
الحضور بعرفة فى وقته (١)	ركن	ركن	ركن	ركن
الدفع من عرفة مع الإمام أو نائبه	ســـنة (٢)	ســـنة	ســـنة	ســـنة (٢)
الجمع بمزدلفة بين صلاتى المغرب والعشاء ...	لابدّ منه	»	»	»
المبيت بمزدلفة (٣)	سنة وقيل واجب	واجب	واجب	واجب
الوقوف فى المشعر الحرام فى وقته (٤) ...	واجب	ســـنة	مندوب	ســـنة
رمى جمرة العقبة يوم النحر (٥)	»	واجب	واجب	واجب
الحلق أو التقصير فى الحج والعمرة ...	»	ركن	»	»
الترتيب بين الرمى والذبح والحلق	»	ســـنة	مندوب (٦)	ســـنة
كون الحلق فى الحرم وأيام النحر	»	» (٧)	» (٨)	» (٧)
طواف الإفاضة (٩) للحج وطواف العمرة	ركن أكثره	ركن	ركن	ركن
تأخير طواف الإفاضة عن الرمى	ســـنة	ســـنة	واجب	ســـنة
رمى الجمرات الثلاث فى أيام التشريق ...	واجب	واجب	»	واجب
عدم تأخير الرمى إلى الليل	ســـنة	ســـنة	»	ســـنة
المبيت بمنى ليالى أيام التشريق	»	واجب	»	واجب
النزول بالمحصب	»	ســـنة	مستحب (١٠)	ســـنة
طواف الوداع	واجب	واجب	»	واجب

(١) لحظة من زوال التاسع إلى فجر العاشر عند أبى حنيفة والشافعى ، ومن فجر التاسع إلى فجر العاشر عند أحمد ، ومن غروب التاسع إلى فجر العاشر عند مالك . (٢) أما الواجب عند الحنفية والحنابلة فهو مدّ الوقوف إلى الغروب فى حق من وقف نهارا . (٣) ولكن يكفى فى تحصيل الواجب المكث لحظة من النصف الثانى من الليل عند الشافعى وأحمد ولحظة من الليل عند الحنفية على القول بالوجوب . ومقدار حط الرحال عند مالك . (٤) وقته المستحب من طلوع الفجر يوم عيد الأضحى إلى الإسفار جدا ، والواجب عند الحنفية لحظة من الفجر إلى الشروق . (٥) وقتها المستحب من طلوع الشمس إلى الزوال . (٦) لكن تأخير الحلق عن الرمى واجب . (٧) لكن يشترط أن يكون بعد الوقوف بعرفة و بعد انتصاف ليلة النحر . (٨) لكن يجب أن يكون بمكة ولو بعد أيام النحر أو فى أيام النحر والتشريق ولو بغير مكة . (٩) أول وقته النصف الآخر من ليلة النحر عند الشافعية والحنابلة و بفجر يوم النحر عند المالكية والحنفية ولا حدّ لآخره عند الجميع لكن من الواجب ألا يتأخر عن أيام النحر عند أبى حنيفة ، وألا يتأخر عن ذى الحجة عند مالك . (١٠) بشرطين : ألا يتعجل ، وألا يصادف نزوله يوم الجمعة ؛ و إلا نزل بمكة .

خطبة سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الخالدة

لما كانت خطبة الرسول صلوات الله وسلامه عليه يوم عرفة فى حجة الوداع (فى تاسع ذى الحجة سنة ١٠ هـ ، الموافق تاسع مارس سنة ٦٣٢ م ، وتاسع أدار الثانى سنة ٤٣٩٢ عبرية) تنتظم قوانين دولية ؛ لاشتمالها على الأسس الأولى التى قامت عليها الدول الحديثة ؛ لأنها حققت المساواة بين الناس ، وردّت الحق إلى نصابه ، ورفعت لواء الحق خفّاقا ، ورفعت من شأن المرأة بعد أن كانت ذليلة مهينة فى جميع الدول ، وحدّدت واجبات الزوجية على الوجه الذى يكفل سعادة الأسرة .

ولما كانت هذه الخطبة الخالدة التى قالها سيد الأولين والآخرين منذ ثلاثة عشر قرنا ونصفا : هى المبادئ التى قام المصلحون فى الأعصر الحديثة ينادون بها ، ويبذلون كل مرتخص وغال فى سبيل تحقيقها وتعميمها فى العالم أجمع ،

أردت أن أوردها فى رسالتى هذه لتكون عبرة لنا وعظة . وهاك نصها .

قال عليه الصلاة والسلام بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

« أيُّها النّاسُ . اسْمَعُوا قولِى فإنّى لا أدْرِى لَعَلِّى لا أَلقاكُم بَعْدَ عامِى هٰذَا بِهٰذا الموقِفِ أبدا .

أيها الناسُ . إنّ دِماءَكُم وأموالَكم عليكُم حَرامٌ إلى أنْ تَلْقَوْا رَبَّكُم ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُم هٰذا ، وكَحُرْمَةِ شَهرِكم هٰذا ، وإنّكُم سَتَلْقَوْنَ رَبَّكُم فيَسألُكم عن أعمالِكم . وقَدْ بَلَّغْتُ . فَمَنْ كانَتْ عِندَه أمانَةٌ فَلْيُؤَدِّها إلى مَنِ ائْتَمَنَهُ عليها . وإنّ كلَّ رِبًا موضوعٌ[1] . ولٰكِن لَكُم رُءوسُ أموالِكُم ، لا تَظلِمُونَ ولا تُظْلَمُونَ . قَضَى اللهُ أنّه لا رِبا ، وأنّ

(١) مهـدر .

رِبا عبّاس بنِ عبدِ المطّلب موضوعٌ كلّه ، وأنّ كلّ دمٍ كان فى الجاهليّة موضوعٌ ، وأنّ أوّلَ دِمائِكم أَضَعُ دَمُ ابْنِ ربيعةَ بْنِ الحارثِ بنِ عبدِ المطّلب ...

أمّا بعْدُ — أيُّها النّاسُ — فإنّ الشيطانَ قـد يئِسَ مِن أن يُعْبَدَ بأرْضِكُم هٰذِهِ أبدا ، ولٰكِنّهُ إن يُطَعْ فيما سِـوَى ذٰلِكَ فقدْ رَضِىَ بِهِ مِمّـا تَحْقِرُونَ مِن أعمالِكم ، فاْحذَروه علَى دينِكم .

أيها النـاس . إنّ النّسِىءَ زِيادةٌ فى الكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الّذِينَ كَفَروا يُحِلُّونَهُ عَامًا ويُحَرِّمونَه عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدّةَ ما حَرّمَ اللهُ فيُحِلُّوا ما حَرّمَ اللهُ ويُحَرِّمُوا ما أحَلَّ اللهُ ؛ وإنّ الزمانَ قَد استدارَ كَهيْئَتِهِ يومَ خَلَقَ اللهُ السَّمٰواتِ والأرضَ ؛ وإنّ عِدّةَ الشُّهورِ عندَ اللهِ اْثْنَا عَشَرَ شَهرًا ، مِنهـا أربعةٌ حُرُمٌ : ثلاثةٌ مُتَوالِيةٌ ورَجَبُ مُفْرَدُ الّذِى بينَ جُمادَى وشَعْبان .

أمّا بعدُ — أيُّهـا الناسُ — فإنّ لَكُمْ علَى نسائِكُم حقًّا ولَهُنّ عليكم حقًّا : لَكُمْ عليهِنّ ألّا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أحدًا تَكْرَهُونَه ، وعليهِنّ ألّا يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبيِّنةٍ ؛ فإنْ فَعَلْنَ فإنَّ اللهَ قد أذِنَ لَكُمْ أن تَهْجُروهُنّ فى المَضاجِعِ وتَضرِبوهُنّ ضَربًا غيرَ مُبرِّحٍ ؛ فإنِ اْنْتَهَيْنَ فَلَهُنّ رِزْقُهُنّ وكِسْوَتُهُنّ بالمعروفِ . واْستَوْصُوا بالنساءِ خيرًا فإنّهُنّ عِندَكُم عَوَانٍ لا يمْلِكْنَ لِأنْفُسِهِنّ شيئا ؛ وإنّكُم إنّما أَخَذْتُموهُنّ بأمانَةِ اللهِ واستَحلَلْتُم فُروجَهُنّ بكلماتِ اللهِ .

فاْعْقِلُوا أيُّها النّاسُ قَوْلِى ؛ فإنِّى قد بَلّغْتُ . وقد تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إنِ اْعتَصَمتُمْ بِهِ فَلَن تَضِلُّوا أبدًا : أمرًا بيّنًا : كتابَ اللهِ وسُنّةَ رَسُولِه .

أيها الناسُ . اسْمَعُوا قَوْلِى واْعْقِلُوه . تَعْلَمُنّ أنّ كُلَّ مُسْلِمٍ أخٌ لِلْمُسْلِمِ ، وأنّ المُسلِمِينَ إخْوَةٌ فلا يَحِلُّ لِامْرِئٍ مِن أخِيـهِ إلا ما أعطاهُ عن طِيبِ نَفْسٍ مِنْـه ، فَلا تَظْلِمُنّ أنفسَكم . اللهُمّ هَلْ بَلّغْتُ » .

الحكمة فى أفعال الحج

قبل أن نتكلم على حكمة أفعال الحج رأينا أن نمهد لذلك بالكلام على المعانى التى انطوت عليها هذه الفريضة المقدّسة، ذات السر العجيب .

ولمّا كنت معجبا بما كتبه الأستاذ الفاضل "حافظ بك عامر" فى رسالته عن الحج وفلسفته وأسراره، التى ألفها أيام أن كان (قنصلا) للدولة المصرية فى بلاد الدولة العربية السعودية ، آثرت أن أنقل هـذا التمهيد من رسالته فإنه من خير ما كتب فى هذا الموضوع .

تمهيـــــد

جعل الحج خامس أركان الإسـلام لحكمة عجيبـة، فيظن فى الظاهر أنه أقلها شأنا ولهذا جاء فى آخرها، مع أن الحقيقة أنه وضع فى هذا الموضع لأنه تمـام عليها، كما يتم الإنسان برجولته الناضجة . فإن جاءت الرجولة والحكمة والعقل بعد الطفولة، فليس ذلك لأن الطفولة أعظم؛ بل لأنها بدء لابد منه .

ونحن فى هذه الرسالة نريد إثبات هـذه الحكمة وبيانها بأسبابها و براهينها ، لتظهر الحقيقة المنطوية فى هـذا التشريع العظيم، الذى يعمل فى كل عصر عمـلا إنسانيا خاصا، ويجب أن يعمل فى عصرنا عمله الأسمى، المنطبق على روح القوانين الإنسانية العليا، التى انتهى إليها العقل بأحدث نظرياته فى التربية والسياسة والتشريع .

ومن مميزات الإسلام أنه دين إنسانى عام؛ وأنه آخر الأديان وأتمها، ويجب أن يكون أتمها إذ كان آخرها، كما يجب أن تكون فيه الأصول التى تماشى الإنسانية فى خطواتها نحو الكمال، مادام هو خاتمة الأديان . فكل فريضة من فرائضه يجب أن تفسر بروحها العملى، ويجب أن يدخل تفسـيرها أحدث الاراء الصحيحة التى انتهى إليها عقل الإنسان . وعلى هذا الأساس وضعنا رسالتنا هـذه فى بيان حكمة الحج وأسراره .

الكعبة

وضع سيدنا إبراهيم عليه الصلاة السلام أساس هذا البيت الكريم ، ورفع قواعده هو وابنه سيدنا إسماعيل عليهما الصلاة والسلام وقالا : (ربَّنا تَقبَّل مِنّا إنّكَ أنتَ السميعُ العليمُ) فكان هذا رمزا إلى أنه البيت الإلهى العالمى الذى خطته يد النبوة فى بقعة من الأرض ؛ ليكون قبلة للإنسانية فى مختلف عصورها ، كأنه تعيين لمركز هـذه الدائرة المترامية بمحيطها الإنسانى فى الشرق والغرب والشمال والجنوب . وما لم يعين للدائرة مركز معروف لا تتعين الدائرة نفسها ، بل تظل ذاهبة مع الفوضى فى كل مذهب وفى غير مذهب .

وإذ كان البيت هو نقطة المركز فى الدائرة الإنسانية ، فهو بمثابة القلب فى الجسم ، وهو مركز العاطفة ودعامة الأخوة الإنسانية ، وهو كل ما شئت من المعانى النبيلة التى يتعين القصد إليها . والحج هو القصد نفسه بمعناه اللغوى .

فلفظة "الحج" العربية لفظة من أدق الالفاظ ، تتسع لكل معنى فى توجه الإنسانية نحو مركزها . ومهما قلبنا الألفاظ فلن نجد ما يسد مسدها ولا ما يغنى غناءها فى الإشارة إلى التفاف الإنسانية التفاف الدائرة حول المركز الثابت .

كان الحج عند عرب الجاهلية رمزا نفسيا إلى استجماع الأرواح كلها فى معنى واحد : هو إنسانيتها لا غير ؛ ففى أشهر الحج تبطل المنازعات ، وتسقط الشهوات ، ويأمن العدو عدوه ؛ فتفرض البقعة المباركة حرمتها على كل نفس ، فيصبح الجميع كأنهم أبناء بيت واحد ، ليس فيهم إلا إخوة ، ويختفى السلاح ويبطل عمله ومعناه ، وتقف كل رذائل الحيوانية بعيدا ؛ لأن النفوس فى إنسانيتها ، أو هى جاءت إلى إنسانيتها الضائعة . وهذا هو المعنى الأساسى لفريضة الحج .

فى الإسلام "الصلاة" ، وهى فريضة يومية تتكرر خمس مرات فى اليوم الواحد ؛ فهى بهذا المعنى حج صغير بين كل بضع ساعات ؛ تنتزع فيه الإنسانية نفسها من مشاكلها ومنازعاتها وشهواتها وحيوانيتها ، وتُقبل طاهرة مستسلمة خاضعة متوجهة

إلى الله . فكأن الصلاة خروج من هذا العالم المادى خمس مرات كل يوم ؛ لا تكاد النفس ترجع إلى عالمها ساعات حتى تخرج منه فى لحظات روحية .

وفى الإسلام "الصيام" شهرا كاملا ، وهوجّ النفس مدة هذا الشهر إلى روحانيتها ، ورحيلها عن عالم البطن رحيلا يوميا ؛ لكسر الشهوات ، والخروج من حكم المعدة .

ثم يأتى "الحج" ، وهو الفريضة الكبرى المتممة لكل هذه الفرائض ؛ إذ هو انتزاع الإنسان نفسه من إقليمه ، وتجرده للحركة العليا ، ومجاهدته لما يمسكه فى أرضه ، وخروجه إلى الله تعالى على الوجه الذى سنفصّله .

فأنت ترى أن هذه الفرائض كلها هى توسع منتظم مطرد فى الحقيقة النفسية الإنسانية العامة ، يفرضه الإسلام بطريق عملى واقع محقق ؛ لا بطريقة تعليمية خيالية تقتصر على كتبها التى تذكر فيها . وهذا سرّ كون الإسلام دين الإنسانية العام ؛ لأنه قائم على اعتبار الإنسانية كلها وحدة متماسكة لا تتجزأ ، ثم على إيجاد العلاقة الثابتة المنتظمة بين أجزاء هذه الوحدة . ومتى وجدت العلاقة بين المتفرقين وجد التشابه بينهم ، ومتى وجد التشابه تحققت الوحدة . وكل قوانين التربية الأدبية : إنما ترمى إلى تحقيق هذه الوحدة فى الإنسانية ، ولكنها لا تزال إلى الآن عاجزة كل العجز عن إيجادها ؛ لأنها غفلت عن فرض العلاقة وتحديدها وتنظيمها بطريقة عملية إجبارية : تبدأ فى النفس ، وتتسع فى النفس ، على النحو الذى بيناه ؛ وهو الذى انفرد به الإسلام . فالإسلام بذلك أعظم دين هُدِىَ إليه العالم ، وبه لا بغيره تحلّ كل المشاكل الإنسانية ؛ لأن الحل الطبيعىّ لهذه المشاكل النفسية : هو تنظيم العلاقة بين الأنفس المختلفة . والإسلام كله — من أوله إلى آخره — يدور حول تنظيم هذه العلاقة و إيجادها بالفعل ، وجعْلها فوق الشهوات والأحقاد والمنازعات : أى وضْع الحكم الذى تُحكم به النفس فى مشارق الأرض ومغاربها . وحكم النفس الإنسانية هو حكم العالم فى الحقيقة . ولهذا جاء الإسلام للعالم كله ، وقام على أساس العالمية لا على أساس الفردية ، ولا على أساس الجنسية ؛ فهو من كل الوجوه دين الإنسان الكامل .

المساواة فى الإسلام

قد يقال إن الآداب والفلسفة والقوانين تفرض المساواة؛ فكأنّ الإســلام لم يأت بشيء جديد فى هذا الباب؛ ولكن المساواة فى الإسلام هى وحدها التى ظفرت بها الإنسانية دون ما فى الآداب والفلسفة والقوانين؛ فإن هذه نظريات لم تعْدُ الحكم العقلى والافتراض المنطقى ، ولم يتصـل بالواقع منها إلا شيء ضعيف لا غناء فيه . فالنـاس متساوون فى حكم الآداب القـديمة والحديثة ، ولكن أين حقيقة هـذه المساواة فى الحياة ؟ فما زالت الحوادث قائمة على التفريق ، وعلى الغبن ، وعلى نهب حقـوق الضعفاء وإضافتها للأقوياء زيادة فى حقوقهم، أو كما جاء فى الإنجيـل : " من له يُعطَى ويزاد ومن ليس له يؤخذ منه ! " .

وبهذا نرى النظام العـالمى كتابة فقط ؛ فهـو نظام تام فى الكتب والروايات والقوانين ، ولكنه ناقص كل النقص مشـوه كل التشويه فى المجموعة البشرية : من أحط الهمج إلى أعلى المتمدينين .

أما الإسلام فجعل المساواة طريقة عملية قبل كل شيء، وفرضها فى العبادات؛ لتتصل بالضمير، وتدخل فى التركيب النفسى، وتدرّج بها فى نظام عجيب من الأضيق إلى الأوسع، وجعلها ثابتة مستمرة لا يصح إيمان المرء إلا بها، ولا يتم إلا بتمامها . فالمؤمنون متساوون بكلمة الإسلام الأولى : وهى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وهـذه هى النواة المغروسة فى الضمير العام . ثم تأتى الصـلاة اليومية وهى تساوى بين الجميع فى العمل والحركة والكلمة ووضع رءوسهم جميعا من الملوك إلى الصعاليك فى مستوى واحد عند السجود لله تعالى . ثم يأتى الصيام وهو مساواة تامة فى الحرمان ، تُلحق أفقر الناس بأغنى الناس . ثم يأتى الحج، وهو المساواة الكبرى، وهو نهـاية الطريقة ونهاية الحكمة، وهو غاية الغايات فى هـذا الباب، ولا نظير له فى جميع الأديان، ولا فى الآداب، ولا فى القوانين .

مقاصـد الحج

الحج هو نظام جمعية الأمم الحقيقية القائمة على قانون السلام لا على قانون الحرب،

وعلى الاتفاق لا على الاختلاف، وعلى فض المشاكل لا على خلقها، وعلى حل المسائل العالمية لا على تعقيدها. فهو أيام فى كل سنة، تندمج فيها الإنسانية بعضها فى بعض، ويتساوى أكبرها وأصغرها، وتترك دُنيا الناس على الحدود بكل ما فيها من المنازعات والخلافات، والفروق السياسية والاجتماعية والجنسية، ولا يدخُل فى تلك البقعة المقدّسة من الإنسان إلا الإنسان نفسه، فى أجلى مظاهر إنسانيته وأجملها وأتمها.

يدعو الفيلسوف «روسو» وغيره: إلى الرجوع للطبيعة. وهى دعوة مستحيلة التحقيق، ما دام العالم يتطوّر ويتنازع البقاء وأسباب الحياة؛ ولكن الحج الإسلامى وحده يحقق هذه الدعوة بأدق معانيها ويرجع الناس لا إلى الطبيعة نفسها، ولكن إلى طهارة الطبيعة، ويلزمهم ذلك بطريقة عملية منظمة غاية التنظيم.

الحج ونظام الكشّافة

والحج هو فى الحقيقة النظام الأعظم للكشافة الإسلامية. فهناك كل فرد هو كشاف أعظم؛ لا باختياره وفكره، ولكن بعقيدته وقلبه. فكل إنسان يتجرّد من منافعه الشخصية، ويوطن نفسه على احتمال المشقة، ويندمج فى الباقين اندماجا نظاميا عسكريا، ويحمل معه من الحج الصورة الطاهرة إلى الإنسانية. هناك: لا كذب، ولا رفث، ولا فسوق، ولا جدال، ولا نزاع. هناك لا يختلف النظر إلى الانسان، بل تكون نظرة الجميع نظرة واحدة؛ نظرة عطف ومحبة ومعاونة وإسعاف ووفاء حقيقى مجرّد من كل نزعة شخصية. هناك كل مبادئ الكشافة مصفاة مطهرة.

ومن عجيب الحكمة الإلهية أن يكون مكان الحج فى الصحراء المتقلبة بجوّها وطبيعتها؛ وأن يكون زمانه دائرا مع الأوقات القمرية المتحوّلة غير مقيد بالسنة الشمسية، حتى لا يقع فى موسم واحد، بل يجىء: مرة فى الحر، ومرة فى البرد، ومرة فيما بينهما؛ لأن مبدأ الكشاف الحقيق أن يكون متغلبا على شخصية الطبيعة،

كما هو متغلب على شخصيته نفسه . هو القوة المغامرة التى لا تجبن ولا تضعف أمام الطبيعة وتقلباتها ؛ كما هو الطهارة العاملة التى لا تنكص ولا تخاف أمام النفس وأهوائها .

والكشاف مجرّد من الدنيا ، ليس له فيها إلا أنه عامل من عوامل السموّ الإنسانى ؛ وكذلك الحاج .

والكشاف لا يعبأ بالمظاهر الزائفة ، بل يحمل الحقيقة فى نفسه وفى جسمه ؛ والحاج أعظم منه فى ذلك .

والكشاف مقبل بجملته على الإنسانية ؛ والحاج مقبل على الإنسانية والإلهية معا . والكشافة نظام؛ والحج نظام ودين معا .

والكشاف عالمى محض، والحاج أقوى عالمية منه .

وبالجملة : كل الفضائل التى ترى فى الكشافة مصغرة : ترى هى بعينها فى الحج على أعظمها ؛ ويزيد الحج : أنه يفرض أسمى نوع من الكشافة فرضا على الأمم كافة .

فليست الكشافة إلا الصورة الصغيرة التى اقتبستها المدنية الحديثة من نظام الحج . وأما الصورة العظمى الكاملة فهى هذا النظام الإسلامى العجيب .

الحج والجهاد

وفكرة الكشافة إنما هى لب فكرة الجهاد الحربى ؛ غير أنّ تلك (أى الكشافة) جهاد الإنسان للإنسانية على إطلاقها . فهى إعداد الشخص ليكون حربا على الشر : شر نفسه وشر غيره؛ فيراد منه أن ينشأ على القوّة ، وصلابة العود ومجاهدة شهوات النفس ، وتحمل الشّظف ، ومقاومة الطبيعة ، والاستقلال بملكاته الشخصية ، والتعويل على نفسه . وكل هذا أساس الجندى الصحيح القوىّ الصالح لعمله . وكل هذا متحقق فى الحج على أتم ما يمكن أن يتفق .

ومن رأى الحجيج فى عرفة — وقد لبسوا جميعا زيا واحدا ، وانتظموا انتظاما واحدا ، واتجهوا وجهة واحدة ، وتحركوا بفكرة واحدة ، وتركوا الدنيا وراءهم ،

وتناسوها ، وحملوا أنفسهم إلى الله وحده ، وأقبلوا جميعا يلبّون بكلمات سماوية روحانية — رأى منظرا رائعا لا تظفر بمثله الدنيا إلا فى ذلك المكان وحده ، ورأى الجيش الذى يمكن بحق أن يسمى "جيش الخلاص" ، ورأى مبدأ الجهاد الإسلامى واضحا كل الوضوح : فى أسمى فلسفته وأدق اعتباراته ؛ فإن الجهاد فى الإسلام ليس حربا للفتح ، ولا للقتل ، ولا لغصب الحقوق الجنسية ، ولا لسرقة أوطان الأمم ؛ وإنما هو حمل الفكرة الإلهية الطاهرة وعرضها على الناس ؛ لمنفعتهم وخلاص أنفسهم من الشر وتحقيق فضيلتهم الإنسانية . فالمحارب فى الإسلام : هو العقل قبل السيف ؛ والبرهان : هو الفضيلة قبل القوّة ؛ والغاية : هى الإنسانية قبل الإنسان .

يريد الإسلام جعل الأمم واحدة فى إنسانيتها ، لا فى أوطانها ولا فى جنسياتها ؛ فالأسود أسود ، والأبيض أبيض ، والأصفر أصفر ؛ ولكن الفضيلة ليست سوداء ولا بيضاء ولا صفراء ، ولا لون لها ولا جنس . فهذه هى التى يعمل لها الإسلام فى جهاده ؛ فهو يحمل الصدق والإخلاص والطهارة ، والمحبة والعطف ، والتعاون والترافد ، وغيرها من الفضائل التى بها لا بغيرها صلاح الأمم ، وإقرار الاجتماع على أساسه الصحيح . وكثيرا ما تكون هذه الفضائل كالأدوية ؛ مُرّة صعبة على النفوس ، فتُحمل النفوس عليها حملا ، كما يفتح فم المريض بقوّة لإساغة الدواء ؛ فالطبيب حين يستعمل هذه القوّة مع مريضه ، ويكرهه إكراها على توجر الدواء المرّ ، لا يكون قد استعمل القوّة ، بل استعمل الرحمة فى شكل القوّة . ووخزة السيف الإسلامى فى جسم الأمم : هى كوخزة إبرة الطبيب حين يريد أن يدفع الدواء فى الدم ، لا يتجاوز بها هذه الغاية . ولذلك كان الجهاد الإسلامى مقيدا بشروط قانونية لا يعدوها ، كلها راجع إلى هذا الاعتبار الذى بيّناه .

فالحج بهذا النظام : هو مناورات حربية روحية ، توجب على الجميع زيّا واحدا ، وحركة واحدة ، وكلمة واحدة ، وطاعة واحدة ؛ وتقرّ فى أنفسهم فكرة التضحية حتى بالأهل والمال فى سبيل غاية عليا ؛ وتجردهم من قانون الحياة العادية ،

وتأخذهم بقانون آخر صارم كل الصرامة، لا يمكن التسامح فيه ولا بكلمة شاذة؛ فمن خالف هذا القانون الذى هو شروط الحج وأركانه، بطل حجه وذهب عمله ضياعا . وأيّة أمة غير الأمة الإسلامية لها مثل هذا القانون ؟ وأى دين غير دين الإسلام استطاع أن يضع هذا القانون وينفذه بكل دقائقه على طغيان الطبيعة الإنسانية ؟

ليس الحج على هذا إلّا تربية نفسية عسكرية دقيقة كل الدقة ، كما هو تربية سياسية، وكما هو تربية اجتماعية . والأمم الحربية الراقية لعهدنا تفرض على كل شبانها فرضا أن يمارسوا التمارين العسكرية مدّة كل سنة ، وهذا بعينه يشبه نظاما صغيرا من الحج الذى يفرض على جميع الأمم الإسلامية نظامه الدقيق مرة فى السنة ، يمارس الحاج فيه قانونا روحانيا فوق قوانين الحرب ، يجمع كل مميزاتها، ويزيد عليها ما فيه من السمو الروحانى، والأخوّة الإنسانية ، والتطهر من الدنيا بتقديم المنافع العامة على المنافع الشخصية، والغرض الأسمى على الغرض الأدنى .

ولو أدركت الأمم الإسلامية هذه الحقائق لعاقبت حكوماتها على ترك الحج ؛ لأن تاركه يكون كالهارب من الجندية العظمى ؛ بل لزادت هذه الحكومات على ذلك أنها تنتقى كل سنة فريقا عظيما من الشبان وترسلهم للحج ليكونوا فرقة منها فى الجيش الأعظم، وليعودوا ممتلئين بآثار هذه الرياضة الروحانية البدنية التى لا نظير لها، والتى تعوّدهم الطهارة والنظام والترتيب والتشديد فى واجبات الفضيلة من تلقاء أنفسهم، بوحى الضمير وإجبار القانون الروحى .

يعود الشاب : تام الرجولة، صادق العزيمة ، طاهر اللسان، عف الضمير، كامل الإنسانية، متخلقا بأخلاق القوّة من جميع جهاتها : فى نفسه وجسمه وعقله وإحساسه وغرائزه؛ فيصبح فى أمّته مركز ثقافة عالية لا تخرج مثلها أرقى المدارس، ولا أعظم الجامعات، فأية مدرسة عظمى وأية جامعة كبرى هذا الحج ؟ مدرسة فى الحياة بجانب مدرسة العلم . وما أحوج الأمم إلى مدارس الحياة بجانب مدارس العلم .

الحـــج والثقافـــة

والحج أعظم طريقة لنشر الثقافة ؛ إذ تلتقى الأجنـاس المختلفة فى مكان واحد، كل جنس يحمل ما انتهى إلـيه من ضروب الثقافة العلمية والسياسـية والاجتماعية والاقتصـادية . فهذا مؤتمر عظيم الشأن، كان ينبغى أن ينتفع به على الحكمة التى وضع لهـا .

ومن هنـا كان يجب على الحكومات الإسلامية : أن ترسل كل سنة إلى هذا المؤتمر خير رجالهـا علما وثقافة وأدبا ، كما ترسل إلى المؤتمرات التى تنعقد فى أوروبا وأميركا . هذا مؤتمر الله وهو أعظم ألف مرة من كل مؤتمر سياسى أو علمى أو أدبى ؛ فلماذا لا نرى فيه فلاسفة الإسلام وعظماء الرجال؟ ولمـاذا لا يكون الحديث فى موسم الحج كأنه محاضرات تنشر على الجميع لتوحيـد الفكرة والغاية والطريقة ، وللنهوض بهذا المجموع الإسلامى العام نهوضا حقيقيا ، مبنيا على نظام ثابت يتكرر كل سـنة ولا ينقطع أبد الدهر ؟ .

لمـاذا لا يحج الساسة من كل أقطار الإسلام ؛ ليتعارفوا بإخوانهم و يتشاوروا و يتداولوا فى جو طاهر خالص ، إلا من إرادة وجه الله ومن أداء الواجب ؟ ولمـاذا لا يحج فحول العلماء ليشاركوا فى هذا المؤتمر الأعظم ؟ ولمـاذا لا يحج رجال المـال والاقتصاد ليروا بأعينهـم ذلك السوق الحى العظيم ؟ ولمـاذا لا تتّفق الحكومات الإسلامية على تنظيم هـذا الحج كما تتفق على تنظيم مؤتمر جامع ؟ ولمـاذا لا تبذل الأموال من كل الأمم الاسلامية لإيجاد هيئة علمية مشتركة فى كل موسم للحج ، يكون من عملها إصدار (صحيفة الحج) ، تنشر فيهـا — بكل اللغات الإسلامية — نصائح الساسة وأقوال العلماء وتدابير رجال المـال والاقتصاد ونحو ذلك ، فيرجع كل حاج إلى بلاده ومعه ذخيرة عظمى من هذه الصحيفة .

يقول الله تعـالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ . وقد انعكست هـذه الاية ؛ فالذين يستطيعون هم الذين لا يحجون ! و بهـذا رجع

المؤتمر الأعظم وكأنه أشباح إنسانية ، لا يجمع إلا الضعفاء والفقراء والبالغين أرذل العمر ، ولا نكاد نرى فيه الملوك ولا الأمراء ولا رجال السياسة ولا أفراد العلماء ولا أقطاب الاجتماع ؛ فعُـدِمَت الفائدة أو ضعفت أشدّ الضعف ، وخسر بذلك العالم الإسلامى فائدة هذا النظام الدينى الاجتماعى السياسى الحربى العجيب ؛ وتجرّد الحج من روحه ، فصار كأنه بلا روح ، وأصبح عملا فرديا محضا ؛ مع أنه فى أساسه عمل اجتماعى كما سبق بيانه ! .

إن الله غنىّ عنا وعن عباداتنا وأعمالنا ، و إنما يشرع لنا نظام منفعتنا على أدق الوجوه وأكملها . وهذه هى المنافع فى نظام الحج ؛ منافع لم تظفر بمثلها أمة من الأمم ، ولا جاء بها دين من الأديان ، ولا استطاعها قانون من القوانين ؛ وهى كلها جهاد فى سبيل الله وفى سبيل الإنسانية . فلماذا يهرب القادرون من هذا الجهاد؟ ولماذا يتخلّون عن أخص واجباتهم نحو المجموع ؟ .

إن تقصير الرؤساء والأمراء وعظماء الرجال فى أداء هذا الواجب هو تقصير مضاعف ، فهم تركوا حق الله ، وحق المجموع الإسلامى ، وحق أنفسهم . فعليهم فى الحج ثلاثة واجبات إذا كان على غيرهم واجب واحد ، وهم مسئولون بهذا ثلاث مسئوليات .

الحج والمنافع

نشير هنا إشارة إلى موضع من إعجاز القرآن الكريم ، يؤكد ما أسلفنا بيانه من أسرار الحج . قال الله تعالى : ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللَّهِ ﴾ ، فقوله تعالى : «ليشهدوا منافع لهم» آية الآيات فى الإعجاز ؛ لأنه أطلق "منافع" ولم يقيدها بجنس ولا نوع ، إذ كان فى علم الله أن سيأتى زمن تنشأ فيه عصبة الأمم ، ويبتدع فيه نظام الكشافة ، وتجدّ للإنسانية منافع مختلفة لم تكن معروفة فى القديم : منها الاقتصادى ، ومنها الاجتماعى الخ . وكل هذا منطوٍ تحت قوله تعالى : « ليشهدوا

منافع لهم » . وذكر "الناس" فى أول الآية ليتعين أن هذه المنافع منافع للانسانية كلها، لا لأمة من الأمم بخصوصها . ثم إن قوله تعالى : « ليشهدوا منافع لهم » هو أبلغ وأدق تعبير يستعمل لحضور مؤتمر منتج، منزه عن الخلاف لمجرد الخلاف، وعن تضارب المصالح وتناقضها ؛ فهو اجتماع أساسه شهود المنافع دون غيرها ؛ المنافع على إطلاقها كما يخترعها كل زمن بوسائله العقلية والعلمية والآلية .

وليس أعجب ولا أدعى للدهشة من تقديم « شهود المنافع » فى حكمة الحج على « ذكر اسم الله » . فهذا نص صريح على أن الحج عمل إنسانى للإنسانيه، قبلما يكون عبادة أو أكثر مما يكون عبادة؛ فالعبادة أداء فريضة فردية، ولكن "شهود المنافع" أداء فريضة اجتماعية يقوم عليها إصلاح الجماعات ؛ فكأن المسلمين الآن قد أخذوا بنصف الآية وتركوا نصفها، بل قل: إنهم لم يفهموا إلا أحد الشقين ؛ وبهذا ضعف أثر الحج فى الإصلاح الاجتماعى، وتجرد هذا العمل السامى العظيم من أكثر مميزاته السياسية والاجتماعية . ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الحق ﴾[1] .

حكمة العُمْرَة

شُرعت العمرة تشريفا لبيت الله الكريم، وتكريما للبقاع الطاهرة والأماكن المقدّسة ولتكون أسهل النسكين على زوّار مكة المكرمة وقاصديها ؛ فإن الله تعالى لمّا حظر على الآفاقيين وزوّار مكة أن يجتازوا المواقيت التى أشرنا إليها إلا إذا أهلّوا بنسك وأحرموا له، شرع لهم العمرة التى هى طواف وسعى كما قدّمنا فيؤدّى حق البيت بأدائها، ويقضى حاجته، فلا يحرم زائر من الخدمة والمثوبة، ولا يجرؤ على الإخلال بحق الحرم وانتهاك حرمات الأماكن المقدّسة .

ولما كانت مكة محط الرحال ومجمع الأمم الإسلامية يأتون إليها رجالا وعلى كل ضامر، شرعت العمرة فى جميع أيام السنة حتى لا تتعطل المتاجر والمصالح ولا تنتظر الركبان والوفود أيام الحج، تفضلا منه تعالى ورحمة بعباده .

(١) انتهى التمهيد من كلام سعادة حافظ بك عامر .

حكمة الإحرام

شرع الإحرام لإظهار التذلل والعبودية بإظهار الشعث والغَبَرَة، وترك الرفث والفسوق، والمنع عن أسباب الزينة والطيب ولبس المخيط وغير ذلك. وإنما كان من المواقيت مع أنها خارج الحرم زيادة فى شرف البيت وفضله؛ فإن الشارع لم يكتف فى تشريف البيت بأن جعله حرما آمنا؛ بل أكد ذلك وقواه بأن جعل لحرمه حرما آخر وهو المواقيت السابق شرحها .

وقال الأستاذ حافظ بك عامر فى الرسالة التى سبق ذكرها :

يحرم الحاج بتغطية جسمه بملاءتين غير مخيطتين . والخياطة هى أساس المظهر. والخياط هو فى الحقيقة صانع المظاهر المتدرّجة فى التفاوت، وهو اليد العاملة على تنويع الناس ومباهاة بعضهم بعضا، وكذب بعضهم على بعض فى ظاهرهم . ففى الحج تُعدَم هذه اليد البتة؛ لأنه لو جاز وجودها وجاز لبس المخيط فى الحج لوجد التفاوت حتما، ومع وجود التفاوت لابد من وجود التدرج فيه، فيكون الحج مظهرًا للأزياء ويبدو الغنى بغناه، والفقير بفقره، وبهذا لا تتحقق المساواة . فأراد الشارع تحقيق هذه المساواة من أساسها الطَّبعِىّ كما رأيت ، وهى حكمة عجيبة بالغة ، فتظهر الإنسانية فى الحج ببساطتها الطبَعية ، وتسقط الدنيا الصناعية الكاذبة التى هى مثار الأحقاد فى النفوس .

ثم إن الإحرام على هذا الوجه طريقة أخرى من طرق التربية الرياضية يثبت الطب منفعتها وضرورتها للجسم البشرى؛ فكأن الشارع الحكيم يقول للناس : عوّدوا أنفسكم هذه العادة بين الوقت والوقت، وكونوا رياضيين أقوياء وحققوا وصايا أمكم الطبيعة . اهـ

حكمة التلبية

" لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك . لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك " .

قال حافظ بك عامر :

هذا هو النشيد السماوى الموضوع للحج : كلمات روحانية ، فيها أنوار السماء تضىء على كل ما فى الأرض وكل ما فى النفس ، وتجعل الإنسان سماويا إلهيا فى بعض أوقاته ليتذكرها فى سائر أوقاته الأخرى ، فإذا رجع إلى دنياه العادية نبهته معانيها فكانت له كالقانون الروحى . هذا النشيد دوى عام يهتف به مئات الألوف من المؤمنين بصوت واحد فلا يمكن أن ينساه من سمعه ، وبذلك يكون قد انغرس فى نفس الحاج وحمل معه الهيئة التى تذكر به دائما ، فيرتبط فى الذاكرة فلا يمحى ولا ينسى .

يلبى الحجيج كلهم بهذه العبارات : لبيك اللهم لبيك ... الخ . وهذا تجرد تام من الحيوانية وطغيانها وظلمها وغرورها واستبدادها ، واتحاد تام من الإنسانية فى توجهها إلى خالقها بما فيها من الحقائق دون الأباطيل ، وإعلانها المساواة التامة بكل معانيها . فالكل أحرار متساوون لأن العبودية لله وحده ، والكل إخوان متساوون لأن الملك لله وحده ، والكل عاملون متساوون لأن الحمد لله وحده ، لا يذل إنسان إنسانا ، ولا يملك إنسان إنسانا . ومعنى هذا أن الإنسانية متضافرة متآخية متعاونة . فهى كالجيش العامل ، نصيب أصغر فرد فيه متمم لنصيب أعظم فرد . فهم يختلفون فى الطبقات وفى المناصب والأعمال ، ويتفاوتون فى العقول والأفكار والقوى ؛ ولكن الجيش بعد ذلك وحدة ، ولا يتم له معنى الجيش إلا أن يكون وحدة ، ولا يعمل عمل الجيش إلا بأنه وحدة .

هل فى الإنسانية أسمى من هذا المعنى ؟ وهل وجد دين غير الإسلام استطاع أن ينطق الملايين بهذه المبادئ السامية ، ويجعلها لهم نشيدا مفروضا عليهم ، ويدخلها إلى نفوسهم ، بهذه الهيئة التى تجعل الروح تبكى فى داخلها من خشية الله ، وتجعل الجسم يرتعش كأنما مسّته من هذه الكلمات كهرباء لا قوة له على دفعها ، ولا رد تأثيرها ؟ .

إن الذى لم ير ولم يسمع مئات الألوف فى ذلك المظهر الطبيعى يهتفون بهذه الكلمات الرائعة من أعماق قلوبهم ، لا يكون قد رأى الإنسانية فى أرق معانيها وأسمى مظاهرها .

حكمة الطواف بالبيت

إن البيت أطهر مكان فى الأرض ، شرّفه الله تعالى وكرمه ، ونسبه لنفسه ، وجعله حرما آمنا يلوذ بحماه الخائف والضعيف ، وأعدّه للطائفين والقائمين والركّع السجود .

فالطواف به قيام بالخدمة والعبودية ، والطائف متشبه بالملائكة المقربين الحافين حول العرش الطائفين حوله . معلن عن شدّة حاجته لمولاه ، والتجائه إلى حماه . فهو يطوف ، استمطارا لرحمة ربه ، واستنزالا لغفرانه ، واستفتاحا لبابه ، عسى أن يكتب فى الفائزين .

حكمة الرَّمَل « الهرولة »

شرع الرمل فى ثلاثة الأشواط الأول من كل طواف يعقبه سعى بين الصفا والمروة ؛ لإظهار القوّة والتجلد والنشاط والهمة فى العبادة . وأصله فعل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ؛ فإنه لمّا دخل مكة فى عمرة القضاء ، وكان أهلها لا يزالون على شركهم ، سمع منهم مامعناه : سيطوف اليوم بالكعبة قوم أوهنتهم حُمَّى يَثْرِب ، فقال صلى الله عليه وسلم لأصحابه مامعناه : « رَحِم اللهُ آمْرَأً أَرَاهُمُ اليومَ مِنْ نفسه قُوَّةً » .

حكمة استلام الحجر الأسود

شرع استلام الحجر الأسود ؛ لأنه لمّا كان مبدأ للطواف بالبيت الشريف جعل كأنه مبدأ للإقبال على المولى والوقوف ببابه ، كما يفعل عند الدخول على الملوك والوقوف بأبوابهم .

والمقبِّل له أو مستلمه كأنه مبايع لله عز وجل على طاعته وترك المعاصى ما بقى حيا .

ولهذا وجب على من قبّله أو استلمه بيديه أو أشار إليـه بهما : أن يصمم على الوفاء ببيعته، و إذا غدر فى مبايعته استحق المقت من الله المنتقم الجبار .

وتقبيل هذا الحجر مع أنه لا يضر ولا ينفع زيادة فى احترام أمر الله عز وجل؛ فإنه أمر بالطواف حول البيت الكريم ، كأننا نقول : لقد لبينا أمرك يا ألله فطفنا بالبيت وتأكيدا لطاعتنا لك والخضوع لأمرك قبلنا هـذا الحجر الذى وضعه إمام الموحدين خليلك إبراهيم عليه الصلاة والسلام بالكعبة ليكون مبدأ الطواف بها .

وقال حافظ بك عامر :

الحجر الأسـود فى نظرنا هو رمز لهذه الكرة الأرضـية كلها ، يلمسه الحجـاج جميعا ، كأنهم يشيرون إلى توحيد بلادهم المختلفة؛ تحقيقا للمساواة فى الإسـلام حتى فى الجنسيات الأرضـية ، فلا تمتاز أرض على أرض ، كما لا يمتاز مسـلم على مسلم فى تلك البقاع المقدّسة .

ومما يؤيد ذلك : أن المسلمين جميعا فى مختلف أقطار الدنيا يوجهون وجوههم فى الصلاة شطر الكعبة المكرمة؛ لتوحيـد الجهة الإسلامية . فيكون الحجر الأسود فى الكعبة كأنه روح الأرض ، وما أجمله رمزا وما أدقها حكمة ! فبمصافحة هذا الرمز يكون كل مسلم كأنه صافح بيده وطن الآخر مصافحة الأخوّة والود والمحبة والإجلال .

وفضلا عن ذلك : فى الحجر الأسود رمز لروح الخير فى الأرض ، كما أن فى المَرْمَى الذى يرمى بالجمار رمزًا لروح الشرّ فى الأرض ، فروح الخير يقبل و يصافح ، وروح الشر يُلعن ويرجم . وهذه حكمة عجيبة بالغة منتهى السموّ فى تجسيم المعانى للنفس الإنسانية ، وهى عندنا أقوى وأعظم من حكمة إقامة التماثيل فى شعائر الأمم قديمها وحديثها . ا هـ .

حكمة السعى بين الصفا والمروة

ثبت أن السيدة هاجر رضى الله عنها لمّـا تركها سيدنا إبراهيم صلى الله عليه وسلم اشتد بها الظمأ ، فأخذت تذهب إلى الصفا مرة لعلها تَبْصُر بماء ، و إلى المروة أخرى كذلك؛ فشرع الله السعى ليذكرنا بآثار سلفنا الصالح .

والسعى بينهما يضاهى تردّد العبد بفناء دار الملك جائيا وذاهبا مرة بعد أخرى؛ إظهارا للإخلاص فى الخدمة ، ورجاء ملاحظته بعين الرحمة؛ كالذى دخل على الملك لأمر مّا، وخرج وهو لا يدرى ما الذى يقضى به الملك من قبول أو رد ، ولا يزال يتردّد على فناء دار الملك مرة بعد أخرى ، يرجو أن يرحم فى الثانية إن لم يرحم فى الأولى . هذا، وليتذكر الساعى عند تردّده بين الصفا والمروة تردّده بين كفّتى الميزان فى عرصات القيامة، وليمثّل الصفا بكفّة الحسنات والمروة بكفة السيئات، فيتذكر تردّده بين الكفتين، ناظرا إلى الرجحان والنقصان، متردّدا بين العذاب والغفران، ثم يرجح الغفران بحسن ظنه .

حكمة الوقوف بعرفة

لقد فرض على كل حاج أن يقف بميدان عرفة فى يوم معلوم فى ساعات معلومة، ومن أهمل ذلك فقد بطل حجه ، وعرفات هو المكان الذى ألقى فيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خطبته الخالدة التى ذكرناها فى غير هذا المكان من هذه الرسالة. والوقوف فيه يذكرك — لما ترى من ازدحام الخلق ، وارتفاع الأصوات ، واختلاف اللغات ، واتّباع الفرق أئمتهم فى التردّد على المشاعر؛ اقتفاءً لهم، وسيرا بسيرهم — بعرصات القيامة ، واجتماع الأمم مع الأنبياء والأئمة، واقتفاء كل أمة نبيها، وطمعهم فى شفاعتهم ، وتحيرهم فى ذلك الصعيد الوحيد بين الرد والقبول . فإذا ذكرت ذلك فألزم قلبك الضراعة والابتهال إلى الله عز وجل؛ كى تحشر فى زمرة الفائزين المرحومين ، وحقق رجاءك بالإجابة؛ فالموقف شريف ، والله عزت قدرته أكرم الأكرمين. ولا تنس أن مايعاينه الإنسان بنفسه فى هذا الجمع من الحجيج على اختلاف أجناسهم ، واتفاقهم فى الغرض الأساسى وهو العبادة ، وأن مايتجلى له إذ ذاك من المساواة العامة بين بنى الإنسان ووقوف الجميع فى صعيد واحد وبحالة واحدة أمام رب واحد، وأن ما يعانيه من المشاقّ : كل ذلك يدعوه إلى النزول عن كبريائه ، والتخفيف من غلوائه ؛ وإلى العمل على نشر الإخاء

والمساواة التى تتجلى له فى ذلك الموقف الرهيب ، مع التمسك بالفضيلة واحترام المبادئ الإنسانية العامة .

وفى عرفات أنزل الله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم آية ﴿ اليومَ أكملتُ لكُم دِينَكُم وأتممْتُ عليكُمْ نِعمَتى ورَضِيتُ لَكُمُ الإسلامَ دِيناً ﴾ .

وقال حافظ بك فى حكمة الوقوف ما يلى :

إن الاجتماع فى ذلك السهل يدعونا إلى الاقتناع بأننا اجتمعنا هناك كعصبة منظمة خاضعة لنداء القانون الذى أعلنه الرسول الكريم فى تعاليمه السامية . ولهذا الاقتناع شأن كبير فى النفس ؛ فكل مرحلة نحو غرض من الأغراض العليا لاتكون شيئا إن لم يكن باعثها اقتناعا آتيا من وحى النفس ، ومن إلهام الجماعة المحتشدة فى مثل هذا الموقف الرائع . ولعل هذا بيان لحكمة الحديث الشريف : «الحج عرفة» .

ويتجلى روح الجهاد فى الحج من عودة الحجاج من سهل عرفات نحو بيت الله ؛ إذ يقيم الحجاج أثناء ذلك فى ثلاثة أماكن مختلفة حسب خطة سير محكمة ؛ فهم يتركون معسكرا نحو آخر ، ثم يسيرون من هذا ليقيموا خيامهم فى مكان ثالث ؛ ويطلب من الجند أن يلتزموا الإحرام طوال هذه المدة .

(فالمرحلة الأولى) عرفات . ولهذا المكان أهميته الحربية لاتساع مساحته ؛ ففيه تحتشد جموع الحجاج ويقومون بمناوراتهم الرمزية .

(والمرحلة الثانية) المزدلفة . وهى المكان الذى كان القرشيون فى الجاهلية يعقدون فيه اجتماعاتهم السياسية فى أثناء الليل ، وظلوا يلزمون مكانهم بعد ذلك ولا يبرحونه مع الحجاج الذاهبين إلى جبل عرفات ، واستمروا على عقد اجتماعاتهم فى المزدلفة كما اعتادوا من قبل ، وكان يسمح لكل فرد أن يشترك فيها ، ولم تكن هناك قيود إلا فى حالة الاشتباه فى وجود أفراد من القبائل المعادية ، فهؤلاء كان محظورا عليهم دخول هذا المكان .

(والمرحلة الثالثة) منى . وفيها كانت تعقد المؤتمرات الاقتصادية ، والمعارض التجارية ، التى تفصح عن أوجه التحسن عند العرب ، مما يحمسهم إلى العمل ،

فتقوم المراكز الصناعية ، وتجوب مراكبهم جميع البحار ، وتقصد المهمّ من البلاد وهى محملة بمحصولاتهم ، ونتاج نشاطهم .

وهذه المراحل على كل أوصافها : كانحدار الجيش من ميدان إلى ميدان فى نظام حربى صحى . فهناك ثلاثة ميادين : عرفات ، ومزدلفة ، ومنى . يخرج الحجيج من أولها إلى الثانى إلى الثالث ، ولكل منها عمله وواجباته . وهنا تظهر الحكمة من الوجهة الحربية ، فليس لنشاط الجندى ميدان واحد ، بل يجب أن يكون نشاطه معدًّا مهيأ لكل ميدان . والمسلم الحق يجب أن يكون خوّاض ميادين فى جهاده فى سبيل الله . اهـ .

حكمة الوقوف بالمشعر الحرام

شرع الوقوف به صبيحة يوم النحر لشرفه وفضله وكونه من معالم العبادة والأماكن المقدّسة ، ولكونه مهبط سيدنا آدم عليه الصلاة والسلام ، ودنوه من زوجته حوّاء . فشكرا لنعمة الاجتماع والتلاقى شرعت تحية هذا المكان والوقوف به برهة من الزمن ، يقوم فيها الإنسان بالذكر والتضرع والدعاء . وهو من الأماكن التى يستجاب فيها الدعاء ، ولما فيه من التذكر لمآثر آبائنا الأولين وسلفنا الصالح من الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين .

حكمة مشروعية الجمع بين الظهر والعصر فى عرفة والمغرب والعشاء فى مزدلفة

شرع الجمع بين الظهر والعصر يوم عرفة ؛ للتمكن من امتداد الوقوف ، والتفرغ للذكر والتهليل والدعاء لمصالح دينك ودنياك ، ولصيانة الجماعة ؛ لأنه يعسر عليهم الاجتماع للعصر بعد ما تفرقوا ؛ لأن الموقف متسع .

وشرع تأخير صلاة المغرب ليلة النحر ؛ لأجل اتصال السير ومتابعة المشى إلى المبيت بمزدلفة ، ولإحراز فضل الجماعة فيها .

حكمة رمى الجمرات

كان مبدأ رمى الجمار أن سيدنا ابراهيم صلى الله عليه وسلم رأى فى المنام أنه يذبح ولده، فصدق الرؤيا، وامتثل أمر ربه، وأظهر ولده على ما يبغيه من ذبحه، فقال : ﴿ يا أَبَتِ ٱفعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إن شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ .

فلما كان فى "منى" عرض الشيطان لسيدنا إسماعيل صلى الله عليه وسلم يوسوس له، فأمره أبوه أن يحصبه بالحصى، فكان أن حصبه بالحصى، وكان ذلك مبدأً لرمى الجمار، وإيذانا بهجران الوسواس، ونبذا لمشورة الشيطان وكان فى الحج رمزًا لنبذ الخطايا والآثام إلى حيث لا تعود .

وقال حافظ بك عامر فى حكمة هذا العمل :

الرمى : هو رمى الجمرات . وهى حصيات تلتقط من الصحراء، ويرمى بها الشيطان، ممثَّلا فى عمود حجرى مستطيل . وذلك رمز دقيق تتمثل فيه النفس عداوتها للشر ورجمه، وبراءتها منه ونبذه، ومجاهرتها بعدواته إحساسا وعملا .

وفى الرمى حكمة أخرى تتعلق بالجهاد الذى هو سرّ من أسرار الحج كما قلنا . وهذه الحكمة هى أن اليد المؤمنة يجب أن تكون يدا ممرنة على أساليب الجهاد، التى أهمها وأعظمها الرمى لإصابة الهدف، ومن هذا يقرر الفقهاء أن الرمية إذا أخطأت لم تحسب من العدد، ويجب إعادتها حتى تصيب هدفها . فهذا الرمى تحقيق لوصف اليد الحربية، إذ لا يمكن فى الحج أكثر من الرموز لكل حقيقة من الحقائق الكبرى . فلا يريد الإسلام يدا متعطلة ولا يدا مخطئة ولا يدا عاجزة . وقد وصف علماء التربية يد الصانع الحاذق بأنها "اليد المفكرة" . فما أجدرنا أن نأخذ من حكمة الرمى دليلا على أنه هو وصف اليد المؤمنة التى ينطق فيها إحساس القوة . اهـ .

حكمة مشروعية الحلق أو التقصير

شرع الحلق أو التقصير بعد غالب أفعال الحج ؛ ليحل للمحرم ما كان محظورا عليه من قبل . وإنما يعجل به بعد رمى جمرة العقبة فى يوم النحر، وبعد ذبح الهدى

أو الأضحية ؛ خشـية الوقوع فى محظورات الإحرام إذا طال به أمد المنع وامتـد الإحرام؛ فإن النفس ألفت النظافة والزينة، وأشق شيء عليها بُعدها عن مألوفها .

حكمة ذبح الهدى والأضحية

الهدى اسم لما يُهدَى إلى الحرم ؛ ليتقرّب به العبد إلى ربه . وهو من الإبل والبقر والغنم : (أما هدى التطوّع والقِرانِ والمتعة) فإنها دماء نسك شرعت إراقتها فى الحرم تقرّبا إلى الله تعالى، وشكرا لنعمة القيام بأعمال الحج والتوفيق لأداء النسكين : الحج والعمرة، وتوسعة على فقراء مكة، (وأما دماء الجنايات وهدى الإحصار وغيرها مما عدا الثلاثة المتقدّمة) فإنها دماء كفارات شرعت جبرا للجناية، وتداركا للتقصير فى أداء المناسك، أو التعدى على الإحرام والحرم .

وقال حافظ بك عامر فى حكمة التضحية :

هـذا رمز حربى يراد به موافقة الطبيعـة الحربية فى نفس الإنسان ؛ ولهذا كانت السـنّة أن يضحى الحاج بيديه . ونحن نرى العلماء والأطباء فى زمن العلم والمدنية يجرون تجاربهـم على أنواع الحيوان ، فلماذا لا تكون التضحية فى الحج من هـذا الباب ، وتكون كالإعلان من المسلم أنه إنسان حربى ، لا تفزعه الحرب ، ولا يهوله منظر الدماء ، حين تجب إراقة الدم فى سبيل العقيدة السامية والفكرة الإنسانية العليا ؟ وفى التضحية حكمة اقتصادية كبرى ؛ فإن كل حاج يشترى الضحية ويضحى بها، أى يدفع ثمنها لأهل الحجاز، وتجارتهم هى الماشية ؛ فبهذا تنفق هذه التجارة نَفاقا عظيما، ويكون أهل البادية قد وجدوا مادّتهم فى موسم الحج من طريق حلال مشروع . ولهذه الحكمة أوجب الشرع الفدية لكل مخالفـة تقع فى الحج من ترك واجب أو فعل محظور؛ فكانت هذه أدق سياسة اقتصادية، لا يأتى بمثلها أعظم علمـاء الاقتصاد . ولو اتسع الحج وعم أكثر المسلمين كل سـنة لاتّسع به غنى تلك البـلاد المقدّسة من حيث لا يبذل كل مسـلم إلا اليسير؛ ولكن القليل إلى القليل كثير .

وصف الحـــرم المدنى

قبل أن أتكلم على كيفية المثول بين يدى الرسول صلى الله عليه وسلم رأيت أن أصف لك مسجده عليه الصلاة والسلام ؛ فإنه ثالث المساجد التى تشدّ إليها الرحال ، فهاك وصفه مختصرا :

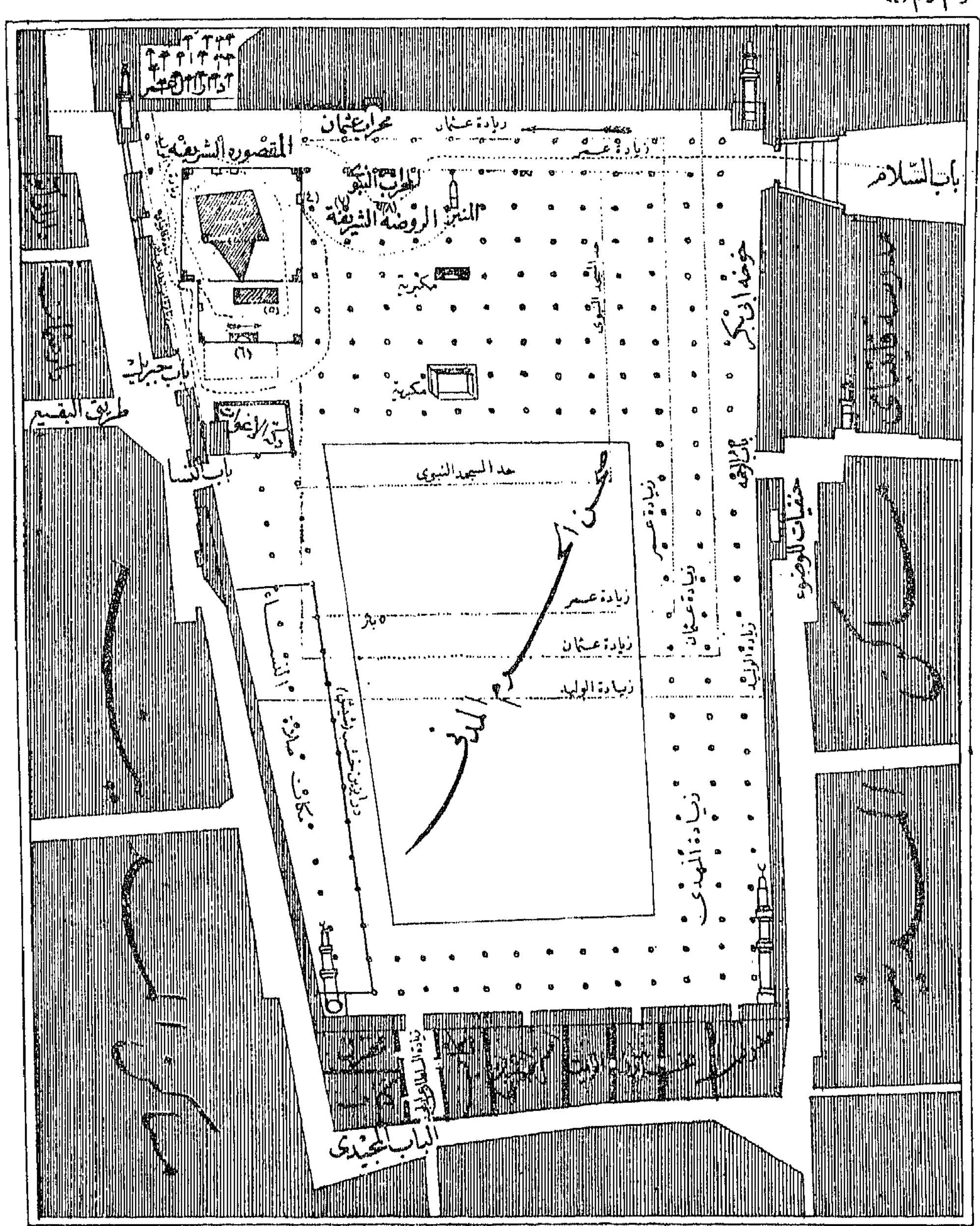
(المسجد النبوى الشريف) يفـوق فى شكله ومنظره المساجد الحديثـة التى نتفاخر بها فى مصر ، ويقع فى وسط المدينة المنوّرة إلى جهة الشرق ، وشكله شبه مستطيل ، ومتوسط طوله من الشمال إلى الجنوب ١١٦ مترا ، وعرضه من الجهة الجنوبية ٨٦ مترا تقريبـا ، ومن الجهة الشمالية ٦٦ مترا . وبه ما يقرب من ٣٢٧ عمودا بعضهـا ملتصق بالحيطان ، ومنهـا ٢٢ عمودا داخل المقصورة الشريفة ، وجميع أعمدته تحمل أقواسا بينها ، نصبت عليها قباب فخمة ، نقشت بماء الذهب ، وزخرفت بالنقوش التى يروقك منظرها ، فهى من البداعة بمكان عظيم . وعلى جدرانه خط كثير من آى الذكر الحكيم ، وأحاديث النبى عليـه الصلاة والسلام ، وأسماء الله ورسوله . وصحن المسجد متسع غير مسقوف يمتد إلى قرب "الباب المجيدى" ، وقد فرش بالرمل الأصفر . وعلى طول الضلع الشمالى منه أنشئت مخازن لوضع أمتعة الحرم ، ومكاتب يعلم فيها القرآن الكريم .

وأنت إذا نظرت إلى الخريطـة رقم ٤ تبينت لك الأطوار التى مرت بهـذا المسجد الشريف من يوم إنشائه إلى يومنا هذا .

خريطة

تبين الحرم النبوي الشريف من أول نشأته وما طرأ عليه من الزيادات والتغيرات الى الوقت الحاضر (سنة ١٣٥٧ هـ)

رسم رقم (٤)



(١) قبر الرسول صلى الله عليه وسلم (٢) قبر أبي بكر رضي الله عنه (٣) قبر عمر رضي الله عنه وجميعها داخل الحجرة الشريفة النبوية
(٤) شباك التوبة (٥) مقصورة السيدة فاطمة (٦) محراب التهجد (٧) اسطوانة ابي لبابة (٨) اسطوانة عائشة.

↓
شمال

أبـــــوابه

للحرم المدنى « مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم » خمسة أبواب هى :

(١) باب السلام . بالجهة الغربية أمام أكبر شارع فى المدينـة المنوّرة ، يسمى بالشارع التجارى ، وهو أفخم وأكبر الأبواب .

(٢) باب الرحمة . ويقع فى الجهة الغربية منه .

(٣) باب جبريل
(٤) باب النساء } وهما بالجهة الشرقية تجاه البابين السابقين .

(٥) الباب المجيدى . وهو بالجهة الشمالية .

مآذنـــــه

للحرم المدنى خمس مآذن وهى :

(١) المئذنة الرئيسية . (٢) مئذنة باب السـلام . (٣) مئذنة باب الرحمة .
(٤) المئذنة المجيدية . (٥) المئذنة السليمانية .

الحجرة الشريفة النبوية

تقع فى الجهة الجنوبية الشرقية من المسجد ، وبها المكان الذى دفن فيه النبى صلى الله عليه وسلم ، وبجواره مقصورة السيدة فاطمة رضى الله عنها ، وهى مكان بيتها [الذى دفنت فيـه ، على بعض الروايات ، ويقال إنهـا دفنت فى البقيع ، وهو الأصح] ويحيط بالحجرة شبكة من النحاس الأصفر ، على الشـكل المعهـود فى المزارات الكبرى فى مصر ، غير أنه مرتفع بعلو سطح الحرم ، وقد حف بالأنوار المحمدية . وضلع هذه الشبكة القبلىّ مكتوب عليه بالخط العربى ، الجيد الوضع ، المحكم الصنع ما يأتى مكررا ، من النحاس الأصفر اللامع : « لا إله إلا الله الملك الحق المبين . محمد رسـول الله صادق الوعد الأمين » . وبين الحجرة الشريفة ومقصورة السـيدة فاطمة حاجز من النحاس الأصفر ، به بابان للمرور منهما . وطـول الحجرة النبوية ١٦ مترا وعرضها ١٥ مترا ، وطول مقصورة السيدة فاطمة رضى الله عنها

١٤ مترا، وعرضها ٧ أمتار. وبالحجرة النبوية دفن النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضى الله عنهما، والكل على هذا الترتيب :

(١) سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم إلى الجنوب، ورأسه الشريفة إلى الجهة الغربية ووجهه الكريم إلى القبلة .

(٢) سيدنا أبو بكر رضى الله عنه، خلفه إلى الشمال، ورأسه إلى قدم النبيّ صلى الله عليه وسلم .

(٣) سيدنا عمر رضى الله عنه، خلف سيدنا أبى بكر، ورأسه تجاه منكبيه.

وعلى الثلاثة بناء محكم نزل بأساسه إلى منابع المياه؛ ثم صب الرصاص على دائره حتى صار من المناعة على شيء عظيم جدًا ، وبين هذا البناء وبين الشبكة النحاسية ممشى : متوسط سعته ثلاثة أمتار، ويمتد من جهاته الثلاثة : الشرقية والقبلية والغربية.

وللمقصورة الشريفة التى دفن فيها الرسول صلى الله عليه وسلم باب غربى فى الروضة، يسمى باب الوفود أو باب الرحمة، وفى جنوبه شباك التوبة، ولها باب آخر فى الجهة الجنوبية، والدخول إليها من باب فى الجهة الشرقية، ومن باب آخر فيها فى الجهة الشمالية ، وهو الذى يدخل منه (الأغوات) . وبزوايا المقصورة النبوية أربعة أعمدة كبيرة : أقيمت عليها القبة الخضراء العظيمة . هذا ، وتوجد قبة أخرى تحت هذه القبة لا يراها من كان فى أرض المسجد؛ لأن كسوة الحجرة تحجب رؤيتها . انظر رسم الحجرة الشريفة بالخريطة رقم ٤

كسوة الحجرة النبوية

ضرب على البناء الذى حول القبور الثلاثة المباركة ستر من الحرير الأخضر، كتب فيه : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » ، يحيط بها دوائر مكتوب فيها : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ .

ويكتنف هذا الستر على ارتفاع مترين ونصف حزام من الحرير الأحمر عرضه ٣٠ سنتيمترا، وعلى خارج الشبكة النحاسية فى أعلاها ستارتان من الحرير الأخضر الجيد .

وصف الروضة الشريفة

موقعها بين الحجرة الشريفة والمنبر. «مَا بَيْنَ بَيْتِي ومِنْبَرِى روضةٌ مِن رِياضِ الجنّة، ومِنبَرِى على حَوضِى» حديث شريف رواه البخارى ومسلم وغيرهما عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبيّ صلى الله عليه وسلم .

وهى على شكل مستطيل . طولها الممتد من الشرق إلى الغرب ٢٢ مترا ، وعرضها ١٥ مترا. ويحدّها من الجنوب حاجز من النحاس الأصفر، على ارتفاع متر، به بابان عن يمين ويسار "المحراب النبوى" . وفى جهتها الغربية القبلية "المنبر" وهو من الرخام الموشّى بالذهب الخالص ، وضع موضع منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم . وتتميز أرض الروضة الشريفة عن غيرها من أرض المسجد، بترخيم أعمدتها بارتفاع متر ونصف تقريبا ، ونراها فى كل وقت غاصة بالناس لمكانتها عند الله تعالى وشرف موضعها، وكفاها شرفا أن بها منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، والجذع الذى كان يخطب عليه قبل أن يتخذ المنبر، فحنّ إليه فدفنه بها، وفيها أيضا محراب الرسول صلوات الله وسلامه عليه، وفيها كان يصلى أصحابه من بعده. فهى والحالة هذه أقدس مكان على وجه الأرض بعد الكعبة المشرفة ، وأقدس منهما المكان الذى ضم جسد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الكلام على زيارة النبي صلى الله عليه وسلم

فضل زيارته عليه الصلاة والسلام

من أفضل الأعمال وأزكى العبادات وأشرف الغايات زيارة نبيّ الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ .

وقد ورد فى الزيارة أحاديث : منها ما رواه البيهقى عن حاطب بن أبى بلتعة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «مَن زارَنِى بعدَ مَوتِى فكأنّما زارَنِى فِى حَياتِى ومَن ماتَ بأحَدِ الحَرَمينِ بُعِثَ مِنَ الآمنِينَ» .

وروى ابن عدىّ والدارقطنىّ عن ابن عمر رضى الله عنهما مرفوعا: «مَنْ حَجَّ ولم يَزُرْنِى فَقَدْ جَفانِى». وروى الدارقطنىّ عنه أيضا مرفوعا: «مَن زارَ قبرى وَجَبَتْ له شَفاعَتِى». وروى ابن النجار عن أنس رضى الله عنه مرفوعا: «مَا مِنْ أَحدٍ مِنْ أُمَّتِى لَهُ سعةٌ ثُمَّ لَمْ يزرْنِى إلَّا ولَيْسَ لَهُ عُذْرٌ». وروى البيهقىّ عنه أيضا مرفوعا: «مَن زَارَنِى بالمدينةِ مُحْتَسِباً كانَ فى جِوارى وكنتُ له شهيدًا وشفيعًا يوم القيامةِ».

فكيف لا تفضل زيارته وهو صلى الله عليه وسلم باب الله الأعظم، وحبله المتين، ومصدر نعمه الدنيوية والأخروية؛ بل هو حبيبه المختار، وخليفته فى أرضه، جعل خزائن كرمه وموائد نعمه لمن آمن به.

آداب زيارته صلى الله عليه وسلم

متى قصدت زيارة نبيك الذى هو بالمؤمنين رءوف رحيم، فتب من ذنوبك؛ واعزم على ترك ما يخالف شريعته الغراء، وسنته السمحة. وآنو زيارته هو وصاحبيه سيدنا أبا بكر وسيدنا عمر رضى الله عنهما، وآنو زيارة المسجد أيضا؛ فإنه أحد المساجد الثلاثة التى تشدّ لها الرحال. ثم أكثر من الصلاة والسلام عليه طول الطريق، وصل فى المساجد التى تمرّ بها فى طريقك بقدر المستطاع.

أعمال الزيارة وأدعيتها المأثورة

(١) إذا عاينت أسوار المدينة المنوّرة فصلّ على سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل: «اللهم هٰذا حَرَمُ نبيِّكَ فآجعلْه وِقايةً لِى مِنَ النارِ، وأمانًا مِنَ العذابِ وسُوءِ الحسابِ وآرزُقْنى ما رَزَقْتَهُ أولياءَكَ، ووفِّقْنِى لحُسْنِ الأدبِ وفعلِ الخيرِ بفضلِك ياأرحمَ الراحمين».

(٢) عند ما تظهر لك القبة الخضراء قل: «اللهم إنى أسألُكَ الثباتَ فى الأمرِ وعزيمةَ الرأىِ وشكرَ النعمةِ، وأسألُكَ لسانًا صادقًا وقلبًا سليمًا؛ وأسألُكَ مِن خيرِ ما تعلمُ، وأستغفرُك ممّا تعلم؛ إنّكَ أنتَ عَلّامُ الغيوبِ».

(٣) إذا وصلت بابَ المدينة فقل : « رَبِّ أدْخِلني مُدْخَلَ صِدْقٍ وأخرِجْني مُخْرَجَ صِدْقٍ واجعل لِي مِن لَدُنكَ سُلطانًا نَصيرا . اللهم ابسُطْ علينا مِن بركاتك ورحمتِكَ ورزقكَ ما تُقِرُّ بِهِ أعينَنا . اللهم إني أسألُكَ النّعيمَ المُقيمَ الذي لا يَزُولُ »

(٤) اغتسل قبل الدخول وبعده إن أمكنك، وتطيّب والبس أحسن ثيابك، وكن في جميع حركاتك مثال الكمال؛ فقد صرت في حرم رسول الله الكريم .

(٥) إذا وصلت إلى المسجد فادخل من أي باب شئت، ولكن يحسن أن تدخله من باب جبريل السابق وصفه لك، وقل عند دخولك « بِاسمِ اللهِ والحمدُ للهِ ولا حولَ ولا قوّةَ إلا باللهِ . اللهم صلِّ على سيدنا محمدٍ عبدِكَ ورَسُولِكَ، وعلى آلهِ وصحبِهِ وسلِّم . اللهم اغفرْ لي ذنوبي، وافتح لي أبوابَ رحمتِك، ووفّقني وأَعِنِّي على ما يُرضِيك » .

(٦) بعد أن تدخل المسجد اقصد الروضة الشريفة السابق وصفها، وصل فيها ركعتين تحية المسجد عند منبره، بحيث يكون عمود المنبر محاذيا منكبك الأيمن، وهو موقفه عليه الصلاة والسلام .

فاذا أتممت صلاتك فاشكر الله على هذه العطية العظيمة، وسله التوفيق، وقل : « الحمدُ للهِ حمدًا يُوافِي نِعَمَهُ، ويُكافِئُ كَرَمَهُ . أَستغفِرُهُ من ذُنوبي كلِّها، ما عَلِمْتُ منها وما لم أَعلَمْ . اللهم لكَ الحمدُ مِلْءَ السَّمٰواتِ ومِلْءَ الأرْضِ وكما تُحِبُّ وتَرضَى . اللهم كما مَنَنْتَ عليَّ بالتَّواجُدِ في حَرَمِ رَسُولِكَ ومَهْبِطِ وحيِكَ، فامْنُنْ عليَّ بِحُسْنِ الأدَبِ بين يَدَيْ هٰذا النبيِّ الكريمِ، واجعلْهُ مُقْبِلًا عليَّ راضيًا عنِّي، واجعلْني من أهلِ شفاعتِهِ، وأقِرَّ عيني برِضاكَ ورضاهُ؛ يا أرحمَ الراحمين » .

(٧) بعد هذا بادر بزيارة النبي صلى الله عليه وسلم، فتوجه إلى الجهة القبلية من المقصورة الشريفة، وقف أمام الحجرة، تجاه قبره صلوات الله وسلامه عليه، وقل وأنت في حالة خشوع بعيدا عن الدائرة النحاسية المواجهة لوجهه الكريم : « السَّلامُ عليكَ يا نبي اللهِ ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ . أشهدُ أنَّكَ رسولُ اللهِ، قد بلَّغْتَ الرسالةَ، وأدَّيتَ الأمانةَ، ونصحْتَ الأُمَّةَ، وجاهدتَ في أمرِ اللهِ، حتَّى قبضَ اللهُ رُوحَكَ حَميدًا محمودًا

بجزاكَ اللهُ عن صغيرِنا وكبيرِنا خيرَ الجزاءِ . وصلّى اللهُ عليكَ أفضلَ الصلاةِ وأزكاها وأتمَّ التحيةِ وأنْماها . اللهم اجعلْ نبيَّنا يومَ القيامةِ أقربَ النبيِّينَ ، واسقنا مِن كأسه ، وارزُقنا مِن شَفاعتِه ، واجعلْنا مِن رُفقائِه يوم القيامةِ . اللهم لا تجعل هذا آخرَ العَهْدِ بِقَبرِ نبيِّنا عليه الصلاة والسلام ، وارزقنا العودَ إليه ، ياذا الجلالِ والإكرامِ » .

ثم بلغه سلام من أوصاك فتقول : « السلام عليك يارسول الله من فلان بن فلان . يستشفع بك عند ربك ، فاشفع له ولجميع المسلمين » ثم صل عليه ما شئت .

(٨) تنبه لما يأتى : (ا) لا ترفع صوتك ولا تخفضه كثيرا أثناء مثولك بين يديه عليه الصلاة والسلام . (ب) لا تمس حيطان الحجرة الشريفة بيدك ولا بغيرها من أعضائك . (ج) قف أثناء الزيارة فى حالة أدب وخشوع وانكسار . (د) لايجوز للسيدات أن يزغردن أثناء مثولهن بين يديه ؛ فهذا شيء لا يليق بقدسية المكان ولا بجلاله صلى الله عليه وسلم .

(٩) انتقل بعد هذا قدر متر ونصف تقريبا حتى تحاذى رأس سيدنا أبى بكر الصدّيق رضى الله تعالى عنه ، وقل : « السلامُ عليكَ ياخليفةَ رسولِ اللهِ . السلامُ عليكَ يا صاحبَ رسولِ اللهِ فى الغارِ . السلام عليكَ يارفيقَهُ فى الأسفارِ . السلامُ عليكَ يا أمينَه فى الأسرارِ . جزاكَ اللهُ عنّا أفضلَ ما جازى إماماً عن أمةِ نبيِّه ، ولقد خلفتَه أحسنَ خَلَفٍ ، وسلكتَ طريقَه ومنهاجَهُ خيرَ مَسلكٍ ، وقاتلتَ أهلَ الردةِ والبدَعِ ، ومهّدْتَ الإسلامَ ، ووصلْتَ الأرْحامَ ، ولم تزَل قائماً للحقِّ ، ناصراً لأهله ، حتّى أتاكَ اليَقينُ ، والسلامُ عليكَ ورحمةُ اللهِ وبركاتُه . اللهم أَمِتْنَا عَلَى حُبِّـه ، ولا تُخَيِّبْ سَعْيَنا فى زيارتِه ، برَحْمتِكَ يا كريم » .

(١٠) ثم تحول قدر متر ، حتى تحاذى قبر سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وقل : « السلامُ عليك يا أميرَ المؤمنين عمرُ الفاروقُ . السلامُ عليك يا مُظهِرَ الإسلام . السلام عليك يا مُكسِّرَ الأصنامِ . جزاكَ الله عنّا أفضلَ الجزاءِ ، ورَضيَ الله عمّنِ استخلفَكَ ، فقـدْ نصرتَ الإسلامَ والمسلمين حياً وميّتاً ، فكفلتَ الأيتامَ

ووصلت الأرحام، وقوى بك الإسلام، وكنت للمسلمين إماماً مرضياً وهادياً مهدياً. جمعت شملهم، وأغنيت فقيرهم، وجبرت كسرهم. السلام عليك ورحمة الله وبركاته».

(١١) ثم ارجع مقدار ذراع وقل: «السلام عليكما يا ضجيعي رسول الله ورفيقيه، ووزيريه ومشيريه، والمعاونين له على القيام في الدين، والقائمين بعده بمصالح المسلمين. جزاكما الله أحسن الجزاء». ثم ادع لنفسك ولوالديك وأزواجك وأولادك، ولمن أوصاك بالدعاء، ولجميع المسلمين.

(١٢) ثم عد إلى موقفك الأول تجاه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقل: «ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما. وقد ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، وأتيتك بذنوبي مستجيراً، وجئتك مستغفراً؛ سائلاً أن تشفع لي عند ربي:

يا خير من دفنت في الترب أعظمه * فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه * فيه العفاف وفيه الجود والكرم
أنت الشفيع الذي ترجى شفاعته * على الصراط إذا ما زلت القدم
وصاحباك فلا أنساهما أبدا * مني السلام عليكم ما جرى القلم

(١٣) ثم تحول عن مكانك وتوجه إلى القبلة وقل: «ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار. اللهم إني أسألك يا واحد يا أحد، يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد: أن تتوب علي وتستجيب دعائي؛ وأسألك اللهم بحق نبيك أن تجزل كرامتي وتسترعيو بي وتوفقني لصالح الأعمال؛ إنك أنت الغفور الرحيم».

(١٤) ثم ائت أسطوانة أبي لبابة التي ربط نفسه فيها حتى تاب الله عليه — وهي بين القبر والمنبر — وصل ركعتين، وتب إلى الله تعالى، وادع بما شئت، وصل ما شئت فإنك بالروضة الشريفة.

(١٥) ثم ائت المنبر وضع يدك على الرمانة التي كان صلى الله عليه وسلم يضع يده عليها إذا خطب؛ لتنال بركته عليه الصلاة والسلام، وصل ركعتين، وادع بما تحب.

(١٦) ثم ائت الأسطوانة الحنّانة — وهى التى فيها بقية الجذع الذى كان يخطب عليه صلى الله عليه وسلم، فحنّ له حين تركه وخطب على المنبر — وصلّ ركعتين وادع بما تحب، وقل: «اللهم إنّى أسألُكَ أن ترْفعَ ذِكْرِى، وتضعَ وِزْرِى، وتُصلِحَ أمرِى، وتُنوِّرَ قلبِى، وتغفرَ ذنبِى؛ وأن تبارِكَ لى فى خَلْقِى وخُلُقِى، وأهلى ومالى وعَمَلى؛ وأسألُكَ الدرجاتِ العُلَا فى الحياةِ وبعدَ المماتِ".

(١٧) ثم ائت محرابه عليه الصلاة والسلام، وصلّ فيه ركعتين، وادع الله بعدهما. وإياك ومزاحمة الزوّار على هذا المكان.

(١٨) ينبغى للسيدة الوقورة أن تتنبه لما يأتى:

إذا حضرت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى ركعتين فى مقصورة النساء، ثم توجهى للسلام على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكيفية السابقة وعلى صاحبيه رضى الله عنهما. أما صلاتك فى الأمكنة التى ذكرتها سابقا فغير متيسرة لك إلا بعد صلاة العشاء بمدّة قصيرة، حين ينصرف الرجال إلى بيوتهم وتصبح الروضة الشريفة خالية منهم، فانتهزى هذه الفرصة وصلى ركعتين فى كل مكان ذكرته فى الروضة الشريفة النبوية التى هى من رياض الجنة، وواظبى على صلاة جميع الفروض فى الحرم طول مدّة الإقامة بالمدينة المنوّرة.

(١٩) بعد ما تقدّم زر البقيع وائت المشاهد والمزارات؛ فزر العباس، ومعه الحسن بن علىّ وزين العابدين، وابنه محمد الباقر، وابنه جعفر الصادق، والسيدة فاطمة، وزر أمير المؤمنين سيدنا عثمان بن عفان، وقبر إبراهيم ابن النبى صلى الله عليه وسلم، وأزواج النبى صلى الله عليه وسلم، وعمته صفية، وكثيرا من الصحابة والتابعين خصوصا سيدنا مالكا وسيدنا نافعا رضى الله عنهم أجمعين، وقل عند دخولك البقيع: «السلامُ عليكم دارَ قومٍ مؤمنين. سَلَامٌ عَلَيكُم بِمَا صَبرتُم فَنِعمَ عُقبَى الدَّارِ. أنتُم السابِقُونَ وإنَّا إن شاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُون. اللَّهُمّ اغفر لأهلِ البَقِيع. اللهم لا تَحرِمْنا أجرَهُم، ولا تَفتِنَّا بعدَهُم، واغفِرْ لَنا ولَهُم».

(٢٠) ثم زر شهداء أُحُدٍ يوم الخميس إذا أمكنك ، خصوصا قبر سيد الشهداء سيدنا حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم ، وقل : « سَلَامٌ عليكُم بِمَا صَبَرْتُم فنِعْمَ عقبَى الدار . سَلامٌ عليكُمْ دارَ قَومٍ مؤمنينَ . أنتُم مِنَ السابقين ؛ و إنّا إن شاءَ اللهُ بكم لاحقون» . واقرأ آية الكرسى ، و يسٓ ، وسورة الإخلاص ؛ وهب ثوابها للشهداء .

(٢١) ثم زر مسجد "قُبَاءٍ" . وتكون يوم السبت إذا أمكنك ، فإذا وصلته فلا تدخله إلا إذا أسبغت الوضوء بماء من بئر "أريس" التى فيها خاتم النبي صلى الله عليه وسلم ، واشرب من ماء هذه البئر ، وادخل المسجد ، وصل ما شئت فيه ، فقد ورد فى حديث ما معناه : « مَن جاء متوضِّئًا فصلَّى فى مسجدِ قُبَاءٍ ركعتَينِ كان لَهُ ثوابُ عُمْرَةٍ » . ثم صلّ ركعتين فى مبرك الناقة : ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم — وقد بنيت فوقه قبة فخمة — وادع فى هذا المسجد ؛ فإنه أول مسجد أسس فى الإسلام ، وقل : « يا صَرِيخَ المُسْتَصْرِخين ، و يا غِياثَ المستغيثِين ، و يا مفرِّجَ كَرْبِ المَكْروبِين ، و يا مُجِيبَ دعوةِ المُضْطَرِّين . صـلِّ على سيِّدنا محمدٍ وآلهِ ، واكشِفْ كَرْبى وحُزْنى ، كما كشَفْتَ عن رَسولِكَ كَرْبَهُ وحُزْنَهُ فى هـذا المقامِ . يا حنَّانُ يا منّانُ ، يا كثيرَ المعروفِ و يا دائمَ الإحسانِ ، يا أرحمَ الراحمين » .

تنبيهات هامة

(١) عليك مدّة مكثك بالمدينة المنورة أن لا تفتر عن التصدّق على الفقراء والمساكين كلما استطعت لذلك سبيلا .

(٢) وأن تحافظ على صلاة الجماعة فى وقتها فهذه فرصة قد لا تحظى بها ثانية .

(٣) وأن تسلم على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه رضى الله عنهما كلما دخلت المسجد ، ودبر كل صلاة مفروضة .

(٤) وأن تكثر من التسبيح والذكر وقراءة القرآن والاستغفار والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم .

(٥) وأن لا ترفع صوتك فى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ فهذا غير مرغوب فيه فى المساجد ، فما بالك بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم ؟ وقد قال الله

تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ .

(٦) كن دائماً فى أثناء وجودك بالمسجد داخل الروضة ، فإنها من رياض الجنة بنص الحديث الشريف .

تنبيه للسيدات

أود أن تعلمى أيتها السيدة الوقورة : أنه إذا أتاك الحيض أو النفاس وأنت بالمدينة المنورة ، وحان ميعاد عودتك مع محرمك أو صويحباتك ، ولم تتشرفى بالمثول بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم ولم تدخلى مسجده المنيف ، فلا يجوز لك فى هذه الحالة دخول المسجد ، ويكفيك أن تقفى من الخارج وتسلمى على سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ثم على سيدنا أبى بكر فسيدنا عمر بن الخطاب ثم تزورى البقيع والأمكنة الأخرى . هذا إذا كنت مضطرة إلى مغادرة المدينة ، وأما إذا كنت غير مضطرة فانتظرى بمنزلك حتى تتطهرى ، ففى هذه الحالة يحل لك أن تدخلى المسجد ، فادخلى وقفى أمام وجه النبى صلى الله عليه وسلم ، وسلمى عليه وعلى صاحبيه رضى الله عنهما بالكيفية السابق ذكرها .

ملاحظة هامة

إذا أردتَ الرجوع إلى بلدك فودِّع المسجد النبوى بصلاة ركعتين ، قائلا بعدهما : « الحمدُ لله والصلاةُ والسلامُ على سَيِّدنا رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم . اللهُمَّ إنِّى أسألُكَ فى سَفَرِى هٰذا البِرَّ والتقوَى ومِنَ العَمَلِ ما تُحِبُّ وتَرضَى » .

تمّت الرّسالة بحمد الله تعالى

كلمة شكر

إنه لمناسبة الانتهاء من رسالتي أرى لزاما عليّ أن أسدي الشكر لكل من مدّ لي يد المساعدة أيّاً كانت في سبيل إخراجها . وأخص بإسداء هذا الشكر حضرة صاحب العزة " محمد شريف بك " المستشار بالاستئناف العالي؛ فانه أعزه الله وأبقاه أوّل من شجعني على تأليفها بما آشتهر عنه من غيرته العظيمة على الإسلام والمسلمين وحبه في أداء الفروض الإسلامية طبق ما تلقته الأمة المحمدية من نبيها العظيم صلاة الله وسلامه عليه؛ وكان حفظه الله سببا في طبعها بمطبعة دار الكتب المصرية الذائعة الصيت في الدقة والأناقة وسلامة الذوق . كما أني أسديه موفورا لحضرة المفضال "الحاج محمد بك فائق" كبير مفتشي مصلحة المساحة والمناجم بالإسكندرية؛ لما بذله من المعونة لإخراجها ، ولما حباني به من الرعاية شاباً إلى أن صرت يافعا، وما زال يمدّ لي يد المساعدة كلما وجد لذلك سبيلا . كما أني أسديه لحضرة صاحب العزة "عبد الحليم بك محمد" حكمدار (بوليس) الشرقية؛ لما رأيته فيه من العناية بأمرها وتسهيل طرق الوصول لإخراجها للناس . كما أني أسديه لحضرة صاحب العزة " الدكتور منصور بك فهمي " مدير دار الكتب المصرية؛ فإنه حفظه الله أمر بطبعها في مطبعة الدار في وقت كان العمل فيها على أشدّه ، والاعتناء بأمرها وسرعة إخراجها .

كما أني أخص به حضرة صاحب الفضيلة العلّامة " الأستاذ الشيخ يوسف الدجوي" عضو جماعة كبار العلماء بالأزهر؛ فإنه أعزه الله وأبقاه حينما اطلع عليها وضع فيها تقريظه الخالد الذي هو غاية في البلاغة . كما أسديه لفضيلة الأستاذ الجليل العالم الأديب " الشيخ محمود أبي العيون " شيخ علماء الإسكندرية؛ فإنه لما كان في رياسة معهد الزقازيق الديني قدّمتها لفضيلته لإبداء رأيه فيها، فطالع أكثر فصولها، ثم حوّلها أعز الله به الإسلام والمسلمين على جمهرة من أفاضل العلماء،

كما تراه مفصلا بأول الرسالة ، فكان هذا العمل منه مكرمة لعموم المسلمين ، فجزاه الله عن هذا العمل خيرا . وفى هذا المقام أشكر حضرات أصحاب الفضيلة العلماء الذين تكرموا بالنظر فى الرسالة وتصحيحها ، لا سيما حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ المحقق المدقق "الشيخ على حسن حسن البولاقى" خريج قسم التخصص « فى الفقه والأصول » والمدرس بمعهد الزقازيق الدينى ، على ما أبدعه من ضبط المراجعة والتدقيق فى التصحيح .

وفى هذا المقام أيضا أقدّم جزيل الشكر والتقدير لحضرة المفضال الأستاذ "الحاج محمد نديم" مدير مطبعة دار الكتب المصرية ، ولحضرات من عاونوه من معاونيه على إخراج الرسالة للسلمين على ما يحبّونه لها من دقة الطبع وسلامة الذوق ، فجزاهم الله عنا خيرا .

والله أدعو أن يوفقنا جميعا للعمل على أداء واجبنا الدينى نحو خالق الأرض والسموات وإسعاد المسلمين أينما كانوا ؟

عَبْدُ الوهَّابِ بْنُ مُصْطَفَى بْنِ أَحْمَدَ عَلَمِ الدِّينِ « مُؤَلِّفُ الرِّسَالَة »

* * *

كَمُلَ طبع "الرسالة الفاروقية الخالدة فى مناسك الحج والعمرة" بمطبعة دار الكتب المصرية فى يوم الثلاثاء ٢١ شوال سنة ١٣٥٧ (١٣ ديسمبر سنة ١٩٣٨) م

محمد نديم
ملاحظ المطبعة بدار الكتب
المصرية

(مطبعة دار الكتب المصرية ٤٢/١٩٣٨/٤١٠٠)

